الأمة
Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد السابع والعشرون - السنة الثالثة

ربيع الأول ١٤٠٣هـ - كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣م

مؤسسة
الوقف الاسلامي
تجربة رائدة في ديار الغربة

رؤية جديدة للتاريخ الاسلامي

هكذا تكون دراسات المستشرقين

مراجعة لا رجوع

آخر حوار مع الدكتور

محمد البهي رحمه الله

الهدية داخل العدد

طلاء الجدران بخزف إزنيك ـ توب كوبي ـ ١٥٧٣ / م ـ تركيا

126659359 Remember Allah where ever you are Hamed

بسم الله الرحمن الرحيم

من المحرر

أمانــة القلــم

□□ يقول العلامة شمس الدين البابلي المتوفى سنة سبع وسبعين بعد الألف :

« لا يؤلف أحدٌ كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة ، ولا يمكن التأليف في غيرها وهي :

إما أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه .. يخترعه ، أو شيء ناقص يتمه ، أو شيء مستغلق يشرحه ، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه ، أو شيء يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه ، أو شيء مفرق يجمعه » .

قد نكون الآن ـ مؤلفين وكتاباً وناشرين ـ أحوج من أي وقت مضى إلى هذه الضوابط الصارمة والقواعد الأخلاقية الرشيدة بعد أن بدأت تنحسر عن حياتنا الفكرية شيئاً فشيئاً ، وبعد هذا السيل الطامي من المؤلفات والكتابات غير المسؤولة التي باتت تثقل ذهن القارىء وتساهم بتخلفه وتستنفد نشاطه ، وتبدد طاقاته ، ولا شك أن العلامة « البابلي » هو ثمرة المنهج الإسلامي ، الذي وصل علماؤه ومؤلفوه وكتّابه إلى درجة الحساسية والإفراط في الأمانة العلمية لأنها مسؤولية أمام الله أولاً وقبل كل شيء .

وكان الراوي منهم إذا شكّ بالرواية أثبت شكه فيقول : ـ كذا أو كذا ـ ليخرج من العهدة الشرعية .. إن « البابلي » رحمه الله ، لم يكن ليخطر بباله ، أنه سيأتي على الأمة المسلمة وقت تُمارس فيه عملية السطو على فكر الآخرين وإنتاجهم وادعاء ذلك بهذه البساطة ، نقول هذا الكلام لنذكّر أنفسنا والإخوة المؤلفين والكتاب بمناسبة رسالة السيدة « الدكتورة عاهدة عصمت فخر الدين » إلينا .

والدكتورة عاهدة في الجامعة اللبنانية كلية الآداب قسم التاريخ ، متخصصة بتاريخ العرب الحديث ، حصلت على الماجستير من الجامعة اللبنانية وكانت رسالتها بعنوان « الإمام رشيد رضا والصهيونية » ولسنا الآن بسبيل الكلام عن أهمية الرسالة والمعلومات القيمة التي قدمتها ، والنصوص التاريخية التي أثبتتها ، والأفكار التي ناقشتها لفترة تاريخية تعتبر من أخطر الفترات في تاريخنا الحديث ، وإنما الذي يعنينا عتبها علينا ، ومن حقها أن تعتب لأن بعض الكتاب مارس عملية السطو على رسالتها واجتزأ منها فقرات بنصها دون زيادة أو نقصان ، ونشرها في مجلة الأمة بالعدد التاسع عشر تحت العنوان نفسه ، وقد أرسلت لنا نسخة من رسالتها التي لم تطبع بعد لتؤكد الموضوع مشيرة إلى مواطن السطو التي مارسها الكاتب بكل دقة ؟! ونسبها إلى نفسه .

وبعـد : فهل نلتزم أمانة القلم ونستشعر المسؤولية كما ربّانا الإسلام ؟ □□

[طُبع من هذا العدد : (٩٠،٠٠٠) تسعون الف نسخة]

الأمّة
Al Ummah
اسلامية . شهرية . جامعة
تصدر في غرة كل شهر عربي عن
رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية
في دولة قطر
Al Ummah
Monthly Islamic Comprehensive Magazine
Published by:
"Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs"
on the commencement of every lunar month.

المشرف العام
عبد الرحمن بن عبد الله آل محمود
General Superintendent
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبد الرحمن المظفر
Editor-in-Chief
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنه
Managing Editor
Umar Ubaid Hasna

في هذا العدد

● كلمـة الأمـة ٤

● مراجعة لا رجـوع .... الشيخ محمد الغزالي ٨

● آخـر حـوار مع
الدكتور محمد البهي رحمه الله .... أجراه : جابر رزق ١١

● بطاقـة من قارىء ١٧

● الإسلام في حياتنا .... الدكتور محمود البرشومي ١٨

● (قضيـة للمناقشـة)
الشعر العربي المعاصر
والفكر الإسـلامي .... الدكتور سعد دعبيس ٢٠

● (عـالم وكتـاب)
ابن حزم وكتاب الأخلاق والسير .... احمد لكطيف ٢٤

● حضارة العرب في صقلية
وأثرها في النهضة الأوروبية .... الدكتور عبد الجليل شلبي ٢٨

● (اسـتطلاع مصـور)
الوقـف الإسـلامي ...
تجربة رائدة في ديار الغربة ٣٣

● حديقـة الأمـة ٤٢

● معرض تطور خطوط المصاحف
وزخرفتها (تحقيق) .... رشيد العبد الله ٤٤

صـورة الغـلاف

الدكتور محمد البهي رحمـه الله

■■ من اعلام الفكر الإسلامي المعاصر ، لا يزال كتابه القيم ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، مرجعاً لكثير من الباحثين والدارسين ..

يرى ضمانة الاستمرار وعمق التاثير : في ان يقوم المد الإسلامي الذي بدات ملامحه تاخذ اكثر من مظهر ، على اساس من الفهم الصحيح للكتاب والسنة ، يخشى على المد الإسلامي من الاحتواء له والانحراف به ، ويرى ان السبيل الصحيح في العمل الإسلامي ، التاكيد على الاتجاه التربوي الذي يضمن استمرار العمل دون ان توجه إليه الضربات ، ميزة هذا الحوار الذي نقدمه انه من اواخر ما تحدث به رحمه الله ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصام عزوز □

الأمـة
اسلامية
شهرية
جامعة

التحرير والإدارة
Administration & Editorial Offices

هـاتـف :	٤١٧٥١٠	Tel 417510 DOHA	
رئيس التحرير :	٤١٠٠٢٢	Editor-in-Chief	410022
مدير التحرير :	٤١٥٨٣٠	Managing Editor	415830
القسم الفني :	٤٣٢٨٨٧	Editing Staff	432887
هيئة التحرير :	٤١١٣٠٠	Editor Staff	411300
تـلكـس :	٤٩٩٩ الأمة د هـ	Telex 4999 Al-Ummah DH	
برقيـاً :	الأمة الدوحة	Cables Al-Ummah DOHA	
ص . ب :	٨٩٣ الدوحة . قطر	P O Box 893 DOHA QATAR	

ثمن النسخة

قطـر	٣	ريالات	لبنـان	١٥٠	قرشاً
السعودية	٣	ريالات	مصـر	١٥٠	مليماً
الامارات	٣	دراهم	ليبيـا	٢٠٠	درهم
عمـان	٢٠٠	بيسة	السودان	١٥٠	مليماً
البحرين	٢٠٠	فلس	تونـس	٢٠٠	مليم
الكـويت	٢٠٠	فلس	الجـزائر		ديناران
العـراق	٢٠٠	فلس	المغـرب		درهمـان
اليمن الشمالي	١٥٠	فلساً			
الاردن	١٥٠	فلساً			
اليمن الجنوبي	١٥٠	فلساً			
سـوريا	١٥٠	قرشاً			

○ في باقي دول آسيا وافريقيا نصف دولار امريكي او ما يعادله .
○ في الامريكيتين واوربا واستراليا وباقي دول العالم دولار امريكي او ما يعادله .

الاشتراكات

للأفراد

○ في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً
○ في الدول العربية والاسيوية والافريقية : ٣٥ ريالاً قطرياً او ١٠ دولارات امريكية او ما يعادلها .
○ في الامريكيتين واوربا واستراليا ١١ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

○ في قطر : ٧٥ ريالاً قطرياً
○ في الدول العربية والاسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
○ في الامريكيتين واوربا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

● (رجـل وموقـف)
المجاهد الشهيد أسد بن الفرات .... سيد ناجي ٤٩

● قاتل حمزة بين عبودية الجاهلية وحرية الإسلام
(تحليل لرواية الدكتور نجيب الكيلاني) ... محمود حنفي كساب ٥٢

● أخطار تلوث البيئـة
وطـرق مكافحتها .... الدكتور رافت سليمان ٥٦

● على نهر التاجة :
بين الخواطر والأطلال .... احمد العناني ٦٢

● لماذا رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي ؟
هكذا تكون دراسات المستشرقين الدكتور عبد العظيم الديب ٦٤

● (مـن عجائب المخلوقات)
نعمة الإحساس بالألم .... توفيق يوسف القيسي ٦٨

● الأسـرة المسلمـة ٧٤

شخصية الرسول ﷺ القيادية
وأبعاد النبوة فيها .... محمد رشدي عبيد عقراوي ٧٦

● مناجاة (قصيـدة) .... شهاب غانم ٨٠

● بريـد الأمـة ٨١

● شـؤون المسلمين في العالم ٨٤

● من مفكرة القرن الرابع عشر الهجري ٩٠

● مع الصحافة في العالم ٩٢

● مسـابقة العدد السابع والعشرين ،
وحل مسابقة العدد الخامس والعشرين وأسماء الفائزين ٩٤

● (خواطـر وأفكـار)
ظاهرة خطيرة يجب مقاومتها ..... الدكتور رضا إبراهيم محمد ٩٦

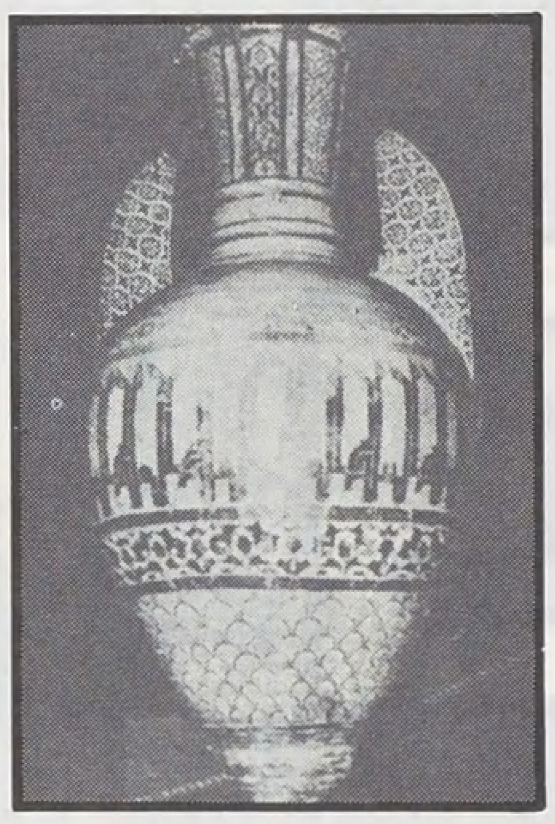

حضارة العرب في صقلية

■ إن مظاهر الحياة والحضارة الإسلامية ظلت بادية على كل شيء في صقلية ، حتى على حياة الملوك والحكام وكنائس النصارى ومنازلهم ، استمر ذلك كله اكثر من قرن ونصف ، وحقق ذلك ما قيل :

إن المسلمين في صقلية انتصروا في ميدان العلم والحضارة حين هزموا في ميادين الحرب والاعمال العسكرية .... (ص:٢٨) ■

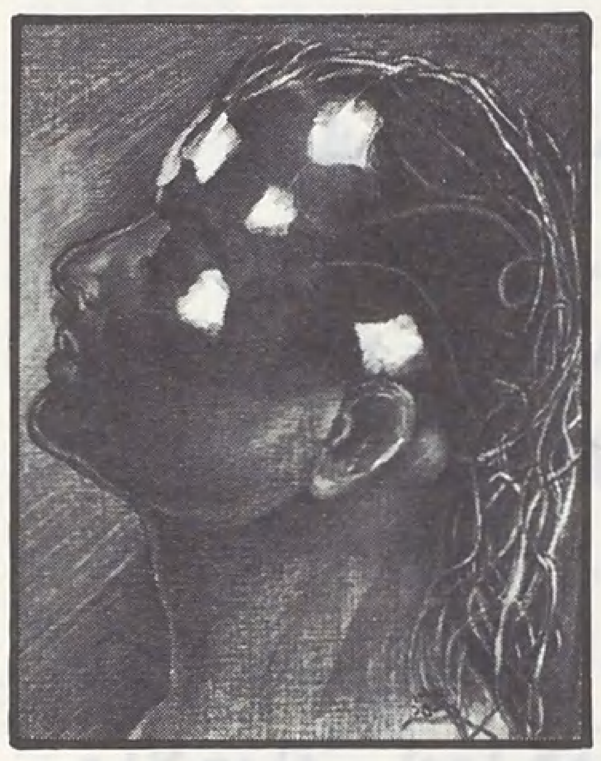

نعمة الإحساس بالألم

■ يمثل الالم عنصراً هاماً ضمن الإنذار الحيوي في الجسم ، والذي يحذر بان حياته معرضة للخطر ، وليست كل احاسيس الالم متشابهة ، فنحن نستطيع تمييز مواضع احاسيس الحرق والوخز والالتهابات السطحية ، ولكننا لا نعرف عن الصداع اكثر من انه في الجزء الامامي من الراس او الجزء الخلفي منه .... (ص:٦٨) ■

الشعر العربي المعاصر والفكر الإسلامي

■ الا يمكن لتيار الشعر العربي المعاصر ، الذي تاثر بمختلف التيارات الفكرية الأوروبية ، وشتى الوان الصراع المذهبي العالمي ، والتيارات الفلسفية الشرقية والغربية على حد سواء ، الا يمكن لهذا الشعر ان يجعل تيار الفكر الإسلامي هو المنطلق الرئيس له ؟

هـذا مـا يجيب عليه الدكتور سعد دعبيس .... (ص:٢٠) ■

الإخراج الفني مجدي نجيب

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل وعنوانه	
قطر	□ دار الثقافة	ص.ب ٣٢٣ الدوحة
	□ الشركة المتحدة	
الكويت	لتوزيع الصحف والمطبوعات	ص.ب ٦٥٨٨ الكويت
الإمارات	□ شركة اكسفورد للتوزيع	ص.ب ٧١٢٩ ابوظبي
»	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص.ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ دار الهلال	ص.ب ٢٢٤ المنامة
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص.ب ١٠١١ مسقط
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص.ب ١٤٠٥ الرياض
»	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص.ب ٨٠٧٠ جدة
»	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	الظهران
	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات	
لبنان	والتوزيع بيروت - لبنان	ص.ب ٧٣٨٥ بيروت
الاردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص.ب ٣٧٥٠ عمان
»	□ مكتبة دار الارقم	ص.ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
السودان	□ دار التوزيع	ص.ب ٣٥٨ الخرطوم
المغرب	□ سبريس	ص.ب ٨٠ – ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبا العامة للصحافة والانباء	ص.ب ٨٠٨ صنعاء
مصر	□ شركة توزيع الاخبار	ص.ب ٧ القاهرة
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص.ب ٤٤٠ تونس

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
امريكا	THE ISLAMIC CENTRE OF DETROIT,	15571 JOY ROAD, NEAR GREEN FIELD ROAD, DETROIT, MICHIGAN 48228, U. S. A.
	MUSLIM STUDENTS ASSOCIATION IN —	
»	U. S. A. AND CANADA,	P. O. BOX NO. 38, PLAIN FIELD, INDIANA 46168, U. S. A.
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
»	M. E. PUBLICATION LTD.	85 BIGHTON ROAD, COULSDON, U. K.
فرنسا	HACEN LIBRARY,	131 RUE DE CHARENTON 75012 PARIS, METRO GARE DE LYON, FRANCE.
»	MR. EL ALLAS AWAD,	5 ALLES WATTSAU, 952000 SARCELLES, FRANCE,
اليونان	HELLENIC DIST. AGENCY,	P. O. BOX NO. 315 ATHINA, GREEK,
بلجيكا	ASSALAM SPRL. 196 BLD. M.,	LEMONNIER 1000 BRUSSELS. BELGIUM

كلمة الأمة

وفهجرته

□□ لاشك بأن دراسة السيرة تغني تصور المسلم بالصور التطبيقية والدروس العملية لمبادىء هذا الدين ، وقد نكون الآن أكثر احتياجاً من أي وقت مضى لاستيعاب أكبر لدروس السيرة النبوية ، وتبين أدق لكيفية الاستفادة منها ، ومدى هذه الاستفادة ومساحتها ، وخاصة من ذلك الأحداث الكبيرة التي كانت وراء المنعطفات الكبرى في تاريخ المسلمين ، بل في تاريخ البشرية جمعاء ، وندرك المقدمات الصحيحة والشروط الضرورية التي مهدت للوصول إلى المنعطف التاريخي الكبير ، وحصول هذا المنعطف في حياة الأمة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون وليد طفرة ، أو ثمرة أمنية حالمة ، أو دفقة حماس ، أو موقف انفعال ، أو قول ارتجال ، أو قفزة من فوق السنن التي تحكم الحياة والأحياء ، إنما هو نتيجة مقدمات محكمة ، وسنن متبعة ، ورؤية دقيقة لطبيعة الطريق الموصلة ، وامتلاك للزاد والراحلة التي تقتضيها المرحلة إلى جانب التقوى ، تلك الملكة التي تسهم الإسهام كله في تحقيق الفرقان الذي يمثل الروح الحركية المبصرة في حياة المسلم ... قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً ﴾ (الطلاق : ٢) □□

نقول : لابد من استيعاب أكبر لدروس السيرة النبوية ، وتبين أوضح لكيفية الاستفادة منها ، ذلك أن بعضاً من مسلمي اليوم بدأ يتعامل مع الآيات القرآنية بعيداً عن الاهتداء بنور النبوة ، وبيان النبوة ، وتعامل النبوة ، ويظن أن اختصار الطريق يقتضي القفز من فوق السيرة والسنة النبوية والسنن الطبيعية ، فيذهب في تفسير آيات القرآن الكريم كل مذهب ... ويرى فيها كل رأي !!

أما بعضهم الآخر ، وهو الأكثر خطورة ، أو الذين يمثلون الوجه الآخر للمغالطة الفكرية ، أولئك الذين يقرأون السيرة النبوية دون وعي واستيعاب للدروس والشروط والظروف ، ويبدأون بعد ذلك بعملية تمزيق للرؤية الإسلامية المتكاملة ، وتفصيل السيرة النبوية على مواقع حياتهم ، وإسقاطها على أنماط سلوكهم بنوع من الجرأة والتطاول ينبو عنه حتى الذوق العام لهذا الدين ...

فبعضهم يقرأ واقع الحياة اليوم ، أو بعض مواقع العمل الاسلامي ، ويقوم بعملية مقايسة ساذجة ، فيقرر أننا مازلنا في مرحلة العهد المكي ، ومدة هذا العهد تقتضي ثلاثة عشر عاماً لابد من انقضائها وانتظارها قبل الوصول إلى مرحلة تشكيل الدولة بهذه السذاجة ، وهذه السهولة نقدم على اغتيال الرؤية القرآنية المتكاملة وتمزيقها إلى ابعاض وتفاريق بعد أن أكملها الله تعالى بقوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ (المائدة : ٣) . ونخشى أن تكون حالة الخزي التي يعاني منها المسلمون اليوم هي نتيجة لهذا التبعيض . ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (البقرة : ٨٥)

وبعد أن استقرت الصورة الإسلامية وأخذت بعدها الكامل ، لا يزال بعضنا يصر على الانحسار والقصور في النظر دون أن يدري أن ترتيب آيات القرآن الكريم نفسها لم يكن على أزمنة النزول ، وإنما كان توقيفياً على شكل الكمال الذي وصل إلينا ، فكيف نمارس باسم الإسلام عملية التمزيق هذه ، ونلغي من حياة المسلمين وفهومهم وتراثهم الذي يشكل رصيداً زاخراً ورؤية خصبة تغني التصور خلال قرون طويلة كثيراً من جوانب الصورة ؟! الأمر الذي يؤدي طبعاً إلى تعطيل الأحكام الشرعية ومدلولات الآيات القرآنية ..

إنهم يعيشون هذه الرؤية الحسيرة بعد أن اكتملت الصورة الإسلامية وتكاملت بانتظار قيام الدولة ، وقد يستغنون بالانتظار ، وهم يعيشون واقع المجتمعات وسلوك أفرادها حيث لا يزال المجتمع جاهلياً ـ يستبيحون فيه بعض انماط من السلوك غير الشرعي ـ عن العمل لقيام دولة الإسلام وتقديم النماذج السلوكية لذلك ، وتغيب عنهم سيرة الرسول القدوة ﷺ في مكة وصفاته الخلقية وتعامله مع مجتمعه ، فهو الأمين في مجتمعه وهو المؤتمن على أماناته ..

أما بعضهم الآخر ، فيقرر أنه يعيش في مرحلة العهد المدني ، يقيمون الدولة وهم بعد أفراد لم يستكملوا شرائط إقامة الأسرة المسلمة والجماعة المسلمة ، وينطلقون من هذا التصور البسيط المحزن ، يستعجلون أقضية ، ويطبقون أحكاماً ، قد يكون الكثير منها منوطاً بالدولة المسلمة ، ولا يستقيم تطبيقها ولا يجوز أن يكون على يد أفراد أو جماعات وضعوا لأنفسهم عناوين معينة ، **وحصروا الإسلام بهم دون سائر المسلمين ، ويفوتهم أن نصيبهم من خطاب التكليف يقتصر على العمل للوصول إلى الدولة المسلمة التي يناط بها تنفيذ الأحكام . لا تنفيذ الأحكام على أيديهم وهم أفراد لا يمتلكون سلطة الدولة .**

إلى ما هاجر إليه

ولعل درس الهجرة ، أو حادث الهجرة ، الذي نحن بسبيله ، يمكن أن يوصف بأنه المنعطف الكبير في تاريخ الدعوة الإسلامية ، وعلى الرغم من هذا الانتصار العظيم ، وهذه الإيجابية الفذة ، وهذه الفاعلية المؤثرة ، يحاول بعض من يعيش في عالم المسلمين اليوم ممن يعانون العطالة ممارسة أنواع من الهجرة السلبية وذلك بالانسحاب من المجتمعات ، والانغلاق عنها وتعطيل وسائل الدعوة فيها ، والقعود عن دعوة الناس واستنقاذهم مما هم فيه من الجهل بالإسلام الذي يقود للعداوة له والانقضاض عليه ، والاكتفاء بالجدل حول بعض المفهومات التي تشكلت نتيجة ظروف خاصة ، وردود فعل معينة تحكمت فيها بعض المكونات النفسية والعضوية ، فأراد أن يجعل منها قاعدة عامة تحكم المسلمين وتحاكمهم ، اكتفى بالجدل حول بعض المفهومات عن العمل على نشر الدعوة الإسلامية والقيام بعملية البلاغ المبين التي أمرنا بها ونحن نسير على طريق النبوة .

والذي نريد له أن يكون واضحاً أن الهجرة حركة إيجابية ضخمة ، واستبدال لمواقع الدعوة ووسائل الداعية ، وليست فقداناً للتوازن الاجتماعي وحركة سلبية هروبية انسحابية تنتهي إلى الانغلاق وتسكير النوافذ ، والابتعاد عن المجتمع ورميه بالحجارة ، وإقامة المعامل لصناعة التهم وإلحاقها بالناس بهذه البساطة ، من التكفير والفسوق والارتداد ، وإعانة الشيطان على الناس ، وإحكام عملية الانفصال عن المجتمع وتكوين أجسام غريبة عنه بعيدة منه .

الهدف من الهجرة هدف استراتيجي ، يعني أول ما يعني : الانتقال من مكان يبدو أنه مصاب بالعقم والقحط إلى مكان أكثر عطاء وخصباً ، فالرسول القدوة ﷺ لم يترفع عن قومه ، ولم ينسحب من مهمته ، ولم يعتزل الناس ويتوقف عن الدعوة إلى الله في مكة قبل الهجرة ، وفي المدينة بعدها ، حتى ولا في طريقها أيضاً .

لم يستسلم بحجة أنه بذل جهده مع مشركي مكة ولم يفلح معهم ، ولم يلق بالتبعة على أي ظرف خارجي ، أو أنه استفرغ وسعه ولكنه لم يدرك النتائج ، وإنما كان دائب النظر والتبصر في محاولة أن يلمح آفاقاً جديدة للدعوة فيرتادها ، ويلجأ إلى وسائل جديدة في العمل فيختارها ، وأساليب جديدة يتعامل معها ، لم يهجر المجتمع ويهرب منه ويحكم عليه هكذا ، ويستخرج له ورقة الوفاة ، ولو كان ذلك منهج الرسل والأنبياء لما حصلت عملية الإيمان والاتباع ، ولما أمر الرسل بالصبر والبيان ووُصف الصابرون منهم بأولي العزم … لو هجر الأنبياء والرسل المجتمعات ، وتوقفوا عن عملية البلاغ المبين لما آمن بهم أحد ، ولو سلك دعاة الإسلام الأوائل مسلك بعض دعاة هذه الأيام الذين استغلق تفكيرهم على مفهومات معينة لهجر المجتمعات والانفصال عنها والحكم عليها بأقسى الأحكام ، لما سار في طريقهم أحد أليس وجود من اختاروا السير في طريق الاسلام والتضحية في سبيله هم النخبة التي استجابت لدعوة الله والتزمت منهجه ؟ أليست هي ثمرة البلاغ الذي أمرنا به ؟ **فكيف يصح أن نفتي بهجر المجتمع والحكم عليه والابتعاد عنه ، ونؤلف الكتب ، وننشر الرسائل ، ونقاتل دون بعض المفهومات ؟!**

إن وجودنا ، كمسلمين ، ضمن هذه المجتمعات ، نلتزم الإسلام وندعو إليه دليل على فساد هذه الكتب والمؤلفات وعدم جدواها ، والتزامنا هذا ما كان إلا نتيجة لجهود دعاة ومربين أنقذونا مما نحن فيه فكيف يصح للطبيب أن يهجر المرضى ويبتعد عنهم ، ألا يكون بذلك قد افتقد أصل مهمته وتنكر لطبيعة رسالته ؟!

كان الرسول ﷺ وهو وحده محل البيان للهدف والوسيلة ، يواجه أذى الكافرين بالصبر والتحمل ، وليس بالحقد والانتقام ، قد يكون مقبولاً أن يحمل المجتمع الذي لم يدرك الإسلام بعد العداوة للمسلمين ودعوتهم ، وأن يصمها بشتى النعوت ، ويسيء الظن برجالها من خلال ظروفه والممارسات التي توقع عليه ، أما أن يحمل الدعاة العداوة للمجتمع والحقد عليه ، وهم يسيرون على ميراث الذي أرسل رحمة للعالمين ، فهنا مكمن الخطر .. **كان رسول الله ﷺ يأسى على قومه ، ويحزن على ما هم فيه ، وحسبنا في ذلك موقفه بعد العودة من الطائف** :

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : **يوم العقبة** إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا « بقرن الثعالب » فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها **جبريل عليه السلام** فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك « ملك الجبال » لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني **ملك الجبال** فسلم علي ثم قال : **يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك مما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أي**

فهجرته الى ما هاجر اليه

جبلي مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**.. انه يوم أشد من يوم أحد حيث استشهد سبعون رجلاً من اصحابه وشج وجهه وكسرت رباعيته — ورفعت شعارات الكفر على أرض المعركة — بقول أبي سفيان : « اعل هبل » ومع ذلك إذا انعدمت الاستجابة والقابلية في هذا الجيل فليكن العمل والأمل في الجيل القادم ؛ لم يحكم تصرفاته عليه الصلاة والسلام رد الفعل ولم يخرجه الموقف عن طريق النبوة ، ولم يحمله العجز على الانتقام .

ألا تقتضي ردود الفعل السوية من بعض العاملين للإسلام اليوم ، وعلى أكثر من مستوى ، أن يصوبوا المسار وأن يعودوا لاختبار تصورهم عن المجتمع ووسائلهم في التعامل معه ، **فالخطأ ليس عيباً وإنما الإصرار على الخطأ هو العيب وليس من الإسلام في شيء** .

لابد من إعادة الاختبار لمواقفنا ووسائلنا معاً ، والكشف من جديد عن أمراضنا بعين بصيرة ، فالكثير الكثير من علل وأمراض المجتمعات غير الإسلامية من حولنا تفتك بنا ونحن نعيش وَهْمَ العافية وورمها الكاذب ؛ **لابد من اختبار طرائق العمل الإسلامي ونشر الدعوة ، وعدم الإصرار على كثير من الوسائل بعد أن ثبت فشلها** ، أو عدم جدواها إن صح التعبير ، فالملاحظة والاختبار هما الوسيلة الصحيحة للوصول والكشف ، **ولا تخرج الهجرة في معناها العام عن الملاحظة والاختبار الذي يتبعه تحول وانتقال من وسيلة إلى أخرى ، ومن موقع إلى آخر** ...

قد يكون ذلك مرتقىً صعباً ومهمة شاقة ، ذلك أن هذه الوسائل أو هذه الأخطاء ، كرسها زمن ليس بالقليل ، حتى كادت تصبح جزءاً عضوياً من أصحابها ، **وأصبح المتلبسون فيها يتوهمون أن الدفاع عنها دفاع عن أنفسهم وذواتهم** ، وقد يعينهم على ذلك قوم آخرون ممن يجب أن يحثى التراب في وجوههم .. لكنه دين الله والحق أحق أن يتبع .. فالمسؤولية كبيرة ، والمرور في الدنيا وقوف في الآخرة ، قال تعالى : ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ** ﴾ (الصافات :٢٤) فكل العقلاء في الدنيا يفحصون تصوراتهم ، ويختبرون وسائلهم بعد كل مرحلة من العمل ، يحددون أخطاءهم ، ويعدلون طرائقهم ، ويطورون وسائلهم ؛ وإن لم يثبت خطؤها بإطلاق يهجرونها إلى غيرها للوصول إلى مردود أكبر وحصيلة أكثر ... **أما وقد تغيرت الظروف ، فلابد من إعادة النظر في تغيير المواقع وتطوير الوسائل** ، والمشكلة أننا نمارس دائماً عملية الهروب من الأخطاء والمسؤوليات ، وذلك بإلقاء التبعة على الآخرين ، أما نحن فدائماً مبرؤون من التقصير ، مستكملون لكل مستلزمات وشرائط الدعوة والتغيير ..

إنها حالة مرضية آن لنا أن نضع لها حداً ، وننسجم مع منهج هذا الدين ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ** ﴾ (آل عمران : ١٦٥) فالمسلم دائماً يملك الحركة الإيجابية والفاعلية المنتجة ، حيث لم يقبل الله تعالى العطالة والكلالة بحال ، حتى من الذين استسلموا وقالوا : ﴿ **كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ** ﴾ (النساء : ٩٧) حيث كان الرد عليهم حاسماً جازماً : ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** ﴾ (النساء :٩٧) فالمسلم كالماء إذا حبس في مكان تفجر في مكان آخر ليسقي الناس وينبت لهم الزرع والضرع ، وكالقمر إذا أفل في مكان ظهر ضوؤه في مكان آخر ، فهو الانسان الفاعل الذي يملك استبدال وسيلة بأخرى ، وهجر موقع إلى آخر . إن الإصابة بالعجز والعطالة المزمنة ، والسقوط في منطقة اليأس ، والإلقاء بالتبعة على الآخرين ، وإضاعة الجهد بإيجاد المبررات للخطأ والعجز بدل التفكير والتبصر بتغيير المواقع وهجر الوسائل غير المجدية ، إن الإلقاء بتبعة الفشل على الآخرين ، وعدم الجرأة في تحديد الخطأ ومواطن التقصير ، والذي يوهمنا بأننا استطعنا أن نحصل على وثيقة البراءة من أخطائنا ، يوقعنا بقضية أخطر ، لكننا لا ننتبه لها في غمرة الحصول على وثيقة البراءة ، وهي أقل ما يقال فيها : **إننا دون سوية المرحلة وحسن التبصر بالظروف ، ودون سوية التعامل معها ، أو إن شئت : دون سوية الفهم السوي** ...وهذه قضية أكبر من الأخطاء بكثير ، ولعل ذلك من الأخطاء القاتلة ، سواء في ذلك اعترفنا بخطئنا وفشلنا أم حملنا ذلك لأمر خارج عن أنفسنا !!

إن مسلم اليوم يعيش معاناه المناخ الثقافي غير الإسلامي وضغوطه المختلفة ، وبالتالي تنتقل إليه العدوى الاجتماعية وتستوطن الأمراض التي تسود المجتمعات غير الإسلامية في كثير من التجمعات الإسلامية التي لا تختلف بواقعها ومقياسها في كثير من الأحيان عن سائر التجمعات الأخرى ، اللهم إلا بالعناوين ، ويبدو أن تكريس الأخطاء مرده بشكل أساسي الى العجز عن ابصار الصواب ، إنه التعلق بالأشخاص ، والعجز عن الارتباط بالأفكار ؛ ولعل ذلك ضربة لازب في المجتمعات المتخلفة مهما اختلفت فيها العناوين ..

والأمر الجدير بالتأمل في عالمنا العربي والاسلامي أن المناخ الثقافي غير الإسلامي ترك آثاره وخلف بصماته على بعض جوانب العمل الإسلامي أيضاً ، وأبرز المخاطر هذه ، كما قدمت ، عملية الارتباط بالأشخاص وادعاء العصمة لهم ، واستنزاف الطاقة ، ليس في العمل على تصويب الأخطاء ، وانما في الاستماتة في تبريرها ، وهنا تكمن المعادلة الصعبة ، ونعيش نظرية العكس ، ونتحرك ، لكن في مكاننا ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ابن آدم خطاء » وكلمة : « كل » هنا من ألفاظ العموم كما هو معروف ، ويصر بعضنا على العصمة الكاذبة من الخطأ ، والقاعدة تقول : **اعرف الحق تعرف أهله ؛ فأصل الفقه والرشد : التزام المقاييس ، وانضباط المنهج ، وحسن التمييز . أما الطفولة البشرية المستمرة فتعني : الارتباط بالأشخاص ، والعجز عن**

الارتباط بالأفكار ؛ ذلك أن الالتقاء مع الأشخاص ثمرة لالتزام المنهج ، وليس الالتزام بالمنهج ثمرة للارتباط بالأشخاص ، فالمنهج ما شرعه الله ، والقدوة في البيان والتنفيذ ما أتى به رسول الله ﷺ ولا يتأتى هذا لأحد من بعده .. على الاطلاق .

وقد يكون من المناسب هنا أن نذكر بأن **رسول الله ﷺ** ، وهو المسدد بالوحي ، والمؤيد به ، كانت بعض جوانب العصمة المطلقة بالنسبة له محل اجتهاد ونظر من العلماء ، ابتداء من عهد الصحابة رضوان الله عليهم حيث يرى بعضهم أن العصمة إنما تكون من الخطأ والنسيان في تبليغ الشريعة وكل ما يطلب لذلك ، كالأمراض المنفرة وغيرها من الأمور المعروفة في مظانها من كتب السيرة والأصول ؛ **فالعصمة إنما تكون من كل ما يتعارض مع عملية البلاغ التي أنيطت به عليه الصلاة والسلام** ، أما في أمور الدنيا التي تخضع لسنن وقوانين وتجربة واختبار واجتهاد فيها ، **فهو بشر** ، وحسبنا في ذلك قول الرسول ﷺ ، في حادثة تأبير النخل : « **أنتم أعلم بشؤون دنياكم** » ونلمح لهذا أكثر من صورة في حياة **الرسول ﷺ** ، ومواقف الصحابة في أكثر من مناسبة دون أن يجدوا في ذلك شيئاً ، بل كان هو الأمر الطبيعي في حياتهم ، في معركة بدر حيث سؤال **الرسول ﷺ** : **أمنزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة** ؟ وكان جواب **الرسول ﷺ** : « **بل هو الرأي والحرب والمكيدة** » فطلب الصحابي التحول إلى المكان الآخر لأنه أكثر جدوى من الناحية العسكرية ..

وفي غزوة الأحزاب حيث اشتد الحصار واشتد حتى فكر **الرسول ﷺ** وارتأى أن يصالح غطفان على بعض ثمار المدينة حقناً لدماء المسلمين وتخفيفاً لوطأة الحصار عنهم ، وعرض ذلك على أصحابه ، فكان ردهم : **شيء أمرك الله به فنفعله ، أم رأي ارتأيته لنا** ؟ فقال : « **بل هو رأي** »فقالوا : فما لهم عندنا إلا السيف .. يا رسول الله ، والله إن كانوا ليأكلون العلهز (**وبر يخلط بدماء الإبل ثم يشوى بالنار ويأكلونه**) في الجاهلية من الجهد ، ما طمعوا بهذا منّا قط ، أن يأخذوا ثمرة إلا بشراء أو قرىً ، فحين أتانا الله بك ، وأكرمنا بك ، وهدانا بك ، نعطي الدنية ، لا نعطيهم أبداً إلا السيف .. فقال ﷺ : « **شق الكتاب** »

وبعد : هل نستطيع أن نؤكد مرة أخرى بأن الهجرة هي حركة التاريخ الكبيرة وهي خطوة متقدمة على طريق الحركة والدعوة ، وهي ارتفاع على الواقع الذي أخلد إليه الناس واستسلموا له ، ومواجهة مبصرة للتعامل مع هذا الواقع ، وتدريب للمسلم على أن آصرة العقيدة هي الرابطة التي تشد أخوة المسلمين ، وأن القعود عن الهجرة بمعناها الإيجابي ، والقبول بالواقع بحجة الاستضعاف مدعاة لسخط الله ، قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة : ٢٤) والمعروف أن سبب نزول هذه الآيات بعض الذين شدتهم الروابط الأرضية واستسلموا لها ولم يهاجروا إلى المدينة حيث القاعدة الاسلامية ، **فالهجرة جهاد ، وأي جهاد أكبر من التفلت من أثقال وروابط الأرض وترك المألوف والمعروف والنفرة في سبيل الله .**

ومن هنا نتبين أيضاً لماذا كان السلف رضوان الله عليهم ، وتابعوهم يستحبون تقديم حديث : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ..** » دروسهم ومؤلفاتهم ذلك أنه لابد من استضاءة التصور عن شرعية العمل وعزم القلب بعد اختبار صحة العمل ومدى مطابقته لأمر الله شكلاً ومضموناً ، فإذا تحصل ذلك كانت الحركة الهادفة المبصرة ؛ والتطبيق المشروع الذي يسدده الإخلاص وتميزه التقوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله .. فهجرته إلى الله ورسوله .. ولا يغني في ذلك الشكل أو القدرة على التشكل أمام الناس ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، إنه انسلك في ركب المهاجرين لكنه لم يختلف عن غيره من المسافرين ..

إنها الهجرة إلى الله ورسوله بكل أبعادها ، وكل معانيها الإيجابية ، كانت وسيلة الإيضاح والأنموذج الفرد لحديث رسول الله ﷺ « **إنما الأعمـــال بالنيات** .... »

وإنه المهاجر القدوة الذي لم يستسلم لليأس ، ولم يعان من عقد الحقد والانتقام ، وإنما هو الرحمة الهداة للبشرية ... ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَـةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (الأنبياء : ١٠٧)

إنه ينتقل من أرض عقيم إلى أخرى ، ويستبدل وسيلة توقفت جدواها بأخرى ، وإذا أجدب جيل فيرجو أن يخرج الله من أصلابهم ، من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

○○ **أرجح الروايات التاريخية أن هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة كانت في شهر ربيع الأول ، ووصوله إليها كان يوم الإثنين الثاني عشر من الشهر نفسه على رأس ثلاث عشرة سنة من بعثته عليه الصلاة والسلام ، خلافاً لما هو شائع بين المسلمين من ان الهجرة كانت في شهر المحرم لأنه اعتمد بداية للسنة الهجرية ○○**

مراجعة لا رجوع

بقلم : الشيخ محمد الغزالي

□□ لا أزال ألح على مراجعة تفكيرنا الديني ، وأساليب حكمنا على الأشياء والأشخاص !!

لقد سقطت الخلافة العثمانية من ستين سنة ، وانفرط عقد الأمة الكبيرة على الصعيد العالمي ، وكانت خسائر « الرجل المريض » قد تلاحقت قبل وفاته ، ثم تقاسم الأقوياء تركته ، وأمست الأمة الإسلامية بلا أبوة روحية ولا ثقافية ولا سياسية ، فهل وقفت الأمة اليتيمة وقفة تأمل واعتبار فيما أصابها ؟

وهل تساءل العقلاء عن أسرار نكبتها ؟

كم كتاباً ألِّف في أسباب تخلفها الحضاري ؟

كم كتاباً ألِّف في تشريح العوج السياسي ، والقصور العلمي ، والانهيار اللغوي ، الذي عرا هذه الأمة ؟

كم كتاباً ألِّف في طبيعة التركيب الجنسي ، والخلافات العرقية التي كانت تكون الدولة الغاربة ؟

كم كتاباً ألِّف في تطوُّر العلاقات الدولية مع جمود الفقه عندنا ، أو في تطوُّر النهضات الإنسانية مع عكوفنا على الصور والأشكال الجوفاء ؟

بم شغلنا ؟ وبماذا نشغل الآن ؟ □□

إن مراجعة تفكيرنا الديني ضرورة ماسة ، ولا أعني بتاتاً رجوعاً عن أصل قائم أو فرع ثابت ، فهذا والعياذ بالله ارتداد مقبوح !

هناك فرق بين الرجوع والمراجعة !

إنني أعني بالمراجعة : الحساب العقلي الشديد على مواقفنا من أنفسنا وديننا ، وماذا فعلنا ، وماذا تركنا ، وماذا قدمنا ، وماذا أخرنا ؟؟

وكل محاولة للنهوض – دون هذه المراجعة الواجبة – قد تكون تكراراً للمأساة ...

وهذه المراجعة سهلة ما دمنا ننطلق من قواعد معصومة ، أساسها الكتاب والسنة .

على أنه لابد من إبعاد العقول الملتاثة عن علم الكتاب والسنة ، ولابد من تنقية منابعنا الثقافية حتى تروج أقوال الأئمة والعباقرة ، وأهل الذكر ، وتستخفي أقوال المعلولين وأذناب السلطات وأشباه العوام .

أؤكد أننا لا نبدأ من فراغ ، فالعلماء الراسخون كثيرون في تاريخنا الطويل ، وإن كان فساد الحكم قد طوى أسماءهم ، وأهان تراثهم ، وقدَّم عليهم من لا يساوي قلامة أظافرهم ...!

والآن – بعد ما دفعنا ثمن هذه الخيانات – يجب أن نراجع ثقافتنا وسياستنا ...

إن الحق يدعم صاحبه وينفعه ، والذي يعيش وفق جملة من الحقائق العقلية والخلقية والاجتماعية غير الذي يعيش في عالم من الترهات والأباطيل ..

والاستيحاش من الحق أو

الاستكبار عليه لا يتركه القدر دون عقاب عاجل أو آجل .. فإن حافظ السموات والأرض لا يترك أصحاب الهوى يفسدونهما كيف شاؤوا ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ، بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ ! (المؤمنون: ٧١) .

والمهم عندما نتيه عن الحق ألّا يطول شرودنا عنه ، وأن نعرف بدقة ما الخطأ الذي ارتكبناه ؟ وما الصواب الذي نتشبث به ؟

وفي تراب الهزيمة التي حلّت بنا مادياً وأدبياً وقف مسؤول مخبول يقول : **إن الصلاة والصيام هما علّة ضعف الإنتاج** ..!

وقلت ، وقال أهل الرشد كلهم : **إن الطريقة التي وليت بها الحكم أيها المستبد الأعمى هي سر تخلفنا العام** ..

وقال أحد الزهاد : **إن حب الدنيا وكثرة المال هما** ... وقبل أن يتم حديثه ، قلت : **الأمريكيون أكثر من العرب مالاً وأعز نفراً ... وهم خير من العرب حالاً** ..

وقال آخر كلاماً لا أثبته ..!

إن علاج أمة ظلت قرابة ألف عام رفيعة القدر ثم هوت من حالق دائخة الفكر ، مضطربة الخطو ، لا يمكن أن يتم بكلمات مرتجلة وأحكام نزقة ..!!

أولى الخطوات الشجاعة أن نعترف بأغلاطنا ، وهي كثيرة ومفزعة ، ومتغلغلة في ماضينا .. ثم نبدأ حركة التصحيح بتؤدة وعزم ومضاء ..

ويحزنني أن أقول : إن جيشاً من الدهماء يملأ آفاق العمل الديني ، لا يحسن درس القضايا ، ولا إصدار الأحكام !

والجنون مراتب ، هناك جنون مطبق يسقط عن صاحبه التكليف ، ويريح المجتمع من محاسبته ، ولا شأن لنا بهذا ..

وهناك جنون جزئي يجمع بين المتناقضات دون حرج ! وإلى هذا النوع من الجنون يشير القرآن الكريم عندما يقول لنفر من أهل الكتاب : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤) .

نعم أين العقل في هذا التصرف ؟

في هذا الميدان رأيت نوعين من الناس ، نوعاً لا يستطيع الرؤية لعجز في حاسته ، ونوعاً يرى ولكنه مشدود بالهوى إلى شيء آخر مسيطر عليه ، كلا النوعين لا يصلح لعمل إسلامي محترم ، لأن الإسلام لا يصلح له إلّا أولو الألباب .

والواقع أن سلامة التفكير واستقامة الخطو هما لباب الدين ، وأين تجد الدين مع الغباء المستحكم والعوج الغالب ؟ الدين عندئذ مراسم مجلوبة على فراغ ، ولا قيمة للتاج على رأس مجنون .

هناك آيتان تتحدان موضوعاً وإن تغايرتا أداءً .. قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩) وقوله تعالى :

﴿ مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (هود: ٥٦) .

العمل الحسن المتقن الجيد هو الطريق إلى الله ، وبقدر جهد صاحبه في إبرازه على خير وجه ، وابتغاء وجه الله به ، تكون مكانته ، هذا معنى الآية الأولى ...

أما الآية الثانية فقد أشار صدرها إلى **حقيقة فلسفية مقررة هي قيام الكائنات بربها ، واعتمادها في وجودها وبقائها على إيجاده وإمداده** .

فمن تتبع هذا المعنى في الأنفس والآفاق ، ولزم في سيره هذا الخط القويم عرف الله ، وتجاوب مع وصاياه ، واستقر على هداه ...

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : ﴿ مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ أي تحت قهره وسلطانه ، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه ، فإنه على صراط مستقيم ، **روى الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أيفع بن عبد الكلاعي** أنه قال : ﴿ مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ قال : يأخذ بنواصي عباده ، فيلقن المؤمن حتى يكون له أشفق من الوالد لولده ، يقول : **ما غرّك بربك الكريم** ؟

وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ، ودلالة قاطعة على صدق ما جاء به وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا توالي ولا تعادي وإنما يستحق إخلاص العبادة اللّه وحده لا شريك له ، الذي بيده الملك وله التصرف ، وما من شيء إلّا تحت ملكه وقهره وسلطانه .. »

وينظر صاحب المنار إلى الآية من جهة أخرى فيقول : « ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي على طريق الحق والعدل ، لا يسلط أهل الباطل من أعدائه على أهل الحق من رسله ومتبعيهم من أوليائه ! ولا يضيع حقاً ولا يفوته ظالم » .

وما يقوله الشيخ رشيد **يقع بعد الاختبار المحتوم بين الحق والباطل ، هو اختبار قد يتعرض فيه الحق للهوان ، وقد يملك الباطل فيه السلطان ، ولكن إلى حين !! ثم تكون العاقبة للمتقين** ..!!

إن كلا المفسرين الكبيرين وضح طرفاً من الآية ، والذي أريد إبرازه أشمل وأخصر ...

مراجعة لا رجوع

إن الذي يتحرى الحق ويلتزم منهجه ، ويحرص عليه ويتجنب الانحراف والزيغ لابد أن يصل إلى الله ، وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ . . . ﴾ (النحل : ٩) ، قال مجاهد : « طريق الحق .. على الله » أي يدل عليه ويبلغ إليه حتماً ، ويؤيد ذلك ابن كثير فيقول : أخبرسبحانه وتعالى أن ثمّ طرقاً تُسلك إليه فليس يصل منها إلا طريق الحق ، وهي الطريق التي شرعها ورضيها ، وما عداها مسدودة والأعمال فيها مردودة ، ولهذا قال : ﴿ وَمِنْهَا جَائِرٌ . . . ﴾ أي حائد مائل ..!! والحائد عن الصراط المستقيم لا يصل إلى الله أبداً .

وعندما تبجح إبليس ، وظن أنه قادر على إغواء البشر ، أخبر رب العزة أن الطريق إليه لا يتطلب عبقرية خارقة ، ولا يكلف مشقة بالغة ، إنه طريق سهل قريب ممهد ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (الحجر: ٤١-٤٢) .

والمقارنة بين خلال (صفات) المحقين والمبطلين تكشف عن طبائعهم ، وتحدد وظائفهم الاجتماعية ، فالبعداء عن الله لا يعرفون الحق ولا يقولون به ؟ مواهبهم البشرية مطموسة وقدراتهم مشلولة ، ومن هنا فإن مجتمعاتهم طافحة بالشرور ، مشدودة إلى الوراء ، لا تقدر أن تقدم لنفسها ولا لغيرها خيراً ، وتدبر قوله تعالى يصف أولياءه وأعداءه : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ؟ (النحل: ٧٦) .

إن الأمة المسلمة حقاً بريئة من الصفات الأولى ، معروفة بالصفات الأزكى والأرقى ، فهي مشهورة بالعدل آمرةٌ به ، وهي في الأسرة الدولية قوامة بالقسط في كل مجال ، وهذا القيام ناضح من إقساطها في حياتها الداخلية وبناء شعوبها على المعروف والحق ..

○ حسن البنا : لو استقبلت من امري ما استدبرت لعدت إلى ايام « المأثورات » ○

أمر المسلمين لا يقوم على دعاية كذوب ومزاعم جوفاء ، وما تقوم أمة على هذا الهزل الذي نرى أنه يداوي الجهل بالعلم ، والخطأ بالصواب ، وأنه بالتربية النفسية والعقلية يعرف المرء ربه ، وباستقامة اللب والقلب يلتقي المرء مع مولاه !!

وأن التدين مع العوج الفكري والنفسي نوع من الخبال تتجاور فيه المتناقضات ، وقد تضيع فيه الحقيقة ويبقى الشكل الذي لا وزن له ...

وهذه الحقائق تشمل الأفراد والجماعات ، بل لعل آثارها السلبية والإيجابية تكون أكثر وضوحاً في تاريخ الأمم منها في تاريخ الآحاد من الناس ...

إن الارتقاء العقلي والخلقي لمجتمع ما قد يغطي القصور لدى بعض الناس ، ولكن الارتقاء الجزئي لا يغطي قصور الجماعات ولا يواري سوآتها ...

التقيت بالأستاذ **الإمام حسن البنا** قبل يوم من استشهاده ، وعانقته وأفزعني أني عانقت عظاماً معلقة عليها ملابس ! كانت الهموم قد اخترمت جسد الرجل فلم تبق منه إلّا شبحاً يحمل وجهه المغضّن العريض .

وشرع يحدثني كما يحدث أي تلميذ له .

قال : **لو استقبلت من أمري ما استدبرت لعدت بالجماعة إلى أيام « المأثورات » ، واستبنت ما يعني ، لقد واجهت قلة من المؤمنين طوفاناً من المتاعب والمآسي نما مع الليالي السود ! أين النَّاس ؟ أين المسلمون ؟**

أعداد كبيرة تبحث عن الطعام ، وأخرى تبحث عن اللهو ، وثالثة تلهث وراء آمالها في هذه الدنيا !!!

وهؤلاء المصلون الخارجون من المساجد ! أما يهتمون بدينهم الموشك على الغرق ؟ إنهم كثيرون لكن لا وعي ولا حراك !! إن القصور الفقهي والأدبي حوّلهم إلى غثاء لا خير فيه .. إن السواد الأعظم يحتاج كل الاحتياج إلى إحياء تربوي طويل ، والمعركة قبل ذلك قليلة الغثاء ! نعم سيضرب الدعاة جند أشبه بالآلات ، وسيقف الجمهور يتفرج ويتسلى كأن الأمر لا يعنيه ..

الا نعيد النظر في تفكيرنا ووسائلنا ؟!

آخر حوار مع

الدكتور محمد البهي

(رحمه الله)

أجراه : جابر رزق

□□ الدكتور محمد البهي علم من أعلام الفكر الاسلامي المعاصرين ، قرأنا له عشرات الكتب ومئات المقالات ، وعرفناه أول ما عرفناه بكتابة القيم « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » الذي صار علماً عليه.

والدكتور محمد البهي من مواليد سنة ١٩٠٥م ، حفظ القرآن وجوّده ، ودرس في المعاهد الدينية بدءاً من معهد دسوق ومروراً بمعهد الاسكندرية وانتهاء إلى الأزهر الشريف حيث تقدم مباشرة للحصول على شهادة العالمية ، وكان ترتيبه الأول على الناجحين الأربعة من الأربعمائة متقدم إلى الامتحان ذاته . بعد حصوله على العالمية التحق بقسم « البلاغة والأدب » الذي أنشىء في العام نفسه للحصول على شهادة التخصص ، فكان واحداً من خمسة طلاب هم كل من قبلهم القسم الجديد ، وقبل الامتحان النهائي بأشهر قليلة اختير الدكتور محمد البهي ليكون أحد اثنين في بعثة إلى المانيا تخليداً لذكرى الإمام محمد عبده ، لكنه لم يسافر الا بعد أدائه الإمتحان في قسم « البلاغة والأدب » وحصوله على الشهادة « التخصصية » . وفي سبتمبر سنة ١٩٣١م سافر الدكتور محمد البهي إلى المانيا لدراسة الفلسفة ، وفي ٢ مايو سنة ١٩٣٦م نال درجة الدكتوراه في الفلسفة ، ثم قضى عامين آخرين حصل في نهايتهما على درجة علمية تسمح له بالتدريس في الجامعات .. □□

عاد الدكتور محمد البهي إلى مصر ليعمل أستاذاً للفلسفة وعلم النفس في كليتي اللغة وأصول الدين ، وباشر في الوقت نفسه إدارة الثقافة الاسلامية بالأزهر .. وفي أوائل الستينيات وقع الاختيار على الدكتور محمد البهي ليكون مديراً لجامعة الأزهر في فترة حرجة هي فترة **« تطوير الأزهر » لكنه لم يبق طويلاً في موقعه ، وأصبح باختياره وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر حتى خرج من الوزارة في مارس ١٩٦٤م ..**

ومنذ خروج الدكتور محمد البهي من وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر وإلى وفاته لم يقبل أية وظيفة رسمية مما عرض عليه ، وعاش في بيته مع كتاب الله يستلهمه في تدبيج المقالات وتأليف عشرات الكتب التي أغنت المكتبة الاسلامية ، وأثرت الفكر الاسلامي المعاصر.

وفي لقاء مع الدكتور محمد البهي في منزله تم هذا الحوار الذي امتد قرابة ساعات ثلاث ، تحدث فيها الدكتور محمد البهي بوضوح وصراحة وشجاعة واضعاً الكثير من النقاط على الكثير من الحروف !!

واقع المسلمين ..

كان سؤالي الأول للدكتور محمد البهي هو :

ــ كيف ترى واقع المسلمين اليوم ؟! فقـال :

ــ واقع المسلمين اليوم أثر من آثار الاستعمار الأوروبي الصليبي الذي عاث فساداً في أقطار العالم الاسلامي ، وفي المجتمعات الاسلامية طوال قرن من الزمان ، فمنذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين لم يكن هناك قطر من أقطار العالم الاسلامي خالياً من الوجود الاستعماري ، فالاستعمار الأوروبي الصليبي كان موجوداً في كل مكان : في الشمال الافريقي (تونس ، ومراكش ، والجزائر) . في المشرق العربي (في مصر .. والشام والعراق) وفي الهند .. وفي اندونيسيا . استعمار انكليزي ، واستعمار فرنسي ، واستعمار هولندي ، واستعمار أسباني ، واستعمار بلجيكي .. وهؤلاء المستعمرون جميعاً كان لهم أسلوب واحد اتبعوه في كل الأقطار الاسلامية هو أسلوب تشويه الاسلام لاستئصال شأفته ، واقتلاع جذوره من قلوب المسلمين ، وإضعاف الصلة بينهم وبينه ، ولا تزال آثار هذا الأسلوب الاستعماري الصليبي الحاقد باقية حتى الآن ، وللأسف لم تبذل الجهود الواجبة ــ لا على المستوى الفردي ولا على المستوى الجماعي ــ حتى الآن لتنظيف هذا الواقع من هذه الآثار السلبية التي خلفها لنا الاستعمار .

آخر حوار مع
الدكتور محمد البهي
(رحمه الله)

والواقع الاسلامي مشوب بواقع آخر ، هو الواقع الوافد إلينا من أوروبا ، سواء الواقع الفكري أو الواقع المادي المحسوس فيما بيننا ، فالحضارة التي نعيشها ليست حضارة إسلامية خالصة ، والفكر الذي نتحدث عنه ونتحدث في جوه ليس فكراً اسلامياً خالصاً ، كما أنه ليس فكراً غربياً خالصاً أيضاً ، وإنما هو خليط من هذا وذاك ، بل أستطيع أن أقول : إن الفكر الاجنبي الوافد في كثير من مجالات المجتمعات الاسلامية هو الغالب ، وتأثيره في واقع حياة المسلمين أكثر بكثير من الرواسب القائمة والباقية من المبادىء والقيم الاسلامية التي لا تخرج مسلماً قوياً يؤمن بالإسلام إيماناً صحيحاً ، ويطبق الإسلام تطبيقاً صحيحاً ، وإنما بعضها قد يتأثر به بعض الشباب ، وبعضها قد شابه شيء من الجمود وشيء من عدم الحيوية ..

إمكانية التغيير !!

قلت للدكتور محمد البهي :

ــ كيف يمكن تغير هذا الواقع من هذه الآثار التي تركها الوجود الاستعماري في ديار الإسلام ؟!

قال :

يمكن تغيير هذا الواقع بالتأكيد على الاتجاه التربوي في العمل الاسلامي بين الشباب وفي استمرار هذا العمل دون أن يواجه بعقبات ، ودون أن توجه إليه الضربات ..

صحيح هناك يقظة اسلامية قوية في مجتمعاتنا الإسلامية ، وهناك أيضاً القوى الخفية المعادية التي تراقب وترصد هذه اليقظة حتى إذا رأت أنه قد اشتد عودها تصدت لها ، ووقفت في وجهها ، ووضعت في طريقها العراقيل !!

فأنا موقن أن الوقوف في وجه المد الاسلامي في أي قطر من أقطارنا الإسلامية هو وقوف مدبر ومرتب ، وكلما قويت اليقظة الاسلامية ، وكلما ازداد النشاط الاسلامي والعمل للعودة إلى تطبيق الاسلام ، كلما ازدادت حركة المراقبة والرصد ، وازدادت القوى المعادية للاسلام في التدبير والتخطيط والتآمر لمواجهة هذه اليقظة والعمل على إماتتها ، لكنها لن تموت ، وهم يعلمون هذا لذلك يعملون على إضعافها وإجهاضها كلما أحسوا أنها قويت !!

هكذا نرى في عالمنا الاسلامي أن هناك خطين ، أحدهما واضح وظاهر ، هو خط النشاط الاسلامي ، وآخر خفي هو خط الوقوف في وجه النشاط الاسلامي ، وهو في تقديري من خارج هذه المجتمعات ، وينتمي إمّا إلى الصليبية الدولية وإما إلى الالحاد الماركسي ، وهذه وتلك وراءهما اليهودية العالمية ، لأن العقلية اليهودية ليست منعزلة عن الصليبية ، وليست منعزلة عن الإلحاد الماركسي ، وهي كما ذكرت في كتابي « خمس رسائل إلى الشباب المسلم » التي تمسك بالزمام ، فلو تصورنا أن الصليبية كفرس أبيض وأن الماركسية كفرس أسود فتكون العقلية اليهودية هي التي تمسك بعنان الفرسين ، فتترك للأبيض فترة ثم توقفه ، وتترك للأسود فترة ثم توقفه ، وهكذا هي تسيرهما في الاتجاه الذي تريد !!

علم السياسة من صنع يهود !!

ويضيف الدكتور محمد البهي :

ــ والعقلية اليهودية مسيطرة على مجالات كثيرة في عالمنا المعاصر ، ومن بين تلك المجالات ما يسمى بالعلوم السياسية .. فهذه العلوم السياسية هي تقريباً من صنع يهود . فقلما تجد نصرانياً أو مسلماً كتب كتاباً في السياسة إلَّا مردداً ما قاله يهود في هذا المجال ، وأضرب لذلك مثلاً ، هو بمثابة الدليل القاطع .. في مجال العلوم السياسية لا تجد من يؤيد اتصال الدين بالسياسة ، بل الجميع يقولون بالفصل بين الدولة والدين ، فإذا كان الحديث عن دولة الاغتصاب الصهيوني (اسرائيل) تجدهم متحمسين يؤيدون قيام (اسرائيل) على أساس اليهودية !! فلماذا يكون تدخل الديانة اليهودية في السياسة مستساغاً هنا ، ويكون تدخل أي دين آخر ، وبالذات الإسلام في السياسة ، غير مستساغ ؟!

إنهم يرون تدخل اليهودية في مجال السياسة الاسرائيلية ، وهذا تحيز واضح .. ولو لم تكن العلوم السياسية من صنع يهود لما كانت متحيزة هذا التحيز ، ولوجدنا موقفاً واحداً من علاقة الدين بالسياسة والحكم : إما تأييداً لتدخل الدين ــ أي دين ــ في السياسة ، وإما رفضاً لتدخل الدين ــ أي دين ــ في السياسة ، ولكن أن تُكال العلوم السياسية بمكيالين ، فتفرق بين الأديان ، فترى اليهودية صالحة ومؤهلة للتدخل في السياسة ، بل تكون الأساس الذي تقوم عليه الدولة الاسرائيلية ، أما الإسلام فتراه غير مؤهل وغير صالح للتدخل في السياسة أو الحكم !! فهنا العجب ..

كما أن الأمر أيضاً ليس كذلك بالنسبة للنصرانية لأنه في الدول النصرانية تتدخل النصرانية في السياسة .. فالأحزاب الديمقراطية النصرانية موجودة في معظم الدول النصرانية : موجودة في ألمانيا الغربية وموجودة في فرنسا .. وموجودة في دول أمريكا اللاتينية ، وموجودة في امريكا الوسطى .. وهذه الأحزاب لها وزنها ولها ثقلها في ساحة العمل السياسي هناك ، فما معنى هذا ؟! معناه أن هناك أحزاباً تقوم على أساس استلهام الديانة النصرانية في مجال السياسة ، وهذه حقيقة ، فالجانب النصراني تلحظه دائماً في سياسة تلك الدول ، فهناك مراعاة للنصرانية من جانب

● على المشتغلين بالدعوة الاسلامية أن يحذروا مايبيت لهم من خطط ومؤامرات وألا يعطوا لأعدائهم المبرر لمواجهتهم ..

● تربية القدوات الحسنة في ميدان الدعوة، أعظم حصانة للدعوة ضد الخصوم وأكبر قوة تعينها على اجتياز العقبات ..

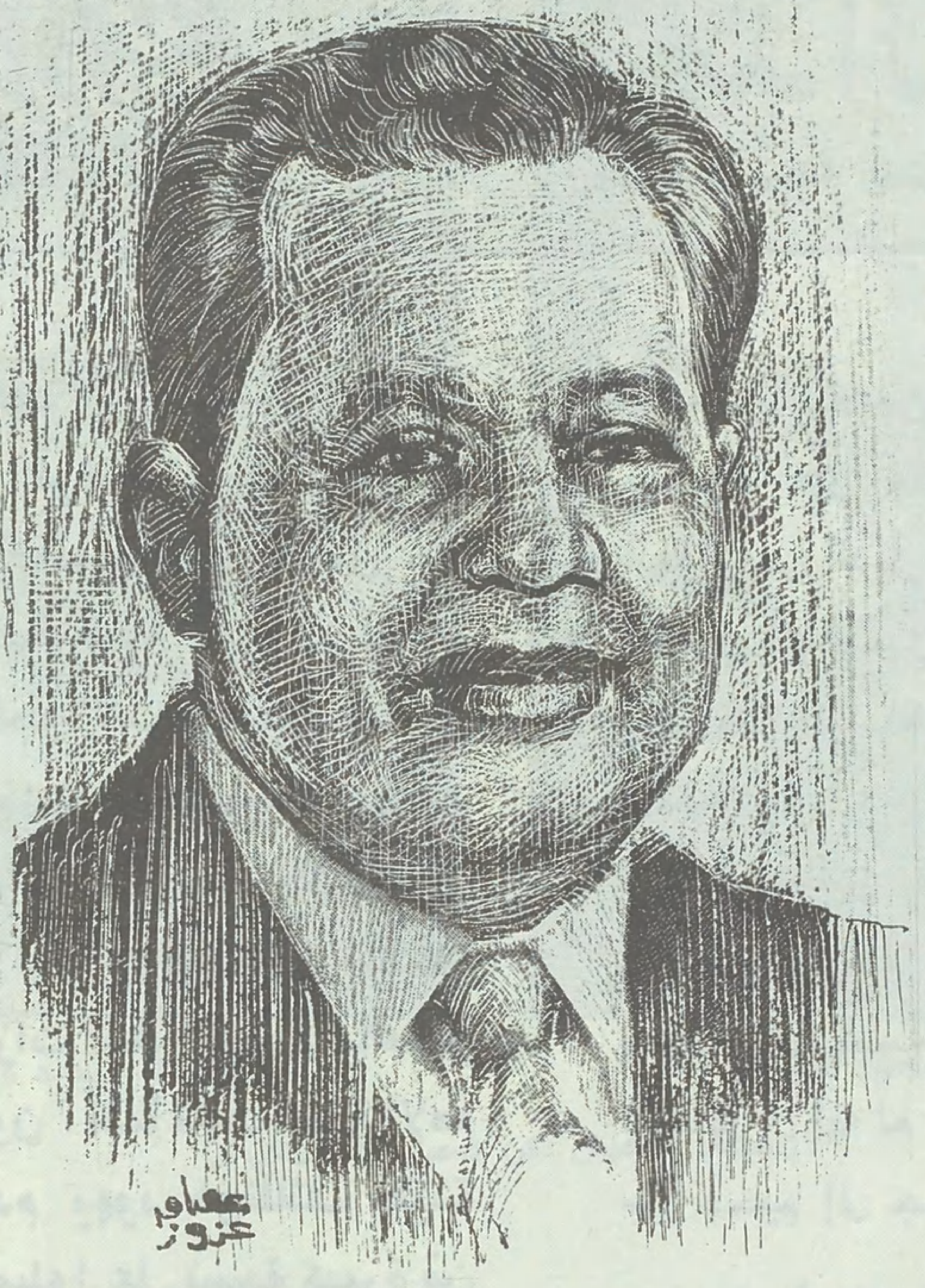

د محمد البهي:
من الخطر على المد الإسلامي أن لا ينطلق من الفهم الصحيح للقرآن والسنة ○

● كانت «الماسونية» الوسيلة التي اعتمد عليها اليهود، في القضاء على النظرة الدونية لليهودي في المجتمعات الأوربية.

السياسيين، وهناك أيضاً رعاية للسياسيين من جانب الكنيسة النصرانية.

ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك — أن الكنيسة وراء الحركة البولندية، فالحركة العمالية البولندية التي تمردت على الحكم الشيوعي، إنما تكمن وراءها وتساندها الكنيسة الكاثوليكية .. وهكذا نرى النصرانية تتدخل في السياسة عنوة وقصداً.

ولكن — للأسف الشديد — الدين الوحيد الذي يُخشى تدخله في السياسة هو الإسلام، وكأن القول «بالفصل بين الدولة والدين» مقصود به الآن الإسلام وحده .. وأي جماعة .. وأي دعوة تعمل «لأسلمة» السياسة والحكم تتعرض للعسف والاضطهاد وتُكال لها التهم، وتُفترى ضدها الأكاذيب !!

ثلاثة معاول ..

ويضيف الدكتور البهي:

«عندما وصل يهود إلى أوروبا كان استقبال الاوروبيين لهم استقبالاً غير مرضٍ .. وعندما سافرت إلى ألمانيا قبل هتلر وبعد هتلر، كنت أرى أن قيمة **اليهودي الألماني أقل من قيمة النصراني الالماني**. كان اليهودي مواطناً من الدرجة الثانية، وكانت هذه المنزلة لليهودي، في كل أوروبا، ولكن اليهود استطاعوا عن طريق التدبير والتخطيط الخفي، أن يفرضوا أنفسهم على هذه المجتمعات بعد أن أعملوا معاول الهدم فيها، **وفرغوا الشخصية الأوروبية من «نصرانيتها»**. لقد كان يهود ولا يزالون يفرضون توظيف يهود في المؤسسات الصناعية والمؤسسات الإعلامية .. لقد حارب يهود معركتهم في هذه المجتمعات بمعاول ثلاثة هي: الماسونية، والعلمانية، والماركسية. وكان الهدف الكبير أمامهم: عزل الدين أي دين عن التأثير في حياة الناس، فالماسونية تناولت الرؤوس سواء رؤوس الاقتصاد، أو العلماء، أو رؤوس الدول، فأغرتهم بالانضمام إليها، والماسونية تقوم على أساس تغليب فكرة «الإنسانية» أو «العالمية» على العقيدة الدينية وعلى فكرة القومية .. وعلى فكرة الوطنية ..

وتغليب فكرة «الانسانية» التي تقوم عليها الماسونية يعني إلغاء هوية الإنسان الحقيقية التي تتمثل أول ما تتمثل في عقيدته الدينية، وتجريده من إنتمائه الوطني، وقد استطاعت اليهودية عن طريق الماسونية أن تقضي على النظرة الدونية لليهودي في المجتمعات الأوروبية !! بل لقد

آخر حوار مع الدكتور محمد البهي (رحمه الله)

استطاع يهود أن يشغلوا نسبة كبيرة من الوظائف في الهيئات الدولية . ويحضرني هنا مثل كان قبيل معاهدة سنة ١٩٣٦م مدير مصلحة الجوازات والجنسية في وزارة الداخلية انكليزياً ، وبعد تمصير وزارة الداخلية حل محل الانكليزي لبناني ماروني ، فكان يعطي جوازات سفر لليهود باعتبار أنهم مصريون ، فلما قامت هيئة الأمم المتحدة تقدم يهود لوظائف هيئة الأمم ، وحصلوا على نسبة كبيرة من وظائفها ، وعندما اعترض مندوب الحكومة المصرية لدى السكرتير العام ، كان جوابه على هذا الاعتراض : ـ إنهم مصريون قبل أن يكونوا يهوداً ، لأن بأيديهم جوازات سفر مصرية !!

والمعول الثاني الذي استخدمته اليهودية في معركتها مع المجتمعات الأوروبية هو معول العلمانية ، وكان ميدان الهدم هو ميدان الثقافة .. وميدان التعليم .. **وتقوم العلمانية على أساس فصل الدولة عن الدين** ، فجعلت للدين وظيفة خاصة ، وجعلت للدولة وظيفة سياسية أخرى ، وقصرت الدين على العلاقة بين العبد وربه ، وأعطت الفرصة كاملة للدولة تصرف شؤون المجتمع بعيداً عن الدين ، حتى إذا نظرت الدولة إلى رعاياها من أفراد المجتمع ، فلا تنظر إليهم على أن هذا نصراني وهذا يهودي ، وإنما تنظر إليهم على أساس أن كلاً منهم إنسان !! **وكسب اليهود الكثير من وراء انتشار العلمانية**

ثم جاء **كارل ماركس** وهو يهودي ، وأنا لا أبرّئه من تأثير اليهودية على تفكيره ، لأن تفكيره ليس تفكيراً منطقياً ، وإنما هو تفكير حماسي يثير الحماس عند من يخاطبه ، وكان هدفه أيضاً : عزل هذا القطاع الكبير من العمال عن الدين ، **فالماركسية ـ وهي المعول الثالث في يد اليهود ـ** ليست فكرة اجتماعية ، وليست فكرة اقتصادية ، بدليل واقع المجتمعات التي تدعي تطبيق الماركسية فالاتحاد السوفييتي مثلاً هل رأى الجنة التي وعدته الماركسية بها فضلاً عن أن يدخلها ؟! إنه لم ير شيئاً إلا أنه ينتقل من جحيم إلى جحيم هناك !!

وهذه أيضاً بولندا تتمرد على وصاية الحزب الشيوعي على النقابات العمالية ، بعد أن ذاقت الويلات من جحيم الماركسية !!

فالماركسية استهدفت تبغيض هذا القطاع الكبير من العمال في الدين ، وأن تباعد بين الدين وبينهم حتى لا يكون للدين أي سلطان على الحياة ، فإذا ابتعدت المجتمعات الاوروبية عن النصرانية ، ولم يعد لها السلطان الذي كان من قبل ، عادت لليهود منزلتهم وتساووا مع غيرهم في المنزلة ، ولم يعودوا مواطنين من الدرجة الثانية كما

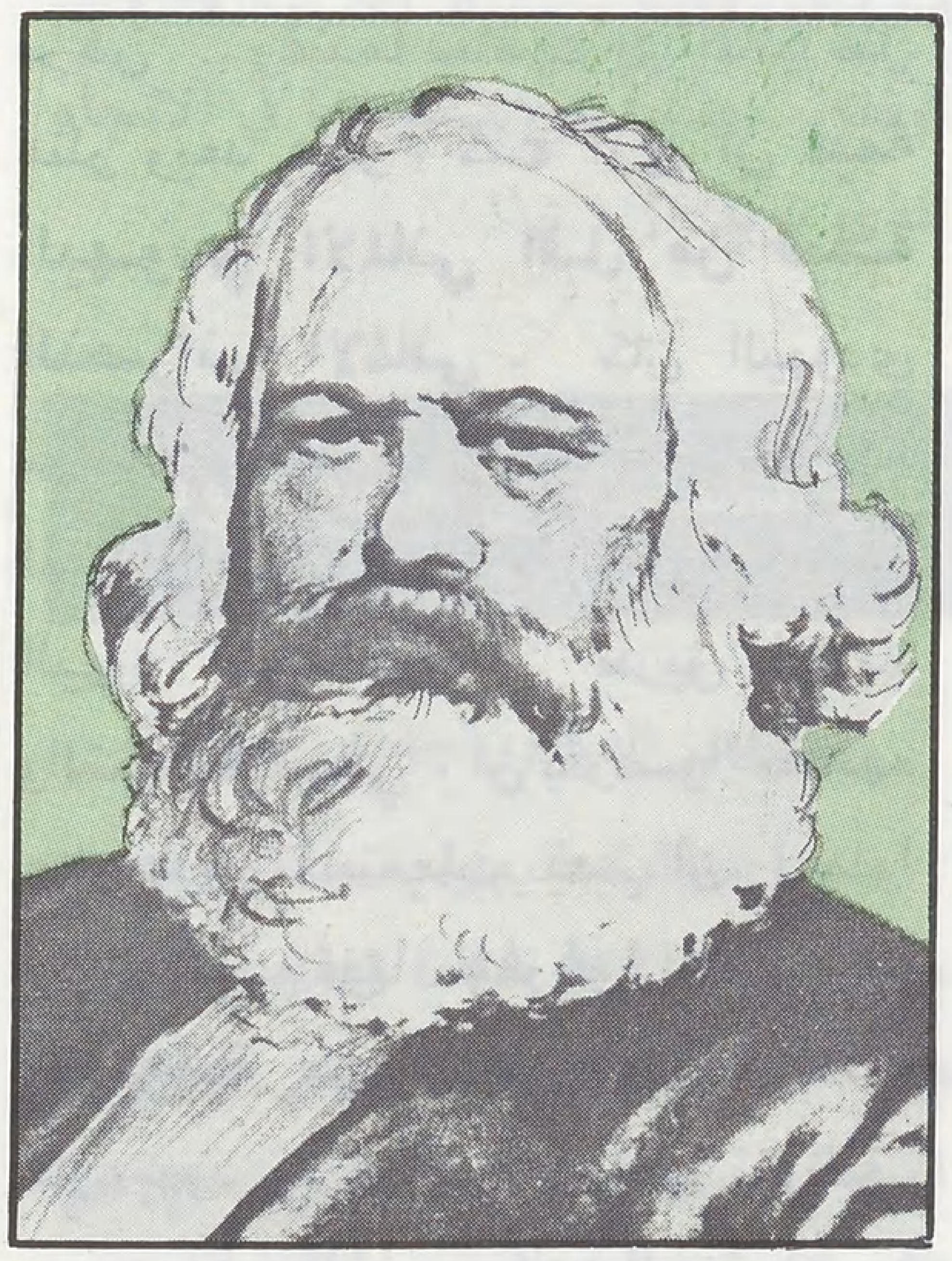

○ كارل ماركس
احد المعاول الصهيونية ○

كانوا حتى قبيل الحرب العالمية الثانية !!

ويضيف الدكتور محمد البهي :

ـ ومن الموجع للقلب أننا نرى المعاول الثلاثة ذاتها تستخدم أيضاً لتخريب مجتمعاتنا الإسلامية !!

المد الاسلامي ... والقدوة ..

سألت الدكتور محمد البهي :

ـ ما هو تقويمك لما يطلق عليه اليقظة الاسلامية أو المد الاسلامي ؟!

فأجاب بقوله :

ـ في الواقع أنا أرى شباباً متحمسين للإسلام وللدعوة الاسلامية وللفكرة الاسلامية ، لكن أخشى ما أخشاه أن يكون هذا المد الاسلامي على غير أساس سليم ، لأن من الخطر على المد الاسلامي واليقظة الاسلامية نفسها ألا ينطلقا من الفهم الصحيح للقرآن وللسنة الصحيحة ، **ولا يفهم القرآن الكريم** ولا تفهم السنة النبوية الشريفة من كتب معينة ، إنما يفهم القرآن من القرآن نفسه مع الاستعانة بالكتب التي تساعد على هذا الفهم الصحيح السليم وكذلك السنة .

وعلى العاملين في حقل الدعوة الاسلامية أن يتنبهوا لما يمكن أن يوضع في طريقهم من معوقات بصورة أو بأخرى ، وما يمكن أن يوجه إليهم من اتهامات باطلة ومصطنعة ومزيفة ومزورة ومدبرة تهدف إلى إيقاف هذا المد ، أو تجميده ، أو احتوائه ، أو الانحراف به ، وإذا حدث شيء من هذا ستكون له آثار سلبية على الناشئة ، **ولكن سرعان ما تنجلي الغمة** ، إذا ثبت الدعاة وصمدوا أمام هذه التحديات ، ويكون لهذا الثبات وهذا الصمود آثار إيجابية تفوق الآثار السلبية السابقة . ولأن الأوضاع السياسية في الأقطار الاسلامية غير مستقرة ، فلا يستطيع أي مفكر أن يحدد النتائج أو يقوم الإيجابيات

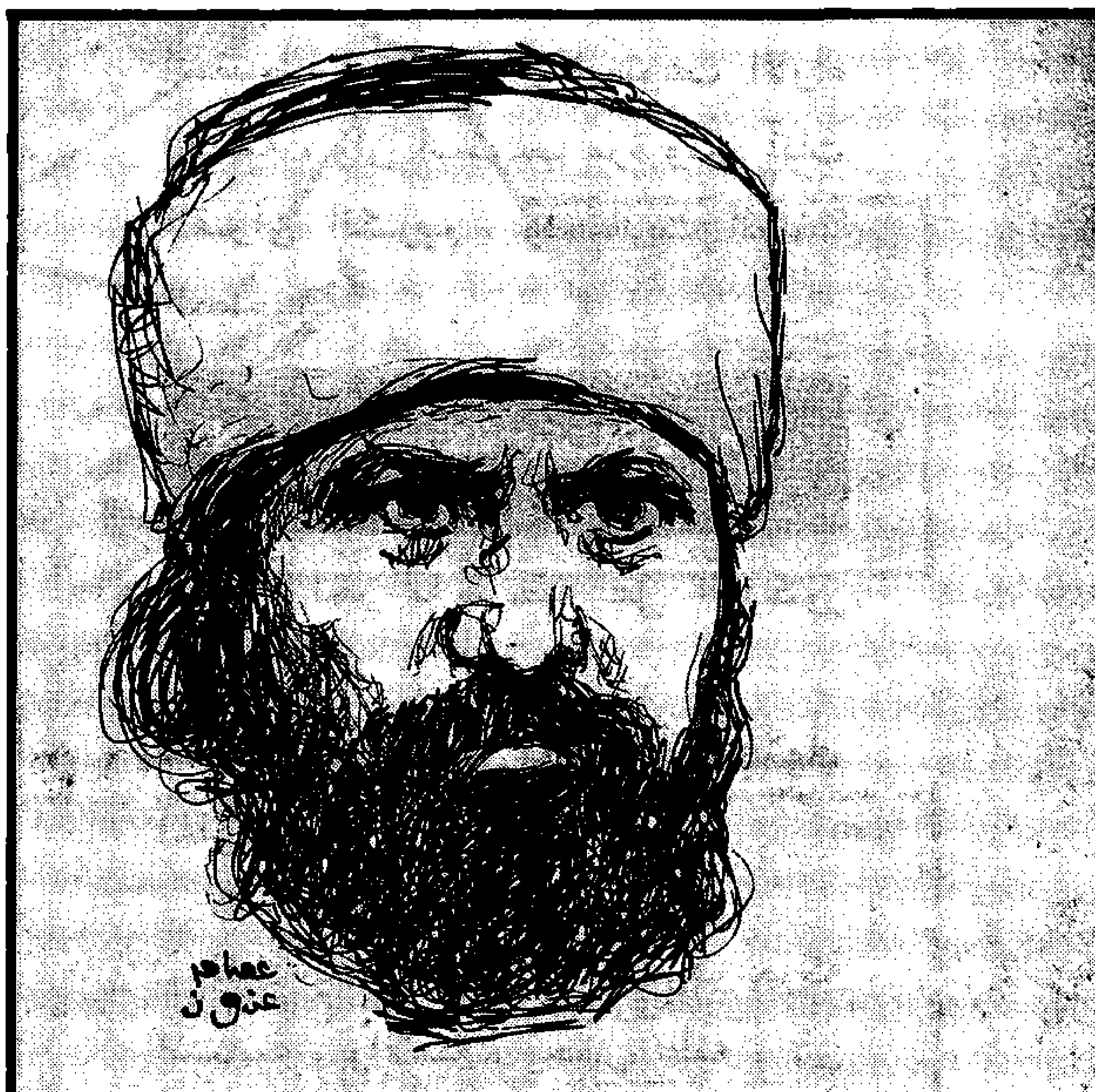

○ الشيخ جمال الدين الأفغاني :
قاد الاتجاه المقاوم للاستعمار ○

○ الشيخ محمود شلتوت ○

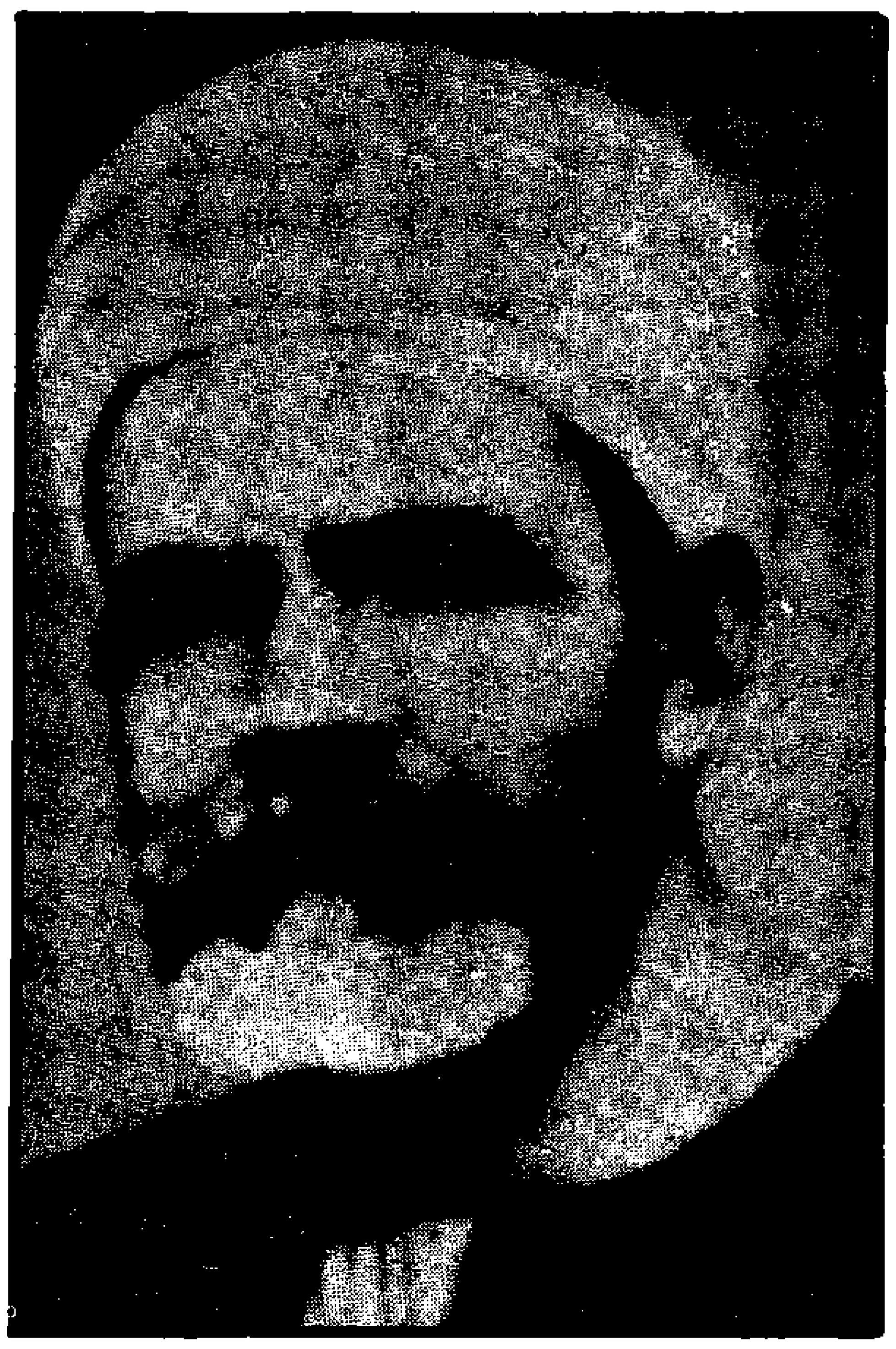

○ الشيخ عبد المجيد سليم ○

○ الاجتهاد المستقل لكن ضمن إطار معين ○

والسلبيات لحركة المد الاسلامي .

إن الأعداء يراقبون ويرصدون حركة هذا المد ، ويدبرون ويخططون لضربه أو تعويقه أو تجميده أو إجهاضه .. ولكن أقول للمشتغلين بالدعوة الاسلامية : احذروا هذا التعويق المبيت والمرسوم قبل أن يقع ، أو لا تعطوا لأعدائكم المبرر لمواجهتكم ، كما أنبه القائمين على الحركات الاسلامية أن يأخذوا أنفسهم بالتربية حتى يعطوا القدوة الحسنة من أنفسهم لغيرهم من الأجيال الناشئة حتى إذا ما تكاثرت القدوات الحسنة ، عندئذ يصبح المد الاسلامي قوياً ، ولا يوقفه ما يوضع أمامه من عقبات ، وتفشل المخططات المعادية في تجميده أو إجهاضه !!

الاتجاه المقاوم للاستعمار

قلت للدكتور البهي :

ـ في كتابك « الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي » تحدثت عن اتجاهين ! اتجاه ممالىء للاستعمار واتجاه مقاوم له . ما هو تقويمك لكلا الاتجاهين الآن ؟!

فقال :

« الاتجاه المقاوم للاستعمار أقوى من ذي قبل كثيراً ، لأن حركة المد الاسلامي واليقظة الاسلامية ركزا عند الشباب عقدة الاستعمار ، وفضحا مخططات أعداء الاسلام التي تقوم على إضعاف صلة المسلمين بإسلامهم ، وتشويه مبادىء الاسلام في نظرهم ..

إن الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين أدركوا حقيقة الوجه الشائه للاستعمار قديماً وحديثاً ، وأنه عامل مفرق بين المسلمين بعضهم بعضاً ، وأنه ينهب ثروات المسلمين ويبدد قواهم كي يبقوا متخلفين أبد الدهر !!

إن اتجاه **أحمد خان** في الهند ، وهو مثال للاتجاه الممالىء للاستعمار ، لم يبق على قوته التي كان عليها في القرن التاسع عشر !! وكلية عليكره وقد أنشئت للمساوقة بين الاسلام والنصرانية لم يعد منهاجها اليوم هو المنهاج ذاته ، الذي قامت عليه ..

فالاتجاهات التي مالأت الاستعمار فيما مضى لم تبق على ما هي عليه ، لأن الأجيال الجديدة لم تعد تؤمن بها ..

أما الاتجاهات المقاومة للاستعمار فقد ازدادت قوة ، فاتجاه جمال الدين الأفغاني واتجاه الشيخ الإمام محمد عبده كان يمكن أن يكون أقوى من هذا لو لم يتصد المستشرقون لهما بأقلام شباب المسلمين الذين ربوا على أيدي المستشرقين ..

كما أن **المستشرقين** لم يعودوا من الحمق والبجاحة مثلما كانوا في الماضي ، فلم يعودوا في مواجهتهم للإسلام يستعملون الأسلوب الاستفزازي المباشر ، لكنهم صاروا أشد خبثاً ؛ وأمامي كتاب لمؤلفة انجليزية بعنوان « الاسلام والعصر الحديث » وللأسف إن هيئة الكتاب ترجمته وطبعته ونشرته على حسابها رغم ما فيه من طعن على الاسلام ، وفيه من الخبث ما لا يدركه إلا إنسان متخصص ، تقول المؤلفة : إن بعض المسلمين يفرقون بين الاسلام وبين النصرانية وبين اليهودية ، ويجب عليهم ألا يفعلوا ذلك ، لأن الديانات الثلاث من بيئة واحدة ومن أصل هليني واحد !!

والتيار الممالىء للاستعمار تحول إلى العلمانية .. **فالدعوة إلى العلمانية دعوة طاغية اليوم ، وهي تنتشر بيسر وسهولة .. وهي تحاول ـ كما سبق أن قلنا ـ إبعاد الاسلام عن شؤون التربية وعن التشريع وعن العلاقات الاجتماعية وعن العلاقات الأسرية** .. لقد وصل الحال إلى أن تتزوج الفتاة المسلمة بشاب نصراني يتخذ له اسماً اسلامياً آخر بجانب اسمه النصراني ، ولكنه أكثر اصراراً وأكثر تحدياً بالنسبة للإسلام . وربما

آخر حوار مع

الدكتور محمد البهي

(رحمه الله)

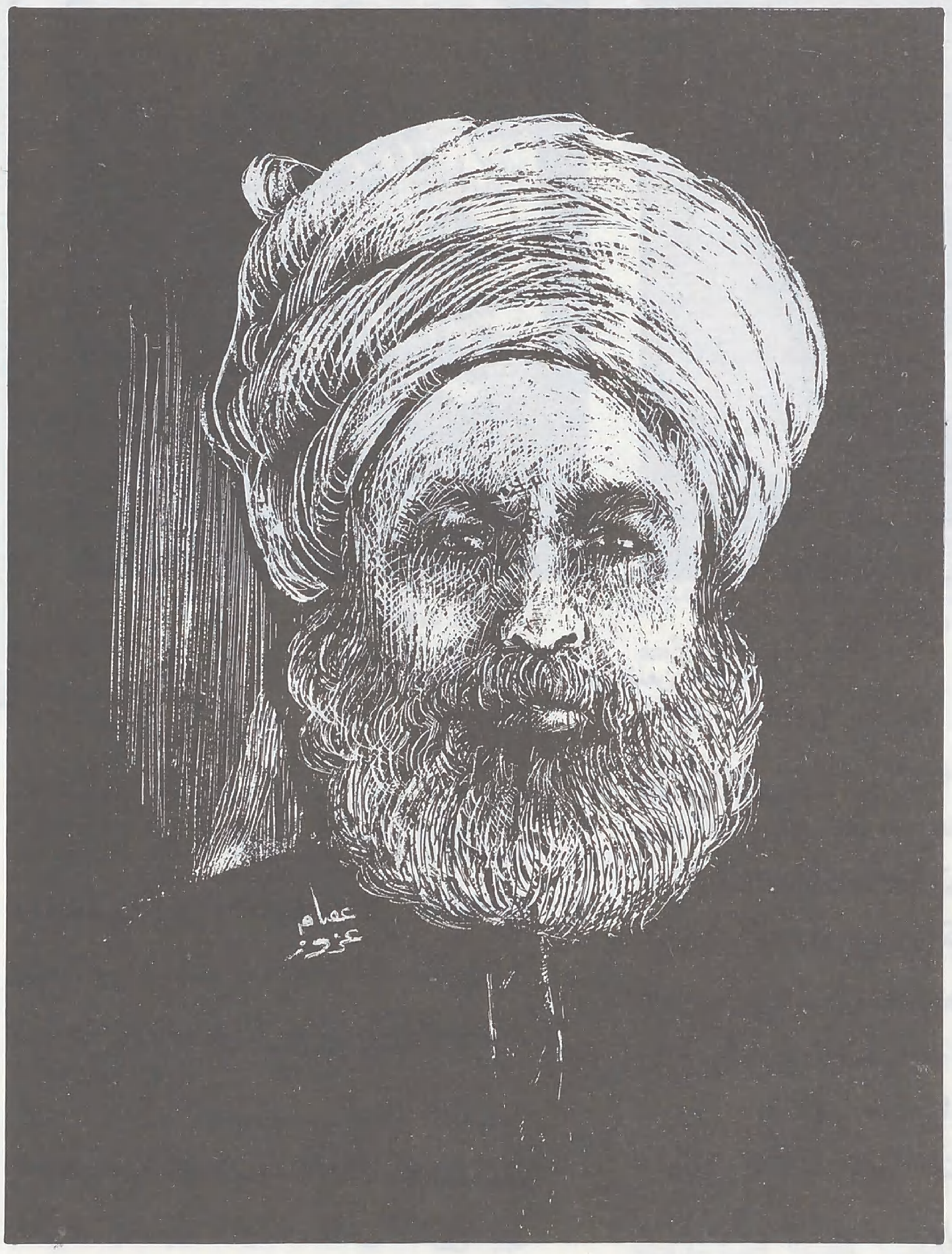

○ الشيخ محمد عبده : كان له استقلاله في الاجتهاد ○

كان الدافع للزواج من الفتاة المسلمة هو الانتقام ، لأن الكراهية للاسلام كراهية مجسدة في نفوس الكثيرين ، ويريدون أن ينتقموا بطريقة أو بأخرى في شخص المرأة أو البنت المسلمة ، وهي بطبيعتها ضعيفة !!

هل الفكر الاسلامي في أزمة ؟!

قلت للدكتور البهي :

ــ هناك من يقول : إن الفكر الاسلامي في أزمة ، وإن المفكرين الاسلاميين المعاصرين يعيشون عالة على مفكري القرون الماضية ، وإنهم عاجزون عن إيجاد حلول إسلامية لقضايا العصر ، فما رأيك في هذا القول ؟!

فقال :

ــ لست مع هذا القول ، صحيح أن كثيراً من المفكرين يعتمدون على القرون الماضية ، ولكن عندهم استقلال ولهم شخصيتهم الفكرية في الاستنباط والاستدلال ، هذا شيء واضح ، فمثلاً أنا لا أتهم **الشيخ محمد عبده** بأنه عاش عالة على من سبقوه ، صحيح هو لم يخرج خروجاً واضحاً ولم يكن بين اجتهاده واجتهاد من سبقه فجوة ، ولكن لا شك أن له استقلاله . ومثال آخر : **الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد المجيد سليم** ، أعتقد أن لكل واحد منهما فكره واستقلاليته وعشرات غيرهم ، فهؤلاء جميعاً علماء ومفكرون لهم استقلالهم واجتهادهم ولكن في إطار معين ، وهذا هو الواجب ، **لأن المفكر الاسلامي يختلف عن غيره من المفكرين غير المسلمين الذين قد يستقل الواحد منهم استقلالاً تاماً عمن سبقه ، وقد يقف ضدهم ، ولكن المفكر الاسلامي لابد وأن يحتاط حتى لا يخرج على مبدأ من مبادىء الاسلام أو أصل من أصوله ، وأن يلائم بين فكره وبين القرآن والسنة الصحيحة** .. هذه الملاءمة تحتاج إلى احتياط كبير ، فقبل أن أفسر آية أو استنبط رأياً لابد أن استوعب الآراء القائمة ، وأن استوعب مرة ومرة آيات القرآن الكريم ، وأحاديث السنة الصحيحة ..

الاجتهاد حركة انسانية !!

كان آخر ما طرحته على الدكتور البهي هو :

ــ ما رأيك في القول بأن باب الاجتهاد أغلق ؟!

فأجاب بقوله :

ــ كيف يغلق باب الاجتهاد وهو حركة إنسانية ، والاسلام يحض عليه ، لأن من المقرر أن من اجتهد وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد واخطأ فله أجر واحد . فهذا دليل على الحض على الاجتهاد ، وكأنه يقول للمجتهد : لا تخف ، فباب الاجتهاد لا يغلق لأنه عمل إنساني وحركة إنسانية دائمة ، فالاجتهاد أساسي وضروري ، ومن ديمومة الاسلام وديمومة الفقه الاسلامي وجود الاجتهاد ، فعملية الاجتهاد عملية بشرية إنسانية ، وظيفتها تغطية المبادىء الاسلامية للأحداث المتجددة ، وهذه الأحداث المتجددة أحداث بشرية تتصل بخصائص الطبائع البشرية ، وكل ما علينا وكل ما لنا هو أن نفهم ما يريده الإسلام في حكم من أحكام الفقه وندرج هذا الحدث تحت هذا الحكم أو ذاك .

قلت :

ــ للاجتهاد شروطه وقلما تتوفر هذه الشروط في المعاصرين ؟!

فقال :

ــ نعم قلما تتوفر هذه الشروط .. أنا لا أقول : إن الكثرة الكاثرة من المفكرين المعاصرين تتوفر فيهم صفات المجتهد ، ولكنها توجد حتماً ولو في قلة من العلماء .. وباب الاجتهاد لم ولن يغلق !!

كانت وفاته رحمه الله يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي القعدة ١٤٠٢هـ ، الموافق للتاسع من أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢م

بطاقة من قارئ

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحة محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيَّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها ..

أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

الأســـرار الغيبيـــة ...

□□ إن الفرق بين **العقل المؤمن والعقل الملحد** : أن الأول يربط الأسباب بالمسببات ويعترف بعجزه عن إدراك الغيب ، بينما الآخر يرفض ذلك وينكر الغيب مع أن حقيقة العقل غيبية ، وطريقة عمله غيبية أيضاً ...

والإنسان مع كل ما وصل إليه من تقدم علمي لم يكتشف العلاقات التي تربط بين أعضاء الإنسان وطريقة تفكيره وقيامه بالعمليات العقلية ..

وهكذا يرفض العقل المادي الغيب بأداة لا تزال سراً غيبياً..□□

القـــارىء :

عز الدين برهان بيروت

عن محاضرة للدكتور محمد علي الجوزو

حول مكانة العقل في القرآن

النفط والرؤيـــة التوراتيـــة ...

□□ أقام الأمريكي « **اندي سوريل** » ـ الذي يعمل في مجال التنقيب عن البترول ـ برجاً للحفر في شمال حيفا ، وذلك لاقتناعه بما جاء في التوراة من أن « **اطفال آشر كانوا يبللون اقدامهم في الزيت** » .. على أساس ان هذه الإشارة ـ التي وردت في **الفقرة « ٣٣ من الإصحاح ٢٤ »** من التوراة ـ سوف تتيح له العثور على البترول ، فقام على الفور بدراسة بعض الخرائط « التاريخية ! » ، وتوصل إلى موقع لإحدى المدن القديمة التي يرجع تاريخها إلى عهد الحروب الصليبية ..

وتجدر الإشارة إلى أن « **سوريل** » ، وهو أحد الشركاء في ملكية شركة « **إنرجي اكسبلوريشن** » قد قام خلال أعمال التنقيب بالحفر لأعماق بلغت **٥٧٥٠ متراً** ، وقرر ان يصل إلى **٧٣٠٠ متر** ، مستخدماً جهازاً أكثر كفاءة استورده خصيصاً لإسرائيل ..

وأعربت الحكومة الإسرائيلية عن رأيها باحتمال وجود بترول ، ولكنها لا تشارك في تمويل عمليات البحث التي يجريها «**سوريل**»□□

(الاتحـــاد)

القـــارىء :

عبد السلام عزام ـ الإمارات العربية المتحدة

علاج المشاكل النفسيـــة ..

□□ في أول حديث صحفي يجرى معه ، قال الصهيوني : « **غودمان** » الذي هاجم وقتل المصلين المسلمين في المسجد الأقصى بمدفعه الرشاش ، لمراسل « **اسوشيتد برس** » : [**إنني غير آسف على هذا العمل ، فهو يتفق مع عمليات الاغتيال السياسي الذي كان يجب أن يسبقه الوف من الهجمات المماثلة .. إنني قمت بواجبي ونفذت مهمتي بالانتقام من العرب ، فانا مأمور من الرب بالاستيلاء على هذا الموقع**] ..

وكان المحامي الذي يدافع عن « **غودمان** » ـ ٣٨ سنة ـ قد أشار إلى أن موكله يعاني من مشاكل نفسية !!! □□

(الـــوطن)

القارىء :

عثمان احمد عبيد ـ السودان

الشيوعيون ..

□□ عندما قام نيكسون ـ إبان فترة رئاسته للولايات المتحدة الأمريكية ـ بزيارة لموسكو ، اصطحبه بريجنيف الأمين العام السابق للحزب الشيوعي السوفييتي في زيارة عائلية لمنزل والدته ..

يقول نيكسون :

كان بريجنيف يستعرض أمامي التحف والمجوهرات التي تملكها أمه ونحن نزور منزلها ، وفجأة صاحت أمه تسأله : **ما الذي سنفعله يا ليونيد إذا عاد الشيوعيون؟!** □□

من مذكرات نيكسون الرئيس الأمريكي الأسبق

القارىء :

فتحي احمد النجيلي ـ جمهورية مصر العربية

للكبـــار فقـط ...

□□ **إننا ننصحكم بإبعاد الأطفال عن شاشة التلفزيون لأننا سوف نعرض مشاهد من فيلم وصل لتوه من بيروت عما يجرى في مخيَّم « شاتيلا » .. إن بعض المشاهد قطعت لأنها مرعبة** □□

مذيع شبكة : س.إن.إن الامريكية بعد يومين من المذبحة

من القـــارىء :

إسماعيل رمزي العوضي ـ الولايات المتحدة الامريكية

■ لا عداوة دائمة ولا صداقة دائمة .. بل مصالح دائمة ■

بقلم : د. محمود البرشومي

الإسلام في حياتنا

أثر الدين في حياتنا :

شعبنا العربي شعب متدين من قديم الزمان ، قامت حضارته الأصيلة على تمجيد الروح وعلى الإيمان بالخلود والبعث ، والدين في تركيب شعبنا النفسي أساس لأي منطلق خلاق فيه ، فحضارته الأصيلة مبعثها تدين فطري فيه ، وأمجاده الباقية مرتبطة بإيمانه ببعث ونشور ، وآثاره الشامخة أساسها الارتباط بالدين وما توحيه قيمه من عمل صالح يبقى ما بقيت الأرض والسماء .

والدين في مجتمعنا هو كالروح للجسد ، وهو المحرك الأول لكل طاقاتنا ، لأنه يفسر لنا لماذا نحيا ؟ . . يخطط للفرد وللجماعة ، ويضع الحلول الآنية والمستقبلية ، ويسهم بعد اختلاطه بضمير الإنسان بالعمل على راحته وتكريمه ، وهو الذي رسخ بثورته في أنفسنا قيمة العدل وقيمة الكرامة الإنسانية ، وهو الذي حبب إلى نفوسنا العمل ، وفرض على عقولنا التفكير .

إن كل القيم الروحية التي بشرت بها الأديان كانت قيماً جديدة رافضة لكل ما وصل إليه الإنسان من ظلم وذل بتفريطه في الإيمان بالله العلي القدير . إن الإسلام الذي ندين به يرفض الظلم ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ (الشورى : ٣٩) ، أو كما يقول سبحانه : ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (الشورى : ٤١) .

والاسلام يرفض ويمنع الرق والذل والحاجة ، ويثور على ظلم المرأة وظلم الفقراء ، ويرفض جشع الأغنياء وطمع الأنانيين الذين يحبون ذواتهم ، وهو دعوة إلى تمجيد العمل وتكريمه ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة ١٠٥) .

إن الإسلام الذي ندين به ينفي الذل من قاموس الحياة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (النساء : ٥٧) .

ولا يرفع الإسلام شعارات بلا مضمون ، وإنما يضع ما جاء به موضع التطبيق يلزم به الحاكم قبل المحكوم ، ويثبت ما جاء به بسلطة الضمير والقانون بعد اقتناع تام ورضى من المطبّق عليهم ، وباختيارهم الحر يتوجهون إلى حاكمهم ليحاكمهم على ما ارتكبوا من آثام في خفية عن المجتمع لأن الإيمان يدفعهم إلى هذا ، وضميرهم المقتنع يجعلهم يستعذبون حكم الله فيهم ، وما قصة ماعز والغامدية عنا ببعيد . فقد ذهبا إلى رسول الله ﷺ بعد أن ارتكبا جريمة الزنا ـ وأقرا على نفسيهما بفعلها ، وقالا : طهرنا يا رسول الله ، واعترف كل منهما على نفسه المرة تلو المرة ، وتحرى الرسول ﷺ بأسئلته المتعددة وجود الشبهة التي تحول دون إيقاع الحد ، تمكيناً للقاعدة (ادرؤوا الحدود بالشبهات) ، ولكنهما أصرا فأقيم عليهما الحد .

الإسلام منهج حياة :

وليس الإسلام هو قطع يد السارق ورجم الزاني فقط كما يتبادر إلى أذهان بعض الناس من فهمهم الضيق للإسلام ـ أو معلوماتهم المبتسرة عنه ـ ولكنه حياة كاملة وتطبيقات لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لأنها تنزيل من حكيم عليم .

يتناول الإسلام الفرد من قبل أن يولد إلى ما بعد وفاته ، ويسهم في بناء الفرد والجماعة ، يحترم للفرد فرديته وحريته التي لا تجور على الجماعة ، ويحترم للجماعة حقها وبدون افتئات أو تضييع لحق الفرد في أن يشعر بذاتيته وقيمته وجدواه في الحياة وعطائه فيه وحريته ، لأن قيم الإسلام الروحية والأخلاقية توجد الجو الصحيح والمناخ الصالح للتقدم بالبشرية بأسرها متوائمة مع الطبيعة والكون ، مسخرة له لصالح البشرية بأسرها ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ كما يقول الله سبحانه وتعالى .

وموقف الإسلام أنه لا يحارب الغنى من حيث هو غنى ، ولكنه يحاربه إذا وقف حجر عثرة في سبيل محاربة الفقر والوصول إلى نتائج سريعة للقضاء عليه ، وإذا كان أمر الإسلام كذلك ، وأنه يقدم حلولاً ويسهر على تطبيقها بقوة الإلزام وباقتناع تام من الذين يدينون

به ، ويحققون ما رسمه لهم من طريق سويّ في الاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلاقات الخارجية ، والعلاقات الخاصة بين الفرد والفرد ، أو بين الفرد والجماعة ، أو بين الجماعة والجماعة ، أو بين الجماعة والجماعات الأخرى ، أو بينه كدين سماوي وبين أصحاب الديانات الأخرى ، والتعامل معها بسماحة وإنسانية ، وأن الاختلاف هو سمة الحياة وسنتها كما يقول تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (يونس : ١١٨) .

وإذا كان الإسلام كذلك فأين مكانه الآن في دنيا النّاس ؟

هل حاول المسلمون وضعه موضع التنفيذ بين المذاهب المختلفة ؟ هل حاول مفكرو الإسلام أن يُجْلوه ويظهروه حتى يكون أمام الناس وأمام الحكام على الأخص ؟

إن الإسلام له حلوله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والقانونية ، وهو واضح بأهدافه وغاياته ، وهدف الإسلام إسعاد الناس في الدنيا والآخرة ، فهو لا يحرّم مباحاً ، ولا متعة من متع الدنيا الحلال ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ٣٢-٣٣) .

وقد يظن ظان أن الحرام أكثر من الحلال ، ولكن الأمر بالعكس ، فالحلال أكثر والحرام محدود بحدود الشرع ، والتحليل والتحريم هما سلطة

○ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسبة يقوم بها الجميع حتى لا يخرج أحد على أهداف الإسلام وغاياته ..

الله وحده ، يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل : ١١٦) ، والقاعدة الأصولية تقول : (كل الأشياء على حلها ما لم يأت بتحريمها نص من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ) .

فما لم يأت فيه نص فهو مباح ، وما نص عليه الكتاب فعلى المسلم أن يقف عنده لا يعدوه ولا يتجاوزه ولا يحاول أن يؤوله خدمة لمصلحته وهواه . فما حرمه الله فلمصلحة البشر ، وما أحله فلمصلحة البشر أيضاً .

الإسلام سبيل السعادة :

ولقد طبق المسلمون الأولون الإسلام وجعلوه أسلوب حياتهم يأتمرون بأمره ، وينتهون عما نهى الله عنه ، طبقوه في كل أمر من أمورهم : في البيت طبقوه ، وفي السوق أيضاً ، وفي دور العلم والعبادة أقاموه ، ولم يكن الإسلام سلبياً بل إيجابياً يطبق على الجميع : على الحاكم والمحكوم ، وفي كل مرافق الحياة ، فسعد الناس وأسعدوا غيرهم ، وتحقق فيهم قول الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

فالأمر بالمعروف هو أسلوب حياة المسلمين ، والنهي عن المنكر حسبة يقوم به الجميع حتى لا يخرج أحد على أهداف الإسلام وغاياته .. أو يعيش الناس في تلفيق بعض العادات الجاهلية مع صلاة سلبية وعبادة بعيدة عن روح الإسلام ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي . « ومن لم يكن عنده ورع يحجزه عن معاصي الله إذا خلا لا يعبأ الله به » كما يقول عليه الصلاة والسلام .

والإيمان بالله دافع إلى الرفعة بالحياة وإثرائها وتكريم الإنسان :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

هذا التكريم الذي كرم الله به الإنسان وحمله في البر والبحر ورزقه من الطيبات وميزه بالعقل والفكر ففضله على كثير ممن خلق تفضيلا . هذا التكريم يقتضي من الإنسان أن يحافظ على إنسانيته ويرتفع بها فلا يعصي الله ، ولا يشرك به ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان : ١٣) .

إن الإسلام لو طبق في حياتنا كما ينبغي ، وكما جاء به محمد ﷺ من عند ربه لقدنا الحياة من جديد ، ولوضعنا بصماتنا على حضارة العالم كما وضعناها في الماضي ، فأهدينا للعالم حضارة وفلسفة وثقافة وعلماً وأخلاقاً وعقيدة سليمة ارتفعت بقيمة الإنسان وكرامته .

فهلا عدنا من جديد لإسلامنا الحق ولديننا الحنيف ، هذا أمل كل مسلم غيور على إسلامه وإنسانيته ، غيور على رفعة الإنسان وكرامته .

الشعر العربي المعاصر و الفكر الاسلامي

□□ لعلَّ من الخير أن نبدأ هذه الدراسة متسائلين :

هل يمكن للشعر العربي المعاصر ، أن يتكىء على تيار الفكر الاسلامي ، وأن يتخذه منطلقاً لفنونه : الغنائية والمسرحية والقصصية .. لمضامينه وصوره ورموزه ؟

نَعَمْ .. ألَا يمكن لتيار الشعر العربي المعاصر ، الذي تأثر بمختلف التيارات الفكرية الأوربية ، وشتَّى ألوان الصراع المذهبي العالمي ، والتيارات الفلسفية الشرقية والغربية - على حدّ سواء - ألَا يمكن لهذا الشعر ، أن يجعل تيار الفكر الاسلامي هو المنطلق الرئيسي له ؟ □□

لنجعل الفكر الاسلامي منطلقاً للشعر العربي المعاصر

وحتى لا ينظر إليَّ بعض المستغربين أو المستشرقين ، نظرة احتجاج واستنكار أو نظرة دهشة وذهول ، أبادر فأطمئنهم ، قائلاً : إن هذه التجربة قد نجحت في الماضي والحاضر ، نجحت في الماضي حين قدَّمت لنا وللعالم كله ، روائع الشعر العربي القديم التي تناولت أدَقَّ خواطر الانسان ومشاعره ، وأزماته وهمومه ، وحيرته وقلقه ، وسخطه وتمرده ، وموقفه من الحب والغربة والموت ، وتأملاته في الكون والطبيعة ، وتعاطفه مع الحيوان ، ورثاءه للطيور الصادحة ، وحنينه إلى الأوطان ، وتمجيده للقيم النبيلة ، وتصويره للبطولات الملحمية ، وبكاءه للديار المحتلة ، والأوطان الضائعة .. إلى غير ذلك من التجارب الشعرية الرائعة[1] ...!

كما نجحت تلك التجربة - حديثاً - في تقديم شاعر باكستان المسلم **(إقبال)** إلى العالم ، شاعراً عالمياً متميزاً بطابع فلسفي خاص ، وذلك حينما انطلق فكرياً وفلسفياً في شعره ، من منطلق التراث الاسلامي ، والفكر الاسلامي ، في أروع صورهما ، وأبهى حُللهما ، وقدَّم للعالم شعراً رائعاً ، له طابع خاص ، وسمات متميزة ، ولم يجعل شعره صدىً من أصداء الآخرين ، أو خَطفاً - أو - اقتباساً مشوهاً من فكر وفن غربيين أو شرقيين ...!

ويمكن أن نضيف إلى « **إقبال** » عدداً آخر من شعرائنا المعاصرين ، نجحوا فنياً في ذلك المجال ، ومن أبرزهم الشاعر عمر بهاء الأميري ، والشعراء : على أحمد باكثير - في شعره ومسرحه - ويوسف العظم ، وهاشم الرفاعي ، ومحمود الماحي ، وكامل أمين .. وغيرهم ..

العالم يختنق تحت ضغط الحضارة المادية

أعود .. فأقول : **نعم .. يمكن للشعر العربي المعاصر ، أن يتكىء على تيار الفكر الاسلامي في عالمنا المعاصر** .. هذا العالم الذي يكاد يختنق روحياً وفكرياً بمنطق العصر الآلي الصناعي .. عصر الانسان الآلي .. والعقل الآلي ، وأطفال أنابيب الاختبار ، والأزمات الاقتصادية ، والتفجيرات النووية ، وحرب الميكروبات ..!

إن هذا العصر الذي نعيشه رُعباً وسأماً عصرٌ مادي آلي صرخ أكثر من مفكر وشاعر بعقمه الانساني ، وجفافه الروحي ، وأصبح فيه الإنسان مهدداً بالموت الذّرِّي ، والإبادة النووية ، ومحاصراً بالسلام القاتل ، والرعب المدمر ، وتلاشي الذات ، وانكماشها ، وإحساسها بالعزلة والضياع في طوفان الشعارات والضغوط الاجتماعية ، والحرب الباردة والمشتعلة ، وفقدان التعاطف والمحبة ، بل .. وفقدان الإرادة أمام ضغط المجتمع من جهة ، وضغط الحضارة الآلية الصَّمَّاء .. وفقدان الثبات والاستقرار في عالم القيم من جهة أخرى ..!

فهناك تغيير عنيف سريع كل يوم .. في كل شيء ، والقيم الروحية التي أَخَذَت طابع الثبات والاستمرار في الماضي .. أصبحت الآن غير مستقرة ، « وقد كان يمكن في ظل الحضارات القديمة التخطيط لمثل عليا ثابتة ومحدودة ، وكانت الأمور من الاستقرار نسبياً ، بحيث كان هناك مجالٌ للتسليم بهذا الأمر ، أو ذاك ، وبحيث كان يمكن تصور الأهداف والمثل العليا ثابتة محدودة ، مثلها في ذلك مثل الأوضاع القائمة ، **أما اليوم فليس هناك من نماذج أو صور تحمل طابع الديمومة ، ويمكن لها أن تقدم شيئاً ثابتاً مستقراً يمكن التسليم به ، كما لا توجد المواد التي يمكننا أن نصوغ منها أهدافاً نهائية وشاملة ، بل على العكس ، هناك تغيير دائم[2]** » .

بقلم : د. سعد دعيبس

● ألا يمكن للشعر العربي المعاصر أن يجعل تيار الفكر الإسلامي منطلقه الرئيسي ، بعد تحرره من التيارات الفكرية الأوربية المختلفة ؟

● لقد جنى العلم كثيراً ، بقدر ما أسدى من أياد ، على الوجدان الفردي .

وقد كان للعلم الحديث أثره في ذلك الاهتزاز الذي تعانيه القيم الروحية ، كما كان له أثره في شعور الفرد باغترابه الروحي ؛ ذلك لأن العلم الحديث يقوم على الاتصال بالعالم الموضوعي ، ولا يحاول بناء معرفة قائمة على الاتصال الروحي ، وفي ذلك يقول الفيلسوف الروسي « **برديائف** » :

« وما دامت المعرفة موضوعية ، فلن يكون ثمت دافع « للأنا » لتخرج من أعمق أغوار عزلتها ، **وأي شكل موضوعي** ـ سواء أكان معرفة أم طبيعة أم مجتمعاً ـ **لا يستطيع أن يوفق بين المتناقضات الفاجعة الكامنة في « الأنا » وإنما المعرفة القائمة على أساس الاتصال الروحي ، هي وحدها التي تستطيع أن تقوم بمثل هذا التوفيق** ، وفي المجتمعات الحديثة ، تميل المعرفة إلى اكتساب اتجاه اجتماعي ، وطابع كُلي ، يساير تحقيق الحياة الجماعية ، أكثر مما يساعد على تحقيق الاتصال الروحي[٣] » .

ثم يقول : « **والعامل الإلهي وحده ، هو الذي يستطيع أن ينتصر على العزلة ، وأن يجعل الانسان مدركاً للشعور بالألفة ، والصلة ، ومتوخياً غاية جديدة بوجوده[٤]** » .

نعم .. لقد أسهمت النظريات العلمية الحديثة بطابعها المادي في زلزلة القيم والمعتقدات ، وفي تمزيق نفسية الانسان ، ورفضه للمجتمع والعقائد والمثل ـ أحياناً ـ فنظرية « النسبية » غيرت مفهوم العلم ، وغيرت كل شيء في مفهوم العلم ، و « الذَّرَّة » التي كانت في اعتقاد النَّاس لا تقبل التجزئة تجزأت ، ونشأ على أطلالها عالم جديد لم يزل يحبو ، ولكن هذا الطفل استطاع أن يصنع القنابل النووية التي تهدد كل شيء على وجه الأرض بالفناء ...!

ثم جاء « فرويد » بنظريته في « اللاشعور » ليكمل مأساة التمزق النفسي لإنسان القرن العشرين ، وذلك لأنه بهذه النظرية كأنما بقر بطن الشخصية الانسانية المتماسكة العاقلة ، ليكشف عن أحشائها المظلمة التي ينكرها الوعي بذوقه ونظامه معاً ، وقال لنا : **هذه حقيقتكم أيها النَّاس .. فلا تتجاهلوها[٥]** » .

وهكذا أصبح وجدان الفرد ضائعاً مغترباً بين نظم اجتماعية تضيق دائرة النشاط الفردي ، وبين انهيار قيم إنسانية ، كأصل النوع الإنساني ، وقداسة العائلة ، والبطولة ، والعبقرية الفردية ، وتمجيد العقل .. لقد جنى العلم كثيراً بقدر ما أسدى من أيادٍ ـ على الوجدان الفردي[٦] » .

إن مأساة الإنسان المعاصر تكمن وراء أزمة الإيمان ، « ومن وراء أزمة الإيمان أزمة الحرية ، وأزمة المسؤولية ، ومن ثم أزمة الفن ، فلأن ذلك الإنسان قد تزعزع إيمانه بالارتباط بنظام معين ثابت في الكون ، فهو لا يشعر بالمسؤولية ، إذ كيف تكون المسؤولية بغير حرية الاختيار ؟ وكيف تمكن حرية الاختيار بغير إرادة ؟ وكيف تمكن الإرادة بغير باعثٍ قوي ؟ وكيف يمكن الباعث القوي بغير اعتقاد متين في جدوى أي شيء أو إثبات أي شيء ، أو نظام شامل يُرْبَطُ به كلُّ شيء ؟

لقد حلّت الصدفة محل الضرورة ، وجلست الفوضى على عرش النظام ، لم يعد للإنسان ما يرجوه ، وإن تضخم ما يخشاه .. الفناء يتهدد كل شيء ..! والموت نهاية كل إنسان[٧] » .

وهكذا تعددت ألوان الحصار المضروبة حول وجدان إنسان هذا العصر ، فهو محاصر بالتطور العلمي الرهيب الذي أفقده عاطفته ، وإنسانيته وأحلامه ، ومحاصرٌ بإفلاس القيم واهتزازها ..! ، ومحاصر أيضاً بالحروب الرهيبة المدمرة ..!

كان التمزق النفسي الذي أصاب إنسان هذا العصر ـ إذن ـ راجعاً إلى معطيات الحضارة الأوربية ، وقيمها ومبادئها ، وفي ذلك يقول **الدكتور نظمي لوقا** :

« **عصر الانسان الأوروبي ، هو عصر التمزق ، عصر (الأرض الخراب) .. عصر (الرجال الجوف)** » .

« **من عصر التمزق هذا نشأت أنماط « اللامعقول » صورة أمينة لما يعانيه الانسان الحديث من الضياع واللهفة والجزع[٨]** » .

ولأن الشعر العربي المعاصر ، يتخذ من الشعر الأوربي ، مثله الأعلى ، فلا بِدْعَ ـ إذن ـ إذا وجدنا ذلك الكم الهائل من

● العلم الحديث يقوم على الاتصال بالعالم الموضوعي .. ولايحاول بناء معرفة قائمة على الاتصال الروحي .. وهذا سبب القلق والاغتراب الذي يعانيه إنسان هذا العصر .

□ علي احمد باكثير ...
المنحى الاسلامي في العمل الفني □

□ عمر بهاء الدين الاميري ..
انطلق من الفكر الاسلامي فكان لشعره طابعاً خاصاً وصفات متميزة □

□ يوسف العظم ...
الشعر الملتزم بالفكر الاسلامي □

القصائد العربية التي تفيض بأحزان الإنسان المتشائم المغترب السَّأمان ، الذي يحس بعبث الحياة ، وعقم التكرار التافه الرتيب ، وضياع ذات الانسان وفرديته في مجتمع مضغوط ، لم يَعُدْ فيه مجال لفناء الذات الفردية وهمومها ، أمام الحضارة الآلية المادية الزاحفة بكل أبعادها ، وبكلِّ ثقلها في عالمنا المعاصر ، وبخاصة في المجتمعات التي بدأت محاولة اللحاق بعصر الفضاء ، وليس ذلك السَّأم المغترب المسيطر على كثير من الشعراء المعاصرين ، راجعاً إلى الزحف الحضاري الماديّ فقط ، بل إن هناك تيَّارات فلسفية معاصرة تغذّي نزعات السأم واليأس والعَدَم والاغتراب ، **ولعلَّ الفكر الوجودي** من أعظم الروافد التي تشيع في الشعر العربي الحديث ، مَوْجات الاغتراب ، والاحساس بالضياع والغربة في عالم التكرار الممل الذي فقد المعنى ، عالم يحس فيه الانسان ، بوحدته وتفرده ونفيه في هذا الكون ، بعد أن يرفض العناية الإلّهية ، ويتمرد على كل قيم سابقة تعوق تحقيق وجوده ...!!

ولقد عبَّر الشاعر الانجليزي (ت . س . إليوت) في قصيدتيه (الرجال الجوف) (The Hollow Men) و (الأرض الخراب) (The Waste Land) ، عبَّر **(إليوت)** في هاتين القصيدتين عن فشل الانسان المعاصر بحضارته الجوفاء التعسة في الوصول إلى الحقيقة بين الحطام والدمار ، والخراب الذي أصاب العالم عقب الحروب الرهيبة ..! ، إنَّه يصف أبناء هذا العالم الصناعي الآلي المعاصر ، بالرجال الجُوف ، ويُشبِّههم بتماثيل مليئة بالقش تصيح قائلة :

نحن الرجال الجَوف — We ar The Hollow Men
حُشِينا بالقشِّ(٩) — We are The Stuffed Men

دعوة إلى البحث عن الأعماق المضيئة

أما .. وقد رأينا أهم تيارات الفكر الأوربي ، وهي تُشيع في الانسان المعاصر ، نزعات اليأس والعدم والسَّأم والغربة والضياع ، وتحطم فيه قيماً نبيلة كأصل النوع الإنساني ، وقداسة العائلة ، وتمجيد البطولة ، كما تحاول الإجهاز على ما بقي من القيم الروحية ..! وتنتهي بشاعر « كإليوت » إلى أن يقف على أطلال الحضارة المادية ، رافضاً لها داعياً إلى العودة من جديد إلى الكاثوليكية .. أما وقد رأينا ذلك .. ألا يمكن أن نبحث عن أعماقنا المضيئة في آفاق الشرق العربي من جديد ؟ أما يمكننا أن نعيد اكتشاف أنفسنا في ضوء الشمس بلا عُقدٍ .. أو .. التواءات ؟ أما يمكن أن نبني قيماً جديدة نابعة من الفكر الاسلامي ... قيماً إسلامية خضراء .. في السياسة والاقتصاد .. والفن والأدب ، لنعيد من جديد ، صياغة النفس المسلمة في ظل هذه القيم ، بدلاً من الضياع والتشرد في متاهات الانتماءات ، واستيراد اللافتات والشعارات ؟ وهل هناك أقدر من الفنِّ والشعر على التبشير بهذه القيم الجديدة وإثرائها وإجراء الحوار معها باللون والصورة والكلمة والنغم ، ثم .. حفرها في أعماق الإنسان المسلم الجديد ؟

ومن ثم .. نعود .. فنتساءل : **ألا يمكن للشعر العربي المعاصر ، بمختلف تيَّاراته الفنية والفكرية ، أن يستوحي الفكر الاسلامي ، ويتخذه منطلقاً له** .. في هذا العصر الذي أفلس فيه الفكر الأوربي ، وأفلست معه الحضارة المادية في تقديم العزاء والأمل لروح الإنسان السَّأمانة المغتربة الحزينة الضَّائعة ؟

• اننا بحاجة إلى نقد أدبي اسلامي ، واع ومثقف ثقافة واسعة يرصد حركة الأدب الاسلامي الملتزم ، ويقومها ، ويسدد مسارها .

□ محمد إقبال ...
لم يجعل شعره صدى من اصداء الأخرين □

□ ت . اليوت ..
فشل الانسان المعاصر بتعاسته في الوصول إلى الحقيقة □

□ سيجموند فرويد ...
بقر بطن الشخصية الانسانية المتماسكة ليكشف ما في الاحشاء المظلمة □

وإذا كان عصرنا هذا ، عصر صراع عقائدي ، وعصر شعارات متزاحمة متقاتلة فكيف نحتفظ للإنسان المُسْلم بشخصيته الأصيلة ، المرتبطة بجذورها التاريخية النابعة من أرضها وطبيعتها ، دون أن نقدم له فكراً أو أدباً مرتبطين بأعماقه التاريخية ، وجذوره الحضارية ؟ وبخاصة وأنَّنا نجد في عصرنا هذا ، لكل أيديولوجية أدباً يعبر عن قيمها الفكرية والسياسية وينافح عن قضاياها ، ويلتزم بالتعبير عن مجتمعاتها ، .. وباختصار .. **فعصرنا العقائدي : أثمر أَدَباً ملتزماً دعائياً ،** يذب عن اتجاهات فكرية محددة ، ويصدر عن قيم مذهبية محددة ، وإذا كان للوجودية ـ مثلاً ـ وللماركسية ـ أيضاً ـ مسرحهما وأدبهما ، ولغيرهما من المذاهب والاتجاهات ، شعراء وفنانون يبشرون بها .. فلِمَ لا نجد في مجتمعاتنا الاسلامية ، أدباً وفناً يصدران عن التزام بالفكر الاسلامي ..؟؟

إن الحكم في هذه القضية يتوقف على عدَّة اعتبارات ، يتوقف على مدى وضوح هذا الفكر أمام المثقفين ، وعلى تطوير الوسائل الدعائية ، وأجهزة النشر والاعلام ، التي يقدم هذا الفكر عن طريقها ، وعبر قنواتها .. ثم على فاعلية التبشير بين الفنانين والكتاب والشعراء ، بما في الاسلام من قيم إنسانية نبيلة ، وقيم عالمية معاصرة ، وما يمتاز به الاسلام عن الأيديولوجيات المعاصرة من قيم ومبادىء في السياسة والاقتصاد والتشريع والفكر .. ثم على وجود طائفة من النقاد الذين درسوا التيارات الفلسفية المعاصرة ، وهم متكئون على ثقافة عربية إسلامية متعمقة ، طائفة من النقاد متفتحة على كل المذاهب والثقافات ، مؤمنة بأن كل الأزهار في حديقة هذا الكون يجب أن تتفتح ، وغير مستعصية لوجهة نظر محددة باتجاه خاص ، لا ترى العالم إلَّا من خلاله .

وبعد ..

فلهذه القضية .. خلفيات أخرىٰ .. قد أتناولها في دراسة قادمة ـ إن شاء الله ـ .

هوامش :

---

(١) انظر : مقدمة كتابي : « تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي » ص١ إلى ص١٨ .

(٢) انظر : « الفردية قديماً وحديثاً » ـ ص١٣٨ ـ تاليف « جون ديوي » ـ ترجمة خيري حماد (طبعة مكتبة الحياة ـ بيروت سنة ١٩٦٠) .

(٣) « العزلة والمجتمع » ص١٢١ ـ تاليف (نيقولاي برديائف) ترجمة فؤاد كامل ـ مكتبة النهضة المصرية ـ (سلسلة الالف كتاب ٢٨٩) القاهرة ١٩٦٠م .

(٤) المرجع السابق ص١٢٢ .

(٥) من مقال بعنوان « عصرنا بين المعقول واللامعقول » للدكتور نظمي لوقا ـ مجلة الفكر المعاصر ـ عدد ابريل ١٩٦٥م .

(٦) انظر « البطل في الادب والاساطير » ـ للدكتور شكري عيَّاد ص١٦٤ ـ وانظر « الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ص١٣٢ » للدكتور ماهر فهمي .

(٧) المقال السابق نفسه ، للدكتور نظمي لوقا .

(٨) المرجع السابق ، ص١٩ ، من مجلة الفكر المعاصر ـ عدد ابريل سنة ١٩٦٥م ، والكاتب يشير بالأرض الخراب ، والرجال الجوف ، إلى قصيدتي « إليوت » ، اللتين صوَّر فيهما إفلاس الحضارة المادية المعاصرة في تلبية اشواق الانسان الروحية ، وظمئه إلى عالم الحقيقة الخالدة ، وسنشير إليهما في الصفحات التالية .

(٩) انظر كتاب « إليوت » للدكتور فائق متى ص١٥٥ .

ابن حزم وكتاب الأخلاق والسير

عالم وكتاب

كان أبو محمد ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علوم اللسان ، ووفرة حظه من البلاغة والشعر ، والمعرفة بالسير والأخبار

القاضي أبو القاسم
صاعد بن أحمد

حياته

هو الإمام الجليل ، أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الظاهري ، من أهل قرطبة ، تجول بالأندلس ، وروى عن القاضي يونس بن عبد الله ، وأبي بكر حمام بن أحمد القاضي ، وأبي محمد بن نبوش القاضي ، وأبي عمر بن الجسور وغيرهم .

أحد العلماء الذين وقفوا أنفسهم على نشر العلم وتحصيله مع الجهر بالحق ، وإفادة الناس ، لم يبال بما اعترضه من الموانع في هذا السبيل ، ومما يدل على أن غايته من حياته إنما كانت خالصة لنفع العباد ، والأخذ بالعلم ، والجهاد للنفس على الوجه الأكمل ، والعمل الأتم قوله :

مُناي من الدنيا علوم أبثها ... وأنشرها في كل بادٍ وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنة التي ... تناسى رجال ذكرها في المحاضر

كان له ، كما يقول أبو عبدالله الحميدي ، نفَس واسع في الآداب والشعر ، ومن شعره – وقد أحرق المعتضد كتبه بإشبيلية – قوله :

فإن تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن انزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بداة ... فكم دون ما تبغون لله من سِتر

وقد ولد ابن حزم آخر يوم من رمضان سنة (٣٨٤هـ) ، وتوفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة (٤٥٦هـ) .

أهم مؤلفاته :

ترك مؤلفات كثيرة ، منها :

- المحلّى .
- الفصل بين أهل الأهواء والنحل .
- شرح حديث الموطأ .
- التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والسنة .
- منتهى الإجماع .
- الإمامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبهم .
- كتاب كشف الالتباس فيما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس .
- كتاب : « مداواة النفوس » وهو المعروف بكتاب : الأخلاق والسير .
- كتاب : طوق الحمامة .

وهو يعد بحق – من الأقطاب الذين يمكن أن نطلق عليهم : « **مصححو المفاهيم** » ، ومن النوابغ الذين كانت لهم ثقافة شمولية جعلت منهم دائرة معارف للعلوم والفنون المختلفة ، فاستطاعوا أن يسخروا مؤهلاتهم الفكرية للعمل النبيل الذي رسموه لأنفسهم ، وهو : **الدفاع عن العقيدة ، ومحاربة الفئة الضالة والمضلة** ، ومن ثم يجد الباحث صعوبة في فهمه منفصلاً عن عصره ، ذلك العصر الذي كانت أبرز سماته : **الانحلال الخلقي ، وانتشار الفساد في كل مناحي الدولة أيام ملوك الطوائف** ، وقد وصف الكاتب هذه المرحلة وصفاً دقيقاً ، فقال : « **إن الناس لم يعودوا يعرفون الحلال من الحرام في الكسب** » .. ونعى على علماء الدين موقفهم فقال : « **إنهم أصبحوا عوناً على الفساد والطغيان ، وإنهم صاروا يأكلون على جميع الموائد ، ويتنافسون في مضمار الشر** » .

بقلم : أحمد لكطيف

○ نعى ابن حزم على بعض علماء الدين موقفهم فقال : إنهم أصبحوا عونا على الفساد والطغيان وإنهم صاروا يأكلون على جميع الموائد ..

○ كان من أبرز معطيات ابن حزم «نظرية المعرفة الاسلامية» التي سبق بها الفكر الغربي بسبعة قرون ..

هذا الواقع المر الذي انحدر إليه المجتمع الإسلامي ، والذي أصبح فيه من يسمون أنفسهم بالعلماء ، يؤولون الآيات لتتلاءم مع هذا الوضع الشاذ ، هو الذي دفع ابن حزم رحمه الله ، إلى أن يحمي الإسلام من أن يكون مطية لمجتمع منحل ، ولهوى بعض الفقهاء ، وكان سلاحه في ذلك : «**التماس مفهوم القرآن» ، والوقوف عند النص ، ولقد اعانه على اداء هذه الرسالة الهامة اتساع افقه ، نتيجة ثقافته الواسعة التي كانت تستقي من ينابيع متعددة ، منها :**

١ - مطالعاته العميقة المتنوعة .

٢ - رحلاته ومهاجره وتجاربه .

٣ - لقاؤه لعشرات العلماء .

هذا التنوع في المشارب ، جعله يتمتع بشخصية قوية ، ومنهج علمي ، يقوى على الجدال ويتقبل الحقيقة ، وكانت ابرز معطياته : «نظرية المعرفة الإسلامية» التي سبق بها الفكر الغربي بسبعة قرون ، وهو الذي سبق علماء المسلمين إلى إقرار المفهوم القرآني في قيام المعرفة في الإسلام على أساس العقل والقلب معاً ، يقول :

« **المعرفة تكون بشهادة الحواس ، باول العقل ، ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواس** » .

ويتصل بنظريته في المعرفة مفهومه للعقل ، فهو يكرمه ، ولكن لا يسلم له تسليماً مطلقاً ، على النحو الذي يقول به غير المسلمين ، يقول : « **من ابطل العقل فقد ابطل التوحيد ..! إذ لولا العقل لم نعرف الله عز وجل** » ..

موضوع الكتاب

هو عصارة أفكار هذا العالم المسلم ، وخلاصة مركزة لتجاربه في الحياة ، وحقائق ليست مستقاة من الكتب على طريقة : « **خذ** من هنا ومن هنا ، **وقُل هذا كتابنا** » ، بل هي ناتجة عن معاناته ، وعن انفعاله وتفاعله مع الأحداث ، مما حقق لها كثيراً من التجاوب مع القارىء .

لقد اخترت هذا الكتاب بالذات ، لإيماني بأن ما يعيشه العالم عامة ، والمجتمع الإسلامي بوجه خاص ، ناتج عن بعده عن الأخلاق الإسلامية ، وافتقاده للقدوة الحسنة ، ولحرارة الكلمة النظيفة الملتزمة التي يجعلها نبراساً يضيء طريقه المحفوفة بالمخاطر ، وما أكثرها ...

عنوان الكتاب الحقيقي هو : « **مداواة النفوس** » ، لكنه اشتهر باسم « **الأخلاق والسير** » .. بداه المؤلف بمقدمة قصيرة يبين فيها الحوافز التي دفعته إلى تأليفه ، فيقول : « **فإني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة ، افادنيها واهب التمييز تعالى بمرور الايام ، وتعاقب الأحوال مما منحني عز وجل من التهمُّم (طلب الشيء) بتصاريف الزمان ، والإشراف على احواله ، حتى انفقت في ذلك اكثر عمري ، وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة له والفكرة فيه على جميع اللذات التي تميل إليها اكثر النفوس** » .. « **وانا راج في ذلك من الله تعالى اعظم الأجر لنيتي في نفع عباده ، وإصلاح ما فسد من اخلاقهم ، ومداواة علل نفوسهم** » .

بعد هذا التقديم ، قسم المؤلف الكتاب إلى الأبواب الآتية :

مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق - العقل والراحة - العلم - الأخلاق والسير - الإخوان والصداقة والنصيحة - المحبة وأنواعها - الأخلاق والعادات - أدواء الأخلاق الفاسدة ومداواتها - غرائب أخلاق النفس - تطلع النفس إلى ما يستر عنها - حضور مجالس العلماء .

يبين الكاتب في الباب الأول ، أن لكل إنسان لذة يلتذ بها ، ولكنها جميعها عارضة زائلة ، وتبقى اللذة الحقيقية في عمل ما يرضي الله ، ويستفيد من تجاربه أن الناس يتفقون جميعاً في مطلب واحد وهو طرد الهم ، مستعملين وسائل مختلفة لذلك ، ولكنهم لم يوفقوا حتى الآن ، ففي عصرنا الحاضر نجد الناس قد تفنَّنوا في تحقيق هذا المطلب ، واستغلوا كل الوسائل والإمكانات التي يتوفرون عليها : السينما ، المسرح ، التلفزة ، الفيديو ، علب الليل ، الخمر ، القمار ... بل ان الرجل الغربي حاول البدء من الصفر ، والتضحية بكل رفاهيته في سبيل القضاء على حياته الرتيبة فلم يفلح جاهلاً أو متجاهلاً أن مرضه العضال يكمن في فراغه الروحي ، في عدم رصد جهوده لأجل قضية إنسانية ، يقول الكاتب :

« **تطلبت غرضاً يستوي الناس كلهم في استحسانه وفي طلبه فلم اجده إلَّا واحداً وهو طرد الهم** » ... **وليس في العالم مذْ كان إلى ان يتناهى ، احد يستحسن الهم ولا يريد طرده عن نفسه ، فلما استقر في نفسي هذا العلم الرفيع ، وانكشف لي هذا السر العجيب ، وانار الله تعالى لفكري هذا الكنز العظيم** بحثت عن سبيل موصلة - على الحقيقة - إلى طرد الهم ، فلم أجدها إلا التوجه إلى الله - عز وجل - بالعمل للآخرة ، وما عدا هذا فضلال وسخف » .

ثم يبين الكاتب الأوجه التي يجب أن يصرف الإنسان فيها نشاطه الزائد ليتسنى له طرد الهم ، فيقول : « **لا تبذل نفسك إلا فيما هو اعلى منها ، وليس ذلك إلا في ذات الله عز وجل ، في دعاء إلى الحق ، وفي حماية الحريم ، وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى ، وفي نصر مظلوم** » ..

ثم ينتقل إلى الباب الثاني والثالث : **العقل والراحة ، ثم إلى العلم والأخلاق والسير** ، فيبسط آراءه في أسلوب خال من

○ من أبطل العقل فقد أبطل التوحيد . . إذ لولا العقل لم نعرف الله عز وجل ..

«ابن حزم»

التعقيد ، بعيد عن الزخارف اللفظية ، مبرزاً أن الراحة تكمن في : اطّراح المبالاة بكلام الناس ، واستعمال المبالاة بكلام الخالق عز وجل ، وأن إرضاء الناس غاية لا تدرك ، فمن « قدّر انه يسلم من طعن الناس وعيبهم فهو مجنون » ... ثم يقيم مقارنة بين العلم والجهل ، منددًا بالإقطاع الفكري في جميع صوره ، ذاماً احتكار المعرفة ، والتطفل على هذا الميدان الشريف فيقول : « لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويجلّونك ، وان العلماء يحبونك ويكرمونك ، لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه ، فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة ؟ » .

« الباخل بالعلم الأمّ من الباخل بالمال ، لأن الباخل بالمال اشفق من فناء ما بيده ، والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى على النفقة ولا يفارقه مع البذل » ..

« لا آفة على العلوم واهلها اضرُ من الدخلاء فيها ، وهم من غير اهلها ، فإنهم يجهلون ويظنون انهم يعلمون ، ويفسدون ويقدّرون انهم يصلحون » .

أما في الباب الرابع وهو : الأخلاق والسير ، فهو نوع من النقد الذاتي للنفس ، حيث يتعهدها رحمه الله ، بالرياضة الروحية المستمرة ، ويوطنها على ما تكره ، مقتدياً بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ (يوسف:٥٣) ، ومطابقاً لقول البوصيري في البردة :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

يقول ابن حزم : « كانت فيّ عيوب فلم ازل بالرياضة ، واطلاعي على ما قالت الأنبياء صلوات الله عليهم ، والافاضل من الحكماء المتاخرين والمتقدمين في الاخلاق وفي آداب النفس ، اعاني مداواتها حتى اعانني الله - عز وجل - على اكثر ذلك بتوفيقه ومنّه » ، ويقول : « اول من يزهد في الغادر من غدر له الغادر ، واول من يمقت شاهد الزور من شهد له به ، واول من تهون الزانية في عينيه الذي يزني بها » .

ثم يتعرض إلى عدة أدواء اجتماعية ، لا زالت تنخر مجتمعنا الإسلامي ، وعلى راسها التكبر الذي يؤدي بصاحبه إلى الاعتقاد بانه يسمو على البشرية جمعاء ، فيدفعه صلفه وغروره إلى الإحساس بأنه في منتهى الكمال المطلق ..! ويعميه جاهه وسلطته وماله عن النظر إلى نور الحقيقة الساطع ، « لو علم الناقص نقصه لكان كاملاً ، لا يخلو مخلوق من عيب ، فالسعيد من قلت عيوبه ودقّت » ..

أما آراؤه المجملة في باب الصداقة فهي عين الصواب ، ويمكن تقديمها كالآتي :

« لا ترغب فيمن يزهد فيك ، فتحصل على الخيبة والخزي » ..

« ليس في الرذائل اشبه بالفضائل من محبة المدح » ..

« النصيحة مرتان ، فالأولى فرض وديانة ، والثانية تنبيه وتذكير ، واما الثالثة فتوبيخ وتقريع ، وليس وراء ذلك إلا التركل واللطام ، اللهم إلا في معاني الديانة ، فواجب على المرء ازدياد النصح فيها ، رضي المنصوح أو سخط ، تاذى الناصح بذلك او لم يتاذّ ، وإذا نصحت فانصح سراً لا جهراً ، وبتعريض لا بتصريح ، إلا ان لا يفهم المنصوح تعريضك فلابد من التصريح » ..

« لا تكلف صديقك إلا مثل ما تبذله من نفسك ، فإن طلبت أكثر فأنت ظالم » ..

« الناس في أخلاقهم على سبع مراتب ، فطائفة تمدح في الوجه وتذم في المغيب ، وهذه صفة أهل النفاق من العيابين ، وهذا خلق فاشٍ في الناس غالب عليهم ، وطائفة تذم في المشهد والمغيب ، وهذه صفة أهل السلاطة والوقاحة من العيابين ، وطائفة تمدح في الوجه والمغيب ، وهذه صفة أهل الملق والطمع ، وطائفة تذم في المشهد وتمدح في المغيب ، وهي صفة أهل السخف والنواكة (الحمق) ، وأما أهل الفضل فيمسكون عن المدح والذم في المشاهدة ، ويثنون بالخير في المغيب ، أو يمسكون عن الذم ، وأما أهل السلامة فيمسكون عن المدح وعن الذم في المشهد والمغيب ، ومن كلٍّ من أهل هذه الصفات قد شاهدنا وبلونا » .

ثم يبرز المؤلف في باب : « ادواء الأخلاق الفاسدة ومداواتها » ، أهم هذه الأدواء وهي : التعالي والزهو بالنفس - النطق بعيوب الناس - عدم أخذ العبرة من الأحداث والناس .

- الاستغلال البشع لغيره - مركبات النقص التي تدفع صاحبها إلى تصرفات شاذة .
- مدح الناس في محضرهم « إيّاك والامتداح ، فإن كل من سمعك لا يصدقك ، وإن كنت صادقاً » ..
- النفاق : « الغالب على الناس النفاق ، ومن العجب أنه لا يجوز مع ذلك عندهم إلا من نافقهم » ..

وينتقل إلى غرائب الأخلاق ، فيركز على مسألة هامة ، وهي : عدم التسرع في الحكم على الناس حسب مظهرهم ، لأن ذلك قد يخدع أحياناً ، ويجعل الإنسان يبتعد عن الحق ، فكم من ظالم نجح في تقمص شخصية المظلوم ، « ينبغي للعاقل أن لا يحكم بما يبدو له من استرحام الباكي المتظلم وتشكيه ، وشدة تلويه وتقلبه وبكائه ، فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين ، أنه الظالم المعتدي المفرط الظلم ، ورأيت بعض المظلومين ، ساكن الكلام ، معدوم التشكي ، مظهراً لقلة المبالاة ، فيسبق إلى نفس من لا يحقق النظر أنه

○ أول من يزهد في الغادر من غدر له وأول من يمقت شاهد الزور من شهد له به ، وأول من تهون الزانية في عينيه الذي يزني بها ..

ظالم ، وهذا مكان ينبغي التثبت فيه ، ومغالبة ميل النفس جملة ، وأن لا يميل المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها ، ولكن يقصد الإنصاف بما يوجبه الحق على السواء » .. وهذا مثال يقدمه المؤلف لما يجب أن يتحلى به الإنسان من أخلاق فيقول :

إنما العقل اساس فوقه الاخلاق سورُ
فحلِّ العقل بالعلم ، وإلَّا فهو بُورُ
جاهل الاشياء اعمى لا يرى كيف يدور
وتمام العلم بالعدل ، وإلَّا فهو زورُ
وزمام العدل بالجود ، وإلَّا فيجور
وملاك الجود بالنجدة ، والجبن غُرُور
وكمال الكل بالتقوى ، وقول الحق نور
عِفَّ إن كنت غيوراً ما زنى قط غيور
ذي اصول الفضل عنها حدثت بعدُ البذُورُ

ويختم المؤلف كتابه النفيس بالدعوة إلى مطابقة الأقوال للأفعال ، إذ لا قيمة لأقوالنا إذا لم تجسمها الأفعال ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف:٢-٣) .

وقد قيل : « أقبح شيء في العالم أن يأمر الإنسان بشيء لا يأخذ به نفسه ، أو ينهى عن شيء يستعمله » ، وقد قال الشاعر العربي :

لا تنه عن خلق وتاتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
وابدا بنفسك فانهها عن غيِّها
فإذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يُقْبَلُ إن وعظت ويُقْتَدَى
بالعلم منك وينفع التعليم

وبعد : فإن آراء ابن حزم ، تعطي في مجموعها مفهوماً متكاملاً للإسلام ، وقد استطاع أن يترك بصماته في مختلف فروع الفكر الإسلامي ، ولا زالت كثير من آرائه في منتهى الجدة ، نابضة بالحياة تكشف عن مدى عظمة الإسلام في كونه ليس دين عبادات فحسب ، بل هو دين مجتمع وحضارة ، وفي هذا المضمار ناقش ابن حزم كثيراً من القضايا الحيوية :

- التعليم إجباري .
- الأرض لمن يزرعها .
- المرأة والرجل متساويان في العلم والثقافة .
- لكل مواطن حلتان ومسكن .
- « يجوز للمرأة أن تلي القضاء ، وهو قول أبي حنيفة ، فإن قيل : قال رسول الله ﷺ : « لن يفلح قوم ولَّوا شؤونهم امرأة » ، قلنا : « إنما قال ذلك رسول الله ﷺ في الأمر العام وهو الخلافة » ، برهان ذلك قولة عليه الصلاة والسلام : « المرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها » .. وقد أجاز في الملكية أن تكون وصية ووكيلة ، ولم يأت نص في منعها من أن تلي بعض الأمور » ..

من هذه الدراسة لبعض آثار ابن حزم ، أمكن استخراج المقومات الفكرية لمنهجه العلمي وهي :

١ - **الاستقلالية في التفكير** : « ما مذهبي أن امتطي مطية سواي ، ولا اتحلى بحلي مستعار ، التقليد حرام ، ولا يحل لأحد أن يقلد أحداً بغير برهان » ..

٢ - **الموضوعية** « لابد لطالب الحق من أن يسمع حجة كل قائل ، فإذا ظهر البرهان لزمه الانقياد والرجوع إليه ، والبرهان لا يجوز أن يعارضه برهان آخر ، فالحق لا يكون شيئين مختلفين ، ولا يمكن ذلك أصلاً ، والحق مبينٌ في الملل والديانات بموجب العقل والبراهين الراجعة إلى أول الحس والضرورة » .

٣ - **التجرد** : « إذا ورد عليك خطاب بلسان ، أو هجمت على كلام في كتاب ، فإيَّاك أن تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المغالبة قبل أن تتبين بطلانه ببرهان قاطع ، وأيضاً فلا تُقبل عليه إقبال المصدق به المستحسن إيَّاه قبل علمك بصحته ببرهان قاطع ، ولكن أقبل عليه إقبال سالم العقل عن النزاع عنه والنزوع إليه ، إقبال من يريد حظ نفسه في فهم ما سمع ورأى » ..

٤ - **المرونة في الأفكار ، والقابلية للتطور** : « إن طالب الحق لا يصح أن يعميه التعصب لقوله عن التماسه حيث يكون ، وهو في إخلاصه للحق لا يبغي به الغلب ، ولكن يبغي به نصر الحق المجرد ، وأن يكون مستعداً لترك قول غيره ، إن رأى عند غيره الحق السائغ الذي لا يشوبه باطل ، وكذلك يقول فيما يصح عندنا حتى الآن ، فنقول مجدين مقرين : إن وجدنا أهدى منه اتبعناه وتركنا ما نحن فيه » ..

٥ - **الوضوح والبساطة** ، يقول في كتابه « المفصل » : « إن دين الله ظاهر لا باطن له ، وجوهر لا ستر تحته ، واعلموا أن رسول الله لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ، ولا أطلع أخص الناس به على شيء كتمه على الأحمر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده سر ، ولا رمز ، ولا باطن غير ما دعا الناس كلهم إليه ، ولو كتمهم شيئاً لما بلَّغ كما أمر ، وكل من ادَّعى للديانة سراً وباطناً فهي دعاوى ومخاريق » ..

إن مفكراً مثل ابن حزم ، يجب أن يُقرأ تراثه عدة قراءات ، وأكيد أن الباحث سيجد دوماً ما يستنتجه من أفكار لا زالت مواكبة لروح العصر ، تتلاءم وطموحات شبابنا ، وتجيب على كثير من التساؤلات المطروحة في ساحة الفكر الإسلامي ..

بقلم : د. عبد الجليل شلبي

حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوروبية

□□ ترجع صلة العرب بصقلية إلى عهد معاوية بن أبي سفيان ، فقد أرسل إليها سميَّهُ معاوية بن خديج الكندي ، فكان أول عربي غزاها ، ثم لم تزل تغزى بعد ذلك حتى فتحها الأغالبة ، وكان معاوية بن أبي سفيان ، كما قال البلاذري ، يغزو براً وبحراً ، وهو أول من أنشأ أسطولاً إسلامياً ، ووجه إلى صقلية أيضاً عبد الله بن قيس بن مخلد الدِّرَقي فأصاب منها أصنام ذهب وفضة مكللة بالجواهر ، ووجه بها معاوية إلى البصرة ثم إلى الهند لتباع هناك ، وأغزى جنادة بن أمية الأزدي أيضاً جزيرة رودس ففتحها ، وأقام المسلمون بها سبع سنين في حصن اتخذوه لهم ، وقد استرد يزيد بن معاوية جيش المسلمين وعادت الجزيرة الكبرى صقلية وما حولها إلى الحكومة البيزنطية ، وكان من حسنات معاوية أنه أقام في الجزر التي فتحها جاليات اسلامية ، وبنى بها مساجد ، وترك مقرئين يعلمون ويقرئون القرآن ، هذا مع أن فتوحه كانت جزئية .

وتوقفت غزوات المسلمين البحرية بعد معاوية ، وشغلت الدولة بحروب داخلية مدة كبيرة ، ولما هدأت الأحوال بها لم يكن غزوها البحري نشيطاً ، وكانت نهاية موسى بن نصير نهاية محزنة له وللإسلام وللدولة الاسلامية ، ولكن البحريين من المسلمين في الشرق وفي إسبانيا ناوشوا جزر البحر الأبيض وشواطىء أوروبا ، ولم تأت أعمالهم بفتوح ذات قيمة تاريخية ولكنهم لفتوا أنظار هذه البلاد إلى قوة العرب □□

فتح صقليـــــــة ..

كان قد مضى على صقلية ثلاثة قرون وهي تحت حكم الدولة البيزنطية ، وكانت سنين عجافاً سادها الفقر الفكري ، وترتب على سيادة الجهل وجمود الاذهان : تفرق بين السكان ، فكان كبار الملاك والتجار يتبادلون المكايد وينشطون في دس الدسائس وبث أسباب العداء ، وكان بين هؤلاء الكبار في المال والصغار في النفس رجل يدعى (إيو فيموس Euphemius) وكان مغيظاً من حاكم الجزيرة ، فرأى للانتقام منه أن يستعين بالأمير الأغلبي الثالث ، وهو زيادة الله ، في غزو الجزيرة والقضاء على الحكم البيزنطي كله ، وتردد الأمير الأغلبي في بادىء الأمر وجمع علماء المسلمين يستشيرهم في غزو بلد مهادن له ، وكان على رأسهم القاضيان المسنان : ابن الفرات وأبو محرز . وكان ابن الفرات متحمساً لهذا الغزو مستدلاً بالآية القرآنية (**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**) .

وكان ابن الفرات فقيهاً مالكياً طالت رحلته وتنقلاته في الشرق ، وتلقى الفقه المالكي والحنفي ، وجعل من مدونتي مالك وابن القاسم وآرائه الخاصة مدونة فقهية باسمه ، وكان أيضاً محارباً شجاعاً ، ورأى زيادة الله أن يجعله على رأس هذه الحملة ، **ويظهر أن إخلاصه في الجهاد أضفى على الجيش كله روح التضحية وحب الاستشهاد** ، ووصل الجمع إلى ميناء مزارا التي في جنوب الجزيرة ، فألقى ابن الفرات فيهم خطبة لم تشر إلى شيء من الحرب والغنائم كما فعل طارق ابن زياد عندما نزل جيشه بأرض الأندلس ، بل حثهم فقط على

○ ابن رشد :
كان أثره واضحاً في النهضة الأوروبية ودرست مؤلفاته في إيطاليا ○

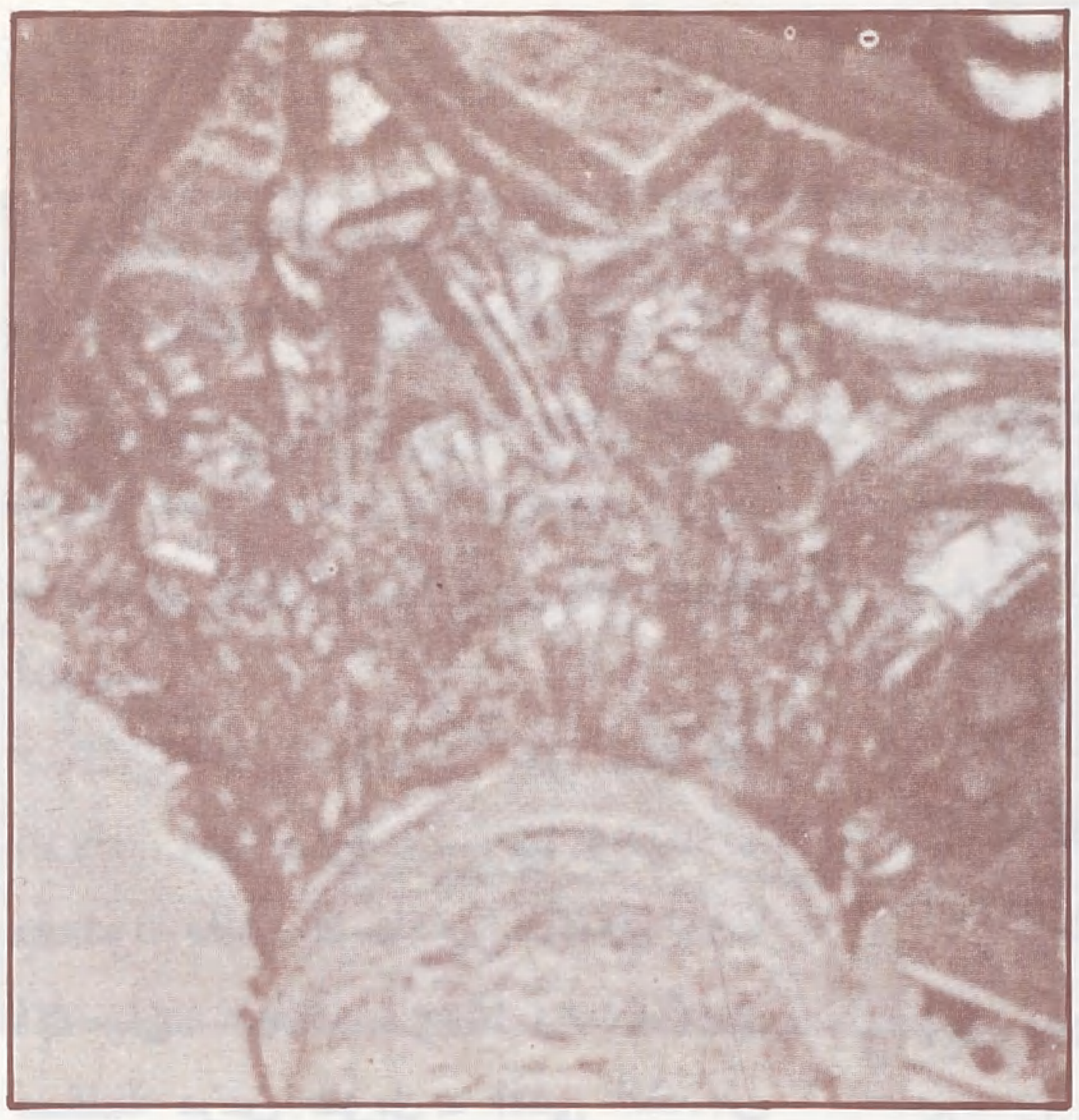

○ عامود كتب عليه ، لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، داخل كنيسة ، نطاكي ، ○

التقوى وتحصيل العلوم .

استهل خطبته بالشهادة ، وأقسم لجيشه أنه ما كان من آبائه من ولي جيشاً ، ثم قال : **فاجهدوا انفسكم ، واتعبوا ابدانكم في طلب العلم وتدوينه ، وكاثروا عليه واصبروا على شدته ، فإنكم تنالون به خيري الدنيا والآخرة** ... والخطبة بوجه عام توحي **بالزهد ، وتؤذن بان الدنيا تخضع لذوي العلم والدين** .

لم يكن فتح هذه الجزيرة هيناً ولا سريعاً ، مع أن الحملة كان بها سبعون سفينة عليها عشرة آلاف مقاتل ، وسبعمائة فرس ، ولكنها اعتمدت على الحصار ، وشقت طريقها إلى (باليرمو Palermo) ، فاتخذتها عاصمة ، وهي في الأصل مستعمرة فينيقية ، فجعلوها قاعدة حربية توجه منها الحملات ، وأخذت الجزيرة تسقط تدريجياً في أيديهم ، ولم يتم فتحها نهائياً إلاّ في العهد الفاطمي .

صقلية بعد الفتح ...

صارت صقلية بعد فتحها إمارة اغلبية ، يتولى أمرها وال من قبلهم ، وكان الأغالبة في نزاع ومناوشات مستمرة مع الدولة الفاطمية التي نشأت بالمغرب ، وتريد الزحف نحو الشرق ، وكان هناك نزاع أقوى بين المذهبين السني والشيعي ، وكان ذلك ينعكس على جزيرة صقلية ، وكان بين سكانها نزاع بين العرب والبربر من قبل .

ونوجز القول ، فنقول : إن الفاطميين تغلبوا على بني الأغلب في افريقية ، وحلوا محلهم في مستهل القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم انتزعوا منهم صقلية ، وهي على انقسامها وتفرقها ، فاضطروا إلى إعمال الشدة ، فشهدت الجزيرة أياماً قاسية سوداً ، حتى عين الخليفة المنصور الفاطمي الحسن بن علي بن أبي الحسن والياً عليها ، فبدأ عهداً جديداً عرف بعهد الكلبيين ، والذي امتد قرناً من الزمان ، كانت الدولة فيه كلبية فعلاً وإن لم تنقطع عن الفاطميين ، ولم يدم هذا العهد طويلاً ، **ولسنا بسبيل بيان الأسباب التفصيلية لسقوط الكلبيين ، غير ان نهاية عهدهم كانت بداية فوضى واضطراب ، وتقسمت الجزيرة الصغيرة إلى دويلات واشتات قبائل واحزاب ، وعادوا جميعاً بعد الإسلام كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض ،** وكان بين رؤوسهم رجل يدعى « **ابن الثمنة** » ففعل فعلة « **ابو فيميوس** » وطلب تدخل النورمانديين ، فوجدوا الجزيرة فريسة سهلة ، فاستولوا عليها وضموها إلى جنوب إيطاليا ، وبذا انتهى العهد الاسلامي في هذه الجزيرة بعد قرنين ونصف قرن أو ما يزيد عن ذلك ببضعة عشر عاماً ...

وكان موقف المسلمين في صقلية كموقف المسلمين في إسبانيا ، إذ ترقبوا نجدة من الدول الاسلامية ، وعلى الأخص بني زيري الذين خلفوا الفاطميين على غرب إفريقية ، ولكن لم يمد أحد لهم يد المساعدة ، فاضطروا إلى التسليم والاستسلام .

أثر الفتح الاسلامي لصقلية :

دخل النورمانديون صقلية فأدهشهم ما نقلها المسلمون إليه من رقي وحضارة ، لقد بذلوا جهداً في ترقيتها في كل جوانب الحياة حتى بدا الفرق بينها وبين الدول التابعة لبيزنطة بعيداً جداً ، شيدوا مباني عظيمة ، ونشطوا وسائل التجارة ، وعملوا على استصلاح الأراضي وزرعها ، وأدخلوا أنواعاً من النباتات ومن الحيوانات لم يكن للأوروبيين بها عهد ولا علم ، إلى جانب ذلك كله وجدوا فنوناً راقية وادباً عالياً ، وعديداً من المساجد بها حلقات التعليم ، تبدأ بتعليم الكتابة العربية والقرآن الكريم ، وتنتهي

بدراسات عليا في علوم كثيرة دينية وغير دينية. وهكذا تقدم ورقي في كل شيء، إن الفرق واسع جداً بين ما وجد العرب صقلية عليه بعد خروج البيزنطيين، وبين ما وجدها عليه النورمانديون بعد خروج المسلمين !!

كان النورمانديون على حظ من الذكاء، وقد عرفوا به من قبل، **لهذا لم يفعلوا بآثار المسلمين ما فعل بها الإسبان، فهناك - وهذا بعد تنصير صقلية بزمن طويل - افتى القسس بان المسلمين رجس وآثارهم نجس لا يطهره إلا إحراقه بالنار**، حتى الجدران افتوا بهدمها وإحراقها، وبهذا تأخرت حضارة إسبانيا ثمانية قرون حقاً، أما هؤلاء فرأوا الإبقاء والمحافظة على حضارة العرب، وحاكوهم واستفادوا من كل ما تركوا إلا الدين الاسلامي، فقد كانت عداوة الاسلام، وعلى الأصح كانت الصورة التي قرت في أذهانهم عنه مما يصعب محوها، **ولكن حضارة صقلية ظلت في تقدم لمدة طويلة بعد، وظلت مظاهر الحياة العربية بادية عليها، ولو تقبل النورمانديون الإسلام واتخذوه ديناً لكان عهد هذا الازدهار الحضاري اطول زمناً وابقى**.

العهد العربي النورماندي:

أطلق على هذا العهد اسم «العهد العربي النورماندي».. ذلك لأن مظاهر الحياة العربية ظلت بادية على كل شيء فيه حتى على حياة الملوك والحكام، وحتى على كنائس النصارى ومنازلهم، وعلى نسائهم وأطفالهم، واستمر ذلك كله أكثر من قرن ونصف القرن، وحقق ذلك ما قيل من أن المسلمين انتصروا في ميدان العلم والحضارة حين هزموا في ميادين الحرب والاعمال العسكرية.

وقبل أن نوضح جوانب هذا الانتصار، نشعر بسؤال تعجبي يبدو أمامنا يضطرنا أن نوضح إجابة أولاً:

كيف حقق المسلمون ذلك كله وعهدهم كان مليئاً بالنزاع والخلافات المذهبية والعنصرية؟! وقد حُكموا مدة لم تكمل ثلاثة قرون بثلاثة أنواع من الحكومات، أو على وجه الدقة بأربعة، وكانت كل حكومة تخالف الأخرى وكل واحدة لها اتباع يتعصبون لها ضد الآخرين؟!

هناك امران جديران بملاحظة كل مؤرخ او باحث في تاريخ صقلية:

اولهما: أن هذه الجزيرة فتحت باسم الدين الاسلامي، وأول وصاة من أول قائد كانت تدعو إلى العلم وتحصيله، وظل حكامها المختلفون المتنازعون يعملون على التوسع في بناء المساجد وتشجيع الدعوة الاسلامية بمعناها الواسع الكبير، فلم يكن ثمة عائق للحركة العلمية واستمرار الآداب والفنون في ازدهارها، ولم ينقطع تشجيع العلماء، ولم يملوا الإقامة في صقلية إلا في الأيام الأخيرة، وقبيل الغزو النورماندي.

والامر الثاني: أن المسلمين دخلوا هذه الجزيرة وهم في أوج ازدهارهم ورقيهم الحضاري، وكان المشارقة قد ترجموا من علوم الأمم الأخرى ودرسوا وابتكروا شيئاً كثيراً، فكانت البلاد الأوروبية التي دخلها المسلمون تتلقى ثماراً ناضجة وعلوماً قد آتت أكلها في جوانب الفكر والحضارة، ولم تكن صقلية منقطعة عن الشرق، كما لم تكن إسبانيا منقطعة، بل كانت رحلات الحج وطلب العلم ولقاء العلماء مما يغذي تيارات الثقافة بها، فظل النشاط الثقافي والحضاري بها مستمراً متجدداً.

وقد أعطانا ابن حوقل الذي زار **(باليرمو)** في عهد الكلبيين صورة عما شاهده فيها من كثرة المساجد، فقال: «إنها كانت نيفاً وثلاثمائة مسجد، وإنه عَدَّ في مساجد السنيين ستة وثلاثين صفاً في كل صف نحو مائتي شخص، وكان بمدارسها العمومية ثلاثمائة مدرس، كانوا يمتازون بالصلاح والتقوى، ومن أعظم الناس رقياً وحسن مظهر، كما ذكر أنه كان بجوار مسجد الشيخ القفصي - الفقيه المالكي - فرأى على مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصره، وبعضها في مقابلة الآخر لا يفصلها إلا

○ بطليموس
ترجم كتابه البصريات في صقلية ○

□ انتصر المسلمون في صقلية في ميدان العلم والحضارة حين هزموا في ميادين الحرب والأعمال العسكرية.

○ إيزابيـــــلا : ورثت ملك بيت المقدس بعد أبيها أثناء الحروب الصليبية ○

○ فردريك الثاني : ورث الحضارة الإسلامية واقتبس منها ، لكنه لم يتخلص من الروح الصليبية ○

○ في صقلية الإسلامية لم يكن شخص أمي لايقرأ ولا يكتب أو لايحفظ حظاً من القرآن .

عرض الطريق ، وعلم أن القوم لتباهيهم وتفاخرهم كان كل واحد يحب أن يكون له مسجد باسمه ، وربما كان أخوان دورهما متلاصقة ، ولكل منهما مسجده الخاص به » ، وكثرة المساجد استلزمت كثرة الدراسة وسعة التعليم مما جعل بعض الباحثين يؤكد أن صقلية الاسلامية لم يكن فيها شخص أمي لا يقرأ ولا يكتب أو يحفظ حظاً من القرآن ، وهذا سر ما نجده من كثرة العلماء وما نقرؤه من أسماء من ينتسبون إلى صقلية ...

النورمانديون أنصار الثقافة العربيـــــة ...

ورث النورمانديون هذه الحضارة فلم يسعهم إلا الخضوع لها والاقتباس منها ، وبرز بين الحكام أنصار الثقافة العربية (روجر الأول) فاتح الجزيرة ، وابنه (روجر الثاني) ، وسماهما ابن خلدون في تاريخه باسم (روجار) والملك (فريدريك الثاني ووليم الثاني) .

لم يكن روجر الأول مثقفاً ولكنه كان ذا تسامح ، ورأى أن يستفيد من المسلمين في كل شيء وجده ، فكان في جيشه عدد من المسلمين يكون غالبيته ، وكان حوله من المسلمين فلاسفة وأطباء ، وكان بلاطه بلاط ملك شرقي ، وكان كثير من كبار موظفيه مسلمين ، وكان روجر الثاني يلبس ملابس المسلمين ، ويطرز رداءه بحروف عربية ، وكانت هذه ظاهرة شائعة ، ولكن خصومه وصفوه بأنه نصف وثني ، يعنون نصف مسلم ، وجرى حفيده وليم الثاني على نهج أسلافه ، ولكن أسمى أزدهار للحضارة العربية كان أثناء حكم روجر الثاني .

كان الإدريسي ، صاحب كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » يعيش في بلاطه ويحظى برعايته وتشجيعه ، وقد سمى كتابه هذا باسم (الروجري) والإدريسي من مشهوري الجغرافيين والرسامين للخرائط ، ولا ينافسه أحد في هذا الميدان خلال العصور الوسطى كلها ، وقد صنع لروجر كرة سماوية وخريطة للدنيا على شكل كرة ، وكلاهما من الفضة .

وبنى روجر الثاني كنيسة في (باليرمو) زخرف سقفها بنقوش كوفية ، وكانت النساء النصرانيات يلبسن الملابس الاسلامية ، وكان الصناع العرب والزراع العرب والملاحون العرب ، يقومون بكل الأعمال التي تتطلبها حال الدولة ، ولم يكن عجيباً بعد هذا أن يفد رواد الدراسة الاستشراقية من أوروبا إلى صقلية ، وأن تتبوأ هذه الجزيرة زعامة البحر الأبيض ، وكل ذلك بفضل العرب فلاسفة وعلماء وعمالاً .

أما فريديريك الثاني ـ حفيد روجر الثاني ـ فكان أبرز وأعجب ملوك صقلية ، كان وريث عرش المانيا من قبل أمه ، ووارث الملك في صقلية من قبل أبيه وعن طريق زواجه من الأميرة إيزابيلا ولية عهد أبيها في ملك بيت المقدس ـ تلك المملكة التي نشأت أثناء الحروب الصليبية ـ صار أيضاً ملك بيت المقدس ، ثم هو شأن النورمانديين جميعاً امبراطور لإيطاليا ، وكان يسمى امبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وقد شارك في الحروب الصليبية بغية الحكم والسيادة ، ولكن اختلاطه بالمسلمين في الشرق جعله يوليهم تقديراً واحتراماً اكثر ، وجعلت العادات والمظاهر الشرقية تتأصل فيه وفي دولته .

كان بعد حملته الصليبية الفاشلة على صلة بخلفاء صلاح الدين ، وكان هو والملك الكامل محمد يتبادلان الهدايا ، ولم تخل سيرته من غرابة ، أهمها : أنه كان يجمع بين الأعمال الجادة النافعة والأعمال اللاهية التي لا طائل وراءها غير الأبهة والتباهي ، كان في بلاطه عدد من الفلاسفة وفدوا من الشرق ، وكانوا ذوي لحى طويلة وملابس فضفاضة ، وكان الناس يحاكونهم في زيهم وسائر مظاهر حياتهم ، وكان في بيته راقصات يهوديات من الشرق ، وكان له مجموعة من الحيوانات النادرة ومن الطيور ، وكان

كلفاً بها حتى إنه يصطحبها في تنقلاته في أوروبا ، وحين يرحل من صقلية إلى المانيا . ولكن هذا اللهو لم يخل من وجهة نظر علمية ، فقد أحضر من سورية مدربين للصقور التي لديه ، ولكنه قام بتجربة علمية إذ ذاك ، وهي تغطيته أعين الصقور بغطاء محكم ليرى مدى اهتدائها بحاسة الشم ، وكان يقرأ الفلسفة والرياضة والفلك ، ولما صادفته مرة مسائل معضلة فيها ولم يستطع حلها ، أرسلها إلى السلطان الكامل الأيوبي طالباً للحل أو معجزاً لعلمائه ، ولكن بعض العلماء المصريين حلها حلاً شافياً ، واضيف هذا إلى ما أخذ الغرب عن الشرق ، وطلب مرة أخرى علماء مصريين ليجروا تجارب على بيض النعام كي يمكن تفريخه وفقسه على حرارة الشمس ، وترجمت له كتب عربية وفارسية في تدريب الصقور ، وأخرج هو نفسه كتاباً عنها ، كما ترجمت له كتب أرسطو عن الحيوان والنبات ، وشروح ابن سينا عليها ، وهكذا كان هذا الملك جاداً في لهوه ، ولم يكن يعبث فيما يعمل ولا يجعل عمله لمجرد الإمتاع ...

كان عصر هذا الامبراطور يمثل فجر النهضة الأدبية في إيطاليا ، وهي بداية النهضة الأوروبية كلها ، وكنا نود من هذا الملك الحصيف بعد ما رأى من ثمار التسامح مع المسلمين ألَّا يحدث منه اضطهاد ينغصهم وينغص سيرته ، ولكنه لم يستطع التخلص من التيارات التي كانت تعاصره ، ولا من سيطرة الروح الصليبية عليه ..

الخلاصة :

ومهما يكن من أمر صقلية فإنها أسهمت بحظ كبير في نقل العلوم الشرقية إلى الغرب وكانت مركز ترجمة نشيطة ، وبحكم موقعها وتاريخها كانت ملتقى أجناس ولغات ، وسادت فيها اللغات الحية إذ ذاك الواسعة الانتشار ، اليونانية واللاتينية والعربية ، وكان بها يهود مُترجمون أيضاً على نحو ما كان في طليطلة ؛ **وفي صقلية ترجم المجسطي من اليونانية إلى اللاتينية مباشرة ، وترجم في الأندلس من العربية ، وفيها ترجم كتاب البصريات الذي كان بطليموس اخرجه في الاسكندرية ، وفيها ترجمت كتب ادبية اخرى ؛ وتوج فريدريك الثاني أعماله الجميلة بتاسيسه جامعة (نابل) ، في ايطاليا الجنوبية واودعها مجموعة كبيرة من كتبه الخاصة ، ودرست فيها مؤلفات ابن رشد ، وهذا عمل له قيمته ، لأن اوربا عادت فلسفة ابن رشد مدة طويلة ، وقيمة جامعة (نابل) انها اول جامعة رسمية ، وكانت الجامعات الأخرى إلى ما بعد ذلك العهد جامعات اهلية تابعة للأديرة والكنائس ، وكانت تقوم على التبرعات والهبات ، اما جامعة (نابل) فقد نشأت ملكية** مشمولة برعاية امبراطور عالم ، واستعارت منها بعض الجامعات الأخرى ، وعلى الأخص جامعة باريس ما لديها من التراجم التي أمر بها فريدريك ، ومن الذين تخرجوا في هذه الجامعة **توما الإكويني** ، وأثره معروف في نشر الفلسفة والثقافة الشرقية في أوروبا .

ويكفي صقلية ، وهي جزيرة صغيرة بجانب اسبانيا الواسعة ، أن تكون قد

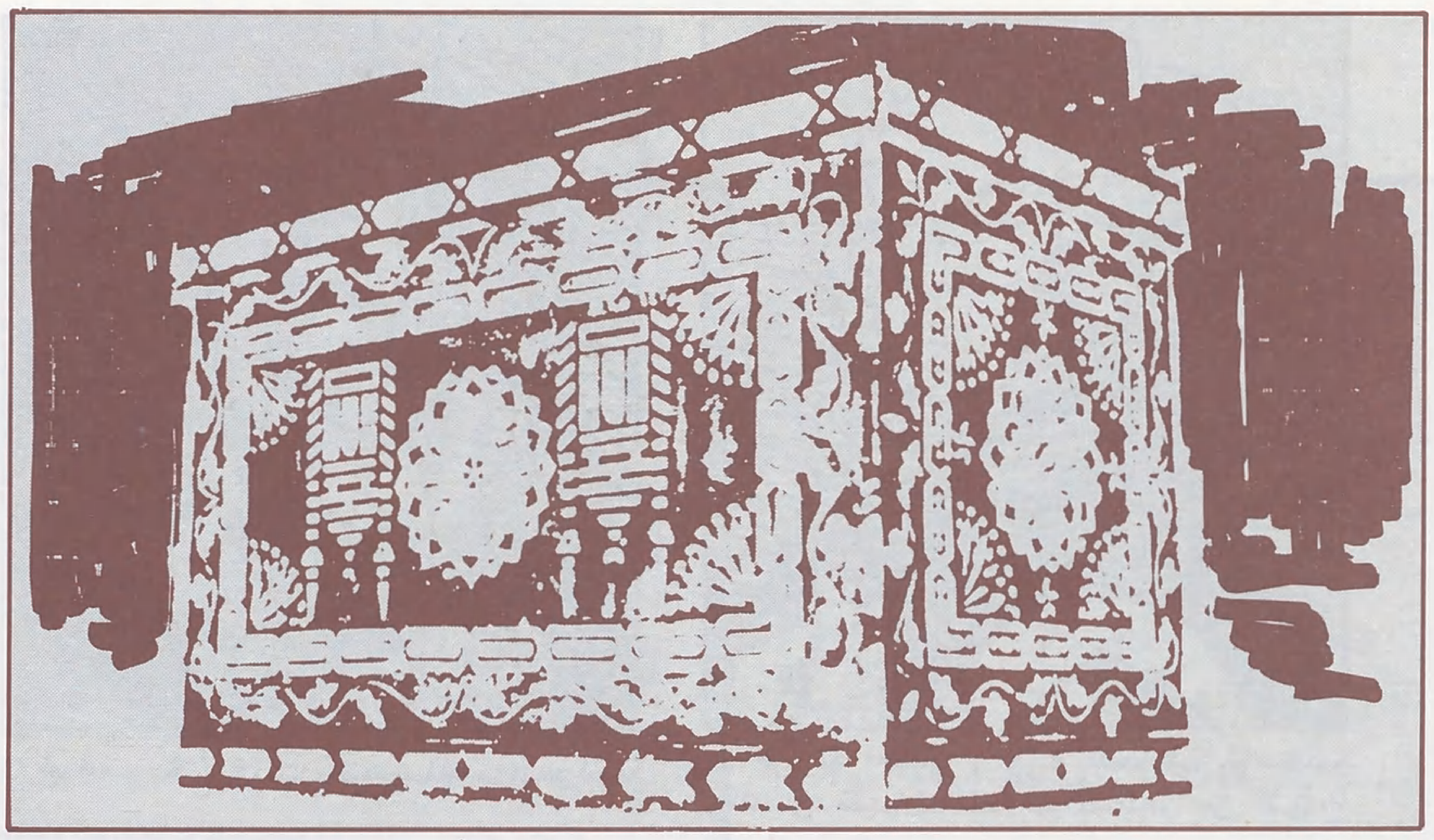

أسهمت في نقل الحضارة الشرقية إلى الغرب ، وأن يكون لها نصيب غير خفي في إيقاظ أوروبا العصر الوسيط من سباتها العميق ، وأن تكون برزخاً في نقل جزء كبير من حضارة الشرق إلى الغرب ..

هذا ، وأخبار صقلية مبعثرة في مصادر كثيرة عربية ، بعضها يكمل بعضاً ، أو يوضح ويفصل ما أجمله الآخر ، وقد جمع **المستشرق الصقلي (ميكي اماري)** أخبارها مستوفاة في مجموعة له أسماها **(تاريخ مسلمي صقلية)** ، ويقوم على درس هذه الحقبة من تاريخ هذه الجزيرة الآن الأستاذ **(أمبرتو ريزيتانو)** ، وتنبىء كتابته وكتابة (اماري) عن المجهود الجبار الذي بذله كل منهما في قراءة الموسوعات العربية حتى خرجا بهذه المعلومات الدقيقة القيمة ، وكل منهما انصف المسلمين وانصف أعمالهم النافعة ، وما أخذاه على المسلمين نشاركهم أيضاً في مؤاخذتهما به ، أخذ عليهم تفرقهم وميلهم إلى الأثرة ، وحبهم مصالح انفسهم أكثر من مصالح أوطانهم ، وأخذا عليهم كما أخذ مستشرقون منصفون أنهم بعدوا بسرعة عما رسم لهم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أنهم بوجه عام خالفوا الاسلام الذي بنى نهضتهم وحضارتهم ، فسلبوا العزة التي جاءت بسببه ، وهو كلام أولى أن يقوله المسلمون .

الاسلام والمسلمون في أمريكا

الوقف الإسلامي

تجربة رائدة في ديار الغربة

■■ ينطلق التصور الإسلامي للوقف من الأهداف الثابتة والمحددة للشريعة الإسلامية .. وهي : تحقيق مصالح الناس في دينهم ودنياهم ، ودرء المفاسد عنهم .. فالوقف من القُرَب التي حث الشارع عليها وندب إليها ، لإدرار الخير وإجزال المثوبة .. وهو لا يخرج - في جملته - عن معنى الصدقة عموماً ، إلا أنه صدقة جارية ، يدخل تحت قول رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .. [رواه مسلم] .. وقد ثبت أن القادرين من المسلمين في كل العصور حبسوا أموالهم لتحقيق الأهداف الإسلامية في مختلف المجالات ..

والوقف - كمصدر طوعي للملكية العامة الجماعية - له أحكام شرعية خاصة تشكل - في مجال التشريع - مساحة كبيرة ، تخضع لنظرة الإسلام للملكية وللوظيفة الاجتماعية للمال ، فالشريعة تنظر إلى الملكية على أنها حكم شرعي يقرره الشارع في المال المملوك ، وبالتالي فإن للشارع أن يقيد هذا الحكم بغاية معينة أو يخضعه لقاعدة مقررة ، وقد نشأت هذه النظرة من حقيقة إضافة الملك لله تبارك وتعالى ، فهو الذي استخلف الناس على المال من أجل أن يؤدوا وظيفته الاجتماعية التي أنيطت به وشرعت له .

وتشكل الأوقاف - في العالم الإسلامي اليوم - كتلة مالية ضخمة يمكن لو أُحسن توظيفها وتثميرها أن تؤدي وظيفة اجتماعية هامة بحل كثير من المشكلات التي يعاني منها عالم المسلمين ، فأغراض الوقف ليست قاصرة على الفقراء وحدهم أو دور العبادة فحسب ، بل تتعدى ذلك إلى أهداف اجتماعية كثيرة ، حيث تتناول دور العلم ومعاهد الدراسة وطلبة العلوم الإسلامية القائمين على شريعة الله ، وقد كانت للوقف في العالم الإسلامي جامعاته ومؤسساته التي نشرت نورها على الأرض وحملت رسالة الإسلام إلى الناس .. ووفرت للمسلمين حركة علمية لا نظير لها ، ونتاجاً وتراثاً وجيلاً من العلماء أثروْا التاريخ الإنساني بأسره ..

وإذا كانت أوجه الإنفاق كثيرة ومتنوعة ، فإن أفضلها ما كان منظماً مضمون البقاء ، يقوم على أساس وينشأ من أجل هدف محدد ، ويرمي إلى غاية شرعية خيِّرة ، الأمر الذي ينطبق على الوقف ، من حيث عدم جواز بيعه ، واستمرارية عطائه ، والتزام شرط الواقف ..

وقد تنبه المسلمون إلى هذه الخصائص ، فأوقفوا الكثير من الأوقاف والأحباس لمصلحة الدعوة الإسلامية ، لضمان استمرارية التمويل بعيداً عن الأشكال الرسمية التي يمكن أن توظف وتستغل ، فتتحول الأموال عن أوجه صرفها وإنفاقها .. وكان وقف الأراضي حول الأقصى - بشكل مبكر - إجراء وقائياً لحماية الأرض ، بالحد من أطماع اليهود وتوسعهم في عمليات الشراء ..

في أمريكا الشمالية تأسس « الوقف الإسلامي » عام ١٩٧٠م في إطار اتحاد المسلمين .. وأخذ ينمو نمواً سريعاً حتى أصبح أكبر هيئة أوقاف للمسلمين خارج البلاد الإسلامية .. بما يحوزه من ممتلكات ، وبما يقدمه من خدمات ، - وقبل ذلك - بما يناط به من أدوار ومسؤوليات .. وحولها جميعاً .. كان لنا هذا الحوار ■■

○ الوقف الاسلامي في أمريكا :

مؤسسة مالية تتولى إدارة وتثمير موارد المؤسسات الاسلامية ، وتقديم الخدمات لأجهزة الدعوة .. ضمن الضوابط الشرعية والتزام شرط الواقف ..

●● [محمد عبد المنعم بدر .. متخصص في إدارة الأعمال ، تخرج من كلية التجارة جامعة القاهرة ، يعمل لحسابه الخاص منذ هجرته إلى أمريكا ، حتى استلامه مسؤولية الوقف الإسلامي في إبريل (نيسان) ١٩٨٠م ، عاصر إنشاء اتحاد الطلبة المسلمين (١٩٦٣م) ، وتاسيس الوقف (١٩٧٣م) حينما ظهرت الحاجة إلى جهاز يتولى مهام إدارة شؤون الممتلكات التي تتبع الاتحاد ، ويعمل على صيانتها وتنميتها ..] ●●

من ثمرات الاتحاد ..

■■ وبادرناه بالسؤال : هل نستطيع ان نقول : إن الوقف عبارة عن مؤسسة تتولى إدارة الجانب المالي في اتحاد الطلبة المسلمين ؟

ـــ هذا صحيح .. فالاتحاد كشخصية اعتبارية ، يتكون على أساس الانتخاب السنوي ، فتتغير الوجوه التي تتولى المسؤولية ، في حين أن إدارة الأموال تتطلب نوعاً من الاستمرارية والاستقرار ، كما أن الاتحاد كمجموعة من الطلبة ، لا تتوفر لديه الخبرة القانونية والمالية اللازمة لتأمين وصيانة وتنمية ممتلكاته ، فكان لابد لهذه المؤسسة من أن يكون لها وضع إداري خاص بها .

■■ معنى هذا ان مهمة الوقف مقتصرة على إدارة وتنمية ممتلكات الاتحاد فقط ؟

ـــ نعم .. كبداية .. ثم توسع الأمر فأصبحت الخدمات التي يؤديها الوقف تعود بالنفع على باقي أفراد الجالية .. وبالتالي تم تعديل القوانين المنظمة لأعمال الوقف وأهدافه ، بحيث أصبح يخدم كل المسلمين في الولايات المتحدة .. ولا يقتصر على رعاية ممتلكات الاتحاد وصيانتها وتثميرها ..

■■ يمكن ان نقول إن الوقف هنا قد اصبحت له الآن الشخصية الاعتبارية العامة التي تتحرك في إطار المسلمين بشكل عام .. وليس في إطار اتحاد الطلبة المسلمين بشكل خاص ؟..

ـــ هذا صحيح .. وهو بهذه الصفة يعتبر مؤسسة فريدة من نوعها بالنسبة للجالية الإسلامية ، وإن لم يكن جديداً بالنسبة للنظام الأمريكي .. حيث يسمح هذا النظام لكل من يريد أن يوقف ممتلكات أو أموال لغرض ما ، سواء أكان الغرض اجتماعياً أو ثقافياً أو دينياً ..

■■ هل توجد بجانب الوقف الإسلامي اوقاف للطوائف والجاليات الأخرى ؟

ـــ لا توجد أوقاف بالاصطلاح الإسلامي ، وإنما هي خدمات لها جانب استثماري وجانب خيري أو إنساني ، تقدم للطوائف والجاليات غير الإسلامية ، وتمتلك مصادرها مؤسسات مستقلة ، ولكن للأعضاء حرية التصرف فيها .. وهذا غير نظام الوقف الإسلامي ، الذي يقوم بإدارة الممتلكات طبقاً لضوابط شرط الواقف ..

■■ من المعروف ان للوقف في الحياة الإسلامية فقهاً معيناً واحكاماً شرعية محددة .. فهل تسمح قوانين البلاد هنا بان نطبق الضوابط الشرعية الإسلامية التي تحكم الوقف ؟

ـــ النظام المعمول به في أمريكا يخضع لقانون يسمى قانون « ترست » TRUST LOW ، وأستطيع أن أسميه قانون الأمانات ، وفي إطار هذا القانون تتوفر الحرية الكاملة للواقف وناظر الوقف ، لأن يحدوا الشروط التي يرتضيها الطرفان .. فإذا أضفنا إلى ذلك المبدأ القانوني الذي ينص على أن العقد شريعة المتعاقدين ، فإن القانون الأمريكي يحترم أي شروط متفق ومنصوص عليها ..

■■ ومن هذا المدخل يمكن ان تحققوا ضوابط الشريعة وتلتزموا أحكام الوقف الشرعي ، فيكون التصرف ضمن إطار الشريعة الإسلامية ، استثماراً وصيانة وبيعاً وشراء .. وما دام الأمر كذلك ، فهل توجد ـ في إطار الاتحاد ـ لجنة من أهل الفقه تحاول ان تحكم هذه التصرفات بضوابط فقهية ؟

ـــ هناك لجنة من الأمناء ـ أمناء الوقف ـ هي التي ترعى هذه المسائل الفقهية في التصرفات الخاصة بالوقف ، فتدرس وتدون الاتفاقات ، والجدير بالذكر هنا : هو أنه لا توجد اتفاقات متعددة لكل واقف وناظر وقف ، إنما هي مبادىء أساسية منصوص عليها في الاتفاق العام بمعرفة لجنة الأمناء ..

■■ يمكن ان نسميها الإدارة التشريعية ـ إذا صح هذا التعبير ـ التي تحاول ضبط الوقف باحكام الشريعة الإسلامية وتصريف شؤونه بموجبها ..

ـــ نعم .. وأعضاء هذه اللجنة يمثلون الجالية الإسلامية في أمريكا الشمالية ..

خدمات .. أم استثمار ؟..

■■ يمكننا هنا ان ننتقل إلى نقطة تالية ، حول اهداف الوقف كما حددتها لجنة الأمناء .. ونشاطاته ، في مجال الاتحاد بشكل خاص كثمرة لوجوده ، وفي مجال الجالية الإسلامية بشكل عام في الولايات المتحدة ...

ـــ من أهداف الوقف الإسلامي بناء واستملاك المراكز الإسلامية والمحافظة عليها

■ الاخ محمد عبد المنعم بدر ـ مسؤول الوقف الإسلامي :
التمويل لم يعد مشكلة .. ولكن المشكلة في توفير وسائل الاستثمار الشرعية واجهزة إدارة المشروعات ■

○ مركز المعلومات التابع للوقف يستخدم العقل الالكتروني لتوفير بيانات تفصيلية وتحقيق التطور في مجال العمل الاسلامي ..

وصيانتها ، لتكون بيوتاً خالصة للعبادة والدعوة الإسلامية ، وهنا نهدف إلى أن يكون لكل جالية في أي مدينة أمريكية مسجدها ومركزها الإسلامي ... أيضاً من أهداف الوقف إنشاء البيوت الإسلامية ، وهي مساكن للطلبة المسلمين التي يتوفر فيها المناخ الإسلامي ، وتتكون من غرف بإيجار زهيد ، ومسجد ومكتبة إسلامية ، ومطعم يقدم الطعام الحلال ، وقاعة للاجتماعات والمحاضرات واللقاءات ، وتشمل أهداف الوقف إنشاء مقابر للمسلمين صيانة لحرمة الأموات .. هذا بالإضافة إلى إدارة أوقاف المسلمين في أمريكا حتى تصان من الاستغلال لأي هدف غير ما اسست من اجله ، وتسجيلها لدى الحكومة الأمريكية كأوقاف إسلامية معترف بها ، وتقديم الخدمات الفنية والهندسية اللازمة لتشييد المساجد والمراكز ، وتقديم الاستشارات القانونية ، وتذليل العقبات أمام تأسيس المساجد وتمتعها بالحقوق والمزايا التي تتمتع بها دور العبادة التابعة للجاليات غير الإسلامية .

■■ معنى هذا ان من نشاطات الوقف البارزة تهيئة مراكز الدعوة ، بمفهومها العام ، وما تشمله من مساجد ومكتبات ..

ـ أجل ، ويمر هذا النشاط بعدة مراحل ، تبدأ بمرحلة شراء العقار أو الأرض ، وإجراءات نقل الملكية ، ثم مرحلة وضع التصميمات والرسومات الهندسية اللازمة ، والحصول على الترخيص باستخدام المبنى في الشؤون الدينية ، ثم مرحلة التشييد وإقامة البناء ، وما يستتبع ذلك من أعمال الصيانة المستمرة .. هذه هي المهمة الأساسية للوقف ، التي يحاول أن يجند لها الكفاءات من القانونيين والمهندسين المعماريين والمختصين في شؤون التمويل ..

■■ هل يمكن ـ على ضوء ذلك ـ تقسيم النشاط إلى قسمين : تنمية وصيانة ما هو قائم من ناحية ، وإيجاد مشاريع استثمارية كموارد للمستقبل من ناحية اخرى ؟

ـ هدفنا في الحقيقة ليس الاستثمار أو تحقيق الأرباح ، إنما هدفنا تقديم خدمات .. ويأتي ذلك عن طريق وسيلة جمع التبرعات محلياً أو على أي مستوى ..

■■ النقطة الأساسية هنا هي أن الوقف بالمفهوم الصحيح ـ كمؤسسة مالية ـ لها طابعها الاستثماري الذي يجب أن يلبي حاجات المسلمين المالية المتصاعدة ـ إذا صح التعبير ـ فهم دائماً في حاجة إلى مراكز جديدة ومساجد جديدة ، ومؤسسات تعليمية جديدة ، ومن الطبيعي أن تكون بعض الموارد قائمة على التبرعات ، ولكن تبقى الحاجة التثميرية للوقف قائمة ، فهل فكرتم بقيام بعض المشاريع الاستثمارية التي يمكن أن تغطي الحاجات المستقبلية والنفقات المستمرة للصيانة ورواتب العاملين وما إلى ذلك ؟

ـ الوقف كمؤسسة ـ في الحقيقة ـ في مرحلة البداية ، ولا أستطيع أن أقول بأنه قد أخذ دوراً إيجابياً في هذا المجال ..

■■ ولكن ـ في الواقع ـ من المفروض ان تتحقق بعض الخطوات المتقدمة في هذا المجال لتثمير المال الموقوف ـ مع الالتزام بشروط الواقف ـ على مختلف المجالات .. مثل التعليم او إيواء الأيتام .. فنحن نلتزم بشرط الواقف ، ولكن ضمن شرط الواقف يمكن ـ بل لابد ـ أن نتحرك تحركاً استثمارياً للغرض نفسه ، فلا نخرج عن شرط الواقف ولكن ـ بالتالي ـ نطور وسائلنا ، وهذا من صميم مهام الوقف ..

ـ إن معظم الواقفين ـ حتى الآن ـ يقدمون المباني لاستخدامها كمساجد أو مراكز إسلامية ، ومعنى هذا أنه لم توقف مساحات من الأراضي الزراعية أو العمارات السكنية التي يمكن تخصيص إيرادها ـ كاستثمار ـ للعمل الإسلامي ..

■■ السؤال الذي نريد ان نطرحه .. هل فكر الوقف في إيجاد موارد استثمارية ، عن طريق جمع التبرعات ـ مثلاً ـ لشراء او تاسيس مشروع يغطي نفقات مسجد بصفة مستمرة ، أو يغطي اجور خدمات الدور السكنية والمراكز .. ام ان الوقف حتى هذه المرحلة لم يفكر بإيجاد نشاط استثماري ؟

ـ الوقف يفكر بإنشاء هذه المشروعات ، فهو يشجع الجالية الإسلامية على أن تنشىء هذه المشروعات وتوقفها لحساب المراكز .. ومثال ذلك أن بعض الإخوة في منطقة معينة بدأوا في بناء مسجد ، واستطاعوا أن يجمعوا له من الأموال أكثر من الحاجة اللازمة ، ومن ناحيتنا نقوم الآن بمساعدة وتشجيع الجالية على أن تستثمر هذا المال بشكل أو بآخر ، بحيث يخصص عائد هذه المشروعات لتغطية نفقات المسجد .. هذا النظام موجود لأن الوقف جهاز خدمات أكثر

منه مؤسسة مالية استثمارية، جهاز خدمات يوضح للناس الطريق لصيانة الأموال وتنميتها واستثمارها ..

□□ لنتقدم بالسؤال خطوة أخرى .. في تقديرنا ـ وهذا أمر طبيعي ـ إن كثيراً من المشاريع تقوم على التبرعات لتغطية نفقاتها .. فإلى أي مدى فكر الوقف الإسلامي في أمريكا الشمالية أن تقف بعض المشاريع على أقدامها دون الحاجة إلى التبرعات، وذلك بتغطية نفقاتها من موارد استثمارية لأشياء موقوفة للغرض الذي تحققه هذه المشاريع ؟

ـ لقد فكرنا في هذا كثيراً وهو أمر يشغل بالنا، ولكن الوقت والفرصة هما الكفيلان بوضع هذه التجربة موضع التنفيذ ..

■■ هل توفرت تجربة واحدة في موقع معين كانموذج ؟

ـ هناك تجربة مستقبلية ـ ستتم إن شاء الله في «جيزبي» ـ وهي مدينة في فلوريدا .. حيث يفكر بعض الإخوة حالياً باستثمار حوالي مائة الف دولار، من أموالهم الخاصة، عن طريق الوقف الإسلامي، وهذا المشروع محل دراسة حالياً .. وأود أن اوضح أن فكرة الوقف التي بدأت سنة ١٩٧٣م، لم يكتب لها النمو ـ كما أعتقد ـ إلَّا في الأعوام الثلاثة الماضية ..

■■ في الحقيقة، ليس هناك ما يمنع ان تكون للوقف ـ في تصوري ـ وظيفة مزدوجة، وظيفة الصيانة وحماية الموارد والتعامل معها، من جانب، وإيجاد المشاريع الاستثمارية باعتباره مؤسسة مالية قادرة على تحقيق وتوفير الموارد المالية ..

ـ الوقف لديه القدرة على القيام بهذا .. حيث تبلغ قيمة الممتلكات التي يديرها حوالي ١٥ مليون دولار .. ولكن ما أود أن أوضحه هو عامل النمو الطبيعي، فالوقف بدأ بفكرة تقديم خدمات للاتحاد، ثم تطور إلى تقديم خدمات للجالية كلها .. وفكرة إقامة مشروعات تدر دخلاً ثابتاً فكرة تحت الدراسة، ولكن حتى الآن لم تظهر بالشكل المتكامل، وبالتالي لا أستطيع أن أقول إن الوقف يقوم الآن بإدارة ممتلكات ..

■ إنتاج وسائل الإيضاح لتعليم الإسلام، ضمن مشروع ما زال في مراحله الأولية ■

■■ ولكن نستطيع ان نقول إن هناك في المستقبل فكرة بإنشاء مؤسسات استثمارية لتنمية الموارد والأموال الخاصة الموجودة، ووضعها في طريق شرعي يحقق دخلاً للوقف الإسلامي وللجالية وللأفراد ..

ـ هذه الأفكار موجودة فعلاً ..

■■ إن ما يهمنا ان نؤكد عليه هو أن الامكانات المالية في بنية اي مجتمع تعتبر قضية اساسية ـ خصوصاً في مجتمع مثل المجتمع الأمريكي ـ الأمر الذي لا يخفى على القائمين على امر الوقف الإسلامي ... اما السؤال الذي نود أن نطرحه هنا فهو حول الخطة التي يضعها الوقف في اعتباره لنشاطات السنوات القادمة ؟..

ـ فيما يتعلق بالمراكز الإسلامية والمساجد .. فقد استطاع الوقف أن يتملك خمسة وخمسين مركزاً، في مختلف المدن الأمريكية .. وهناك قائمة بمراكز ومساجد بدأ العمل بتنفيذها بالفعل، بحيث جمع لها المال، وأعدت مخططاتها، واشتريت الأرض اللازمة .. ويساعد الوقف في إنجاز بناء وشراء هذه المراكز، واستكمال وثائق استملاكها ووقفها لله تعالى ...

والجدير بالذكر هنا أن في الولايات المتحدة ما يقرب من ستة آلاف مدينة، واعتقد أن عدد المراكز الموجودة في حدود خمسمائة إلى ستمائة مركز، ما بين غرفة صغيرة ومسجد كبير .. وحسب خطة الوقف، نحاول أن نوجد ـ على الأقل ـ في كل مدينة مسجداً أو مكاناً للعبادة يلتقي فيه المسلمون ويشع منه نور الإسلام ..

الوصول إلى مواقع جديدة ..

■■ وماذا عن النشاطات الأخرى التي يقوم بها الوقف ؟

ـ هناك جانب آخر من نشاط الوقف يتمثل في المساهمة بتقديم الكلمة المكتوبة والمسموعة والمرئية .

■■ هل يعتبر الوقف هذا النشاط من مهماته واختصاصه ؟

ـ نعم .. يدخل في اختصاصه إيجاد الكلمة المكتوبة والمسموعة والمرئية في نطاق التعامل في مجالات التأليف والترجمة والطباعة والنشر والتوزيع .. سواء أكان ذلك بالنسبة للكتاب أو شريط التسجيل الصوتي والمرئي (الكاسيت ـ الفيديو كاسيت) .

■■ ما هي الخطوات التي قطعها الوقف في هذا الطريق ؟

ـ في المرحلة الحالية، قطعنا والحمد لله خطوات واسعة بالنسبة للكلمة المكتوبة .. فهناك دار «الثقة» .. للنشر .. والمطبعة .. ومكتب لتوزيع الكتاب الإسلامي، وهو ما يعرف بدار خدمات الكتاب الإسلامي .. « ISLAMIC BOOK SERVICE » أحد أقسام الوقف الإسلامي .

■■ وننتقل إلى قسم خدمات الكتاب الإسلامي لنستكمل الحوار حول جوانب نشاطه ..

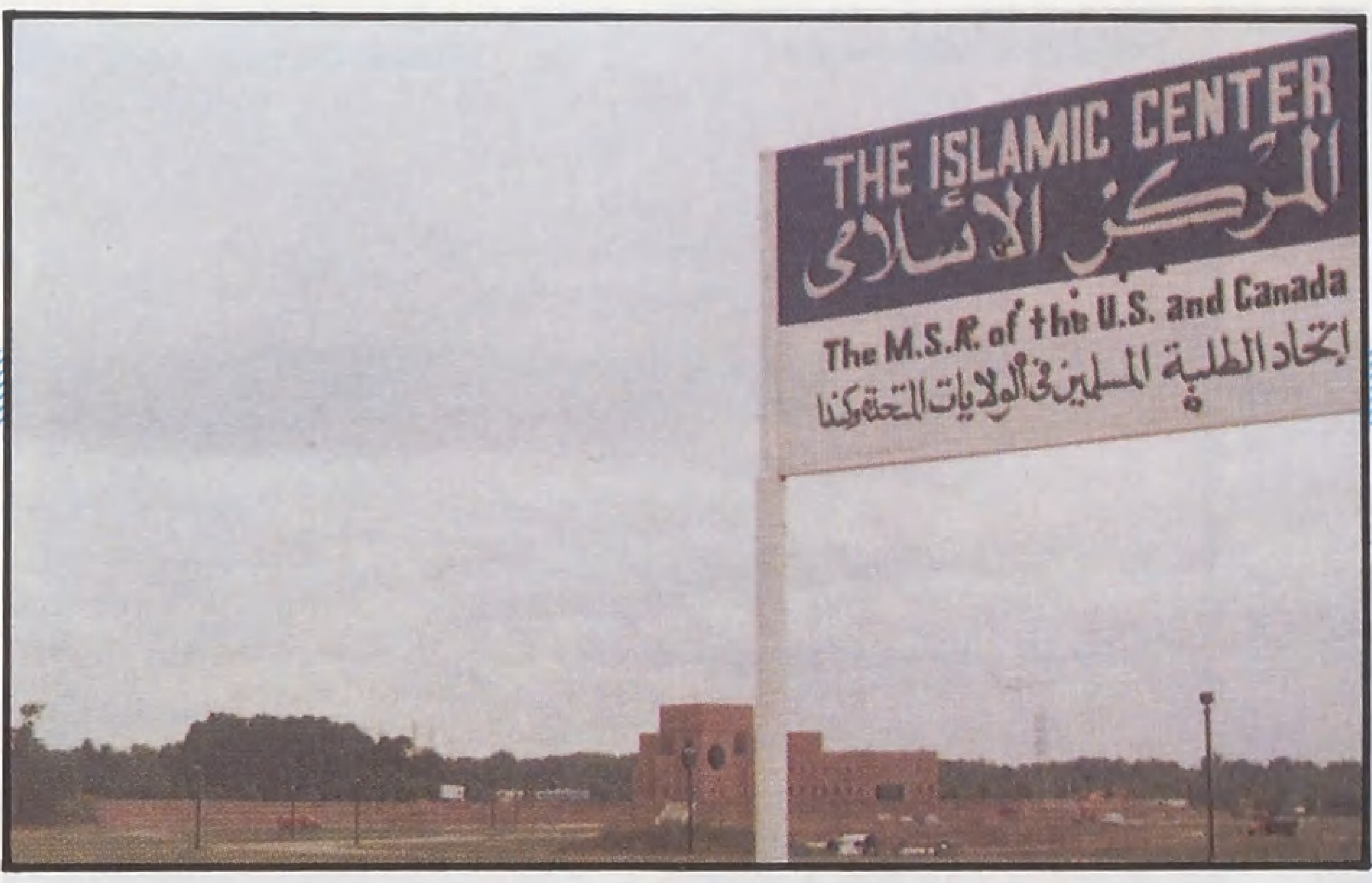

■ الوقف الإسلامي يؤمن الخدمات القانونية والاجرائية للحصول على تراخيص إنشاء المراكز الإسلامية قبل عملية البناء ■

مع رئيسه سيد محمد علي [ماجستير في إدارة الأعمال ، من مدينة لكهنئو بالهند] .. وكيف بدأ هذا النشاط ؟..

ـ عندما تأسس اتحاد الطلبة المسلمين وأخذ يباشر دوره ، ظهرت الحاجة الماسة إلى بعض الكتب الإسلامية ، وكان ذلك في عام ١٩٦٣م في مدينة « جاري » بإنديانا ، حيث مركز إدارة الاتحاد في ذلك الوقت ، وأخذت الفكرة تتبلور في صورة عملية بجهد أخ مسلم اسمه ممدوح عبد الله .. جزاه الله خيراً فبدأ بشراء مجموعة من الكتب بحوالي خمسين دولاراً فقط .. ثم تطورت الفكرة ونمت نمواً سريعاً وأصبحت داراً للتوزيع .. انتقلت في مراحل تالية إلى « سنسناتي » بولاية أوهايو ، ثم إلى « ميتشجان آن آربر » ، وحتى عام ١٩٦٦م كانت الجهود كلها تطوعية .. وعندما انتقل مركز الاتحاد إلى مدينة بلينفيلد عام ١٩٧٦م ، انتقلت معه دار خدمات الكتاب الإسلامي ، حيث أخذت تنمو وتتطور إلى أن أصبح رأسمالها حوالي مليونين من الدولارات ... ولا يقف التطور عند الناحية المادية فحسب ـ حيث إننا لا نهدف إلى تحقيق الربح بقدر ما نهدف إلى نشر الإسلام وخدمة الدعوة عن طريق الكتاب ـ فقد أصبحنا نقدم الكتاب الإسلامي باللغات : العربية ، والانجليزية ، والأوردية ، والتركية ، والماليزية ، واليوغسلافية ... والحمد لله أصبحت الدار معروفة في معظم بلاد العالم .

■■ كم يبلغ عدد عناوين الكتب التي تتعاملون بها بالنسبة لكل لغة من هذه اللغات ؟

ـ بالنسبة للغة العربية يبلغ عدد عناوين الكتب حوالي الف عنوان ، أما اللغة الانجليزية فيبلغ عدد عناوين الكتب بها ١٥٢٧ ، والأوردية ١٢٤ عنواناً ..

■■ وماذا عن تمويل هذا النشاط ؟؟

ـ كما سبق أن أوضحت .. لقد بدأت الدار بالفعل بخمسين دولاراً فقط وتطورت حتى صار رأسمالها ولله الحمد كبيراً ، ونحن لا نحصل على تبرعات من أية جهة ، فقط نستثمر أموالنا ، ورأس المال ينمو سريعاً في مجال توزيع الكتاب ..

■■ كيف تختارون الكتاب الذي تتعاملون به ؟

ـ الحمد لله ، نحن لا نوزع أي كتاب قبل مراجعته وفحص عينات منه حتى نتأكد من صحته من الناحية العقائدية والفكرية ، ومن مناسبته لأمريكا الشمالية والعالم الغربي بصفة عامة ، وقد كان هذا الإجراء سبباً في تأسيس دار « الثقة » للنشر .. إحدى مؤسسات الوقف الإسلامي أيضاً ..

■■ ما هي وسائل توزيع الكتاب الإسلامي ومنافذه ، على ضوء خبرتكم في العمل بهذه البلاد ؟؟

ـ يتم توزيع الكتاب أساساً عن طريق البريد ، وهناك موزعون فرعيون ، حوالي خمسة عشر موزعاً ، في محلات لبيع الكتاب الإسلامي ، وهناك المراكز الإسلامية التي لا يقل عددها عن سبعين مركزاً في أنحاء أمريكا الشمالية وكندا ، بالإضافة إلى بعض المدارس ذات البرنامج الإسلامي الكامل مثل المدرسة الإسلامية في فيلادلفيا ، حيث تدرَّس كتبنا هناك .. وأيضاً مدارس نهاية الأسبوع لأبناء المسلمين .. هذا إلى جانب البلاد الغربية الأخرى التي نصدر لها كتبنا عن طريق الشحن الجوي والبري .

■■ ما هي اهم الإنجازات التي تحققت حتى الآن في مجال عمل دار خدمات الكتاب الإسلامي ؟

ـ لقد كان هدفنا الأساسي الوصول إلى أكبر عدد ممكن من المسلمين وغير المسلمين في الولايات المتحدة وكندا ، ونستطيع أن نقول إننا وصلنا ـ والحمد لله ـ إلى تغطية معظم الأنحاء بهما ، ولأن هدفنا بالدرجة الأولى نشر الإسلام ، فإننا نعتبر هذا الإنجاز نجاحاً ، ففي كل يوم يتصل بنا أناس غير مسلمين يطلبون منا أن نرسل لهم كتباً عن الإسلام .. وهذا فضل من الله عظيم

■■ وعن خطة المستقبل واهدافها .. يقول مدير إدارة خدمات الكتاب الإسلامي :

ـ سوف نبدأ مرحلة جديدة بإذن الله في توزيع الكتاب الإسلامي في أنحاء العالم ، لنصل به إلى البلاد البعيدة التي لا يحظى هذا الكتاب فيها بفرصة توزيع أو رواج مثل الصين ، واليابان ، وكوريا ، وتايلاند .. فنحن نهدف للوصول إلى كل بيت غير مسلم في أمريكا وكندا .. تماماً كما وصلنا إلى بيوت معظم المسلمين في هذه القارة الواسعة .. حتى نقدم لهم الإسلام بصورته الصحيحة المشرقة ، ونقضي على الدعايات المغرضة التي تحاول بشتى الطرق تشويه هذه الصورة ، كما نسعى إلى تقديم الكتاب الإسلامي الجيد بأسعار مناسبة ..

■■ هل تواجهون صعوبات او مشكلات في طريق العمل ؟

ـ نعم ... هناك عدة مشكلات أهمها الارتفاع الكبير جداً في تكاليف الدعاية والإعلان ، حيث لا نستطيع أن نقابله من الناحية المادية ، هذا إذا استطعنا أن نتغلب

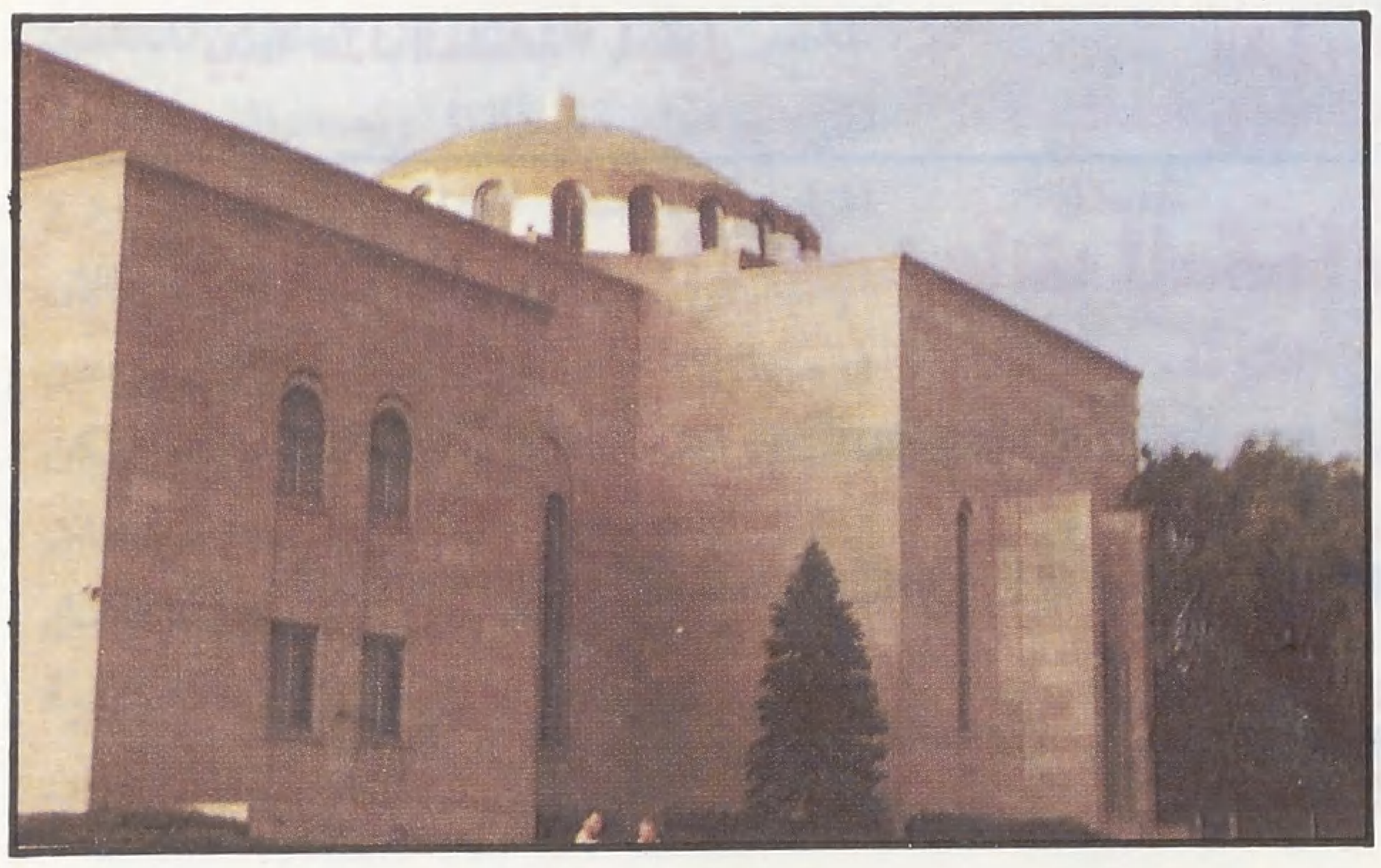

■ المركز الإسلامي في شيكاغو الذي افتتح قبل عدة شهور .. خطوة يدعمها الوقف الإسلامي في المواقع المختلفة كي يكون للجالية مركزها الإسلامي ومسجدها ومدرستها الإسلامية ■

الوقف الإسلامي

تجربة رائدة في ديار الغربة

على صعوبة الحصول على فقرة إعلانية بإحدى محطات الإذاعة أو قنوات التلفزيون ، حيث لا تخفى سيطرة اليهود على مؤسساتها وملكيتهم لها .. هذا في الوقت الذي يزودنا بعض الناشرين بالكتب بأسعار مرتفعة مما يجعلنا في حرج ، لأننا نسعى إلى توزيع الكتاب بأرخص الأسعار ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يستغرق شحن الكتب من الخارج وقتاً طويلاً ، الأمر الذي يسبب لنا بعض الخسائر نظراً لتعطل راس المال المدفوع للحصول على هذه الكتب .. وهناك مشكلات في مجال التوزيع الداخلي تنتج عن كثرة تنقلات العائلات المسلمة ، مما يضطرنا إلى تعديل قوائم البريد ـ العناوين وأرقام التليفونات ـ بصفة مستمرة ، ويسبب اضطراباً في حركة التوزيع ..

وما أود أن أطرحه على الإخوة المسلمين في كل مكان ، هو استعدادنا لتلقي المناصحة إذا لاحظوا أي تقصير من جانبنا ، ونرجو أن يرشدونا إلى الكتاب الجيد ويزكوه لنا ، إذا عثروا عليه ، حتى نراجعه ونوزعه .. وأن يقدموا لنا أكبر عون بتقديم اسم دار خدمات الكتاب الإسلامي للمسلمين وغير المسلمين المهتمين بالكتاب الإسلامي في كافة المجالات ، حتى يمكن الوفاء بدورنا بالوصول إلى أبعد المواقع بالكتاب الإسلامي الجيد .

بين الترجمة وتعليم العربية ..

■■ ونعود مرة أخرى لنستكمل ما بدأناه من حوار مع مسؤول الوقف الإسلامي حول نشاط الوقف في مجالات الكلمة المكتوبة والمسموعة والمرئية .. ومن أين يبدأ هذا النشاط ؟ فيقول :

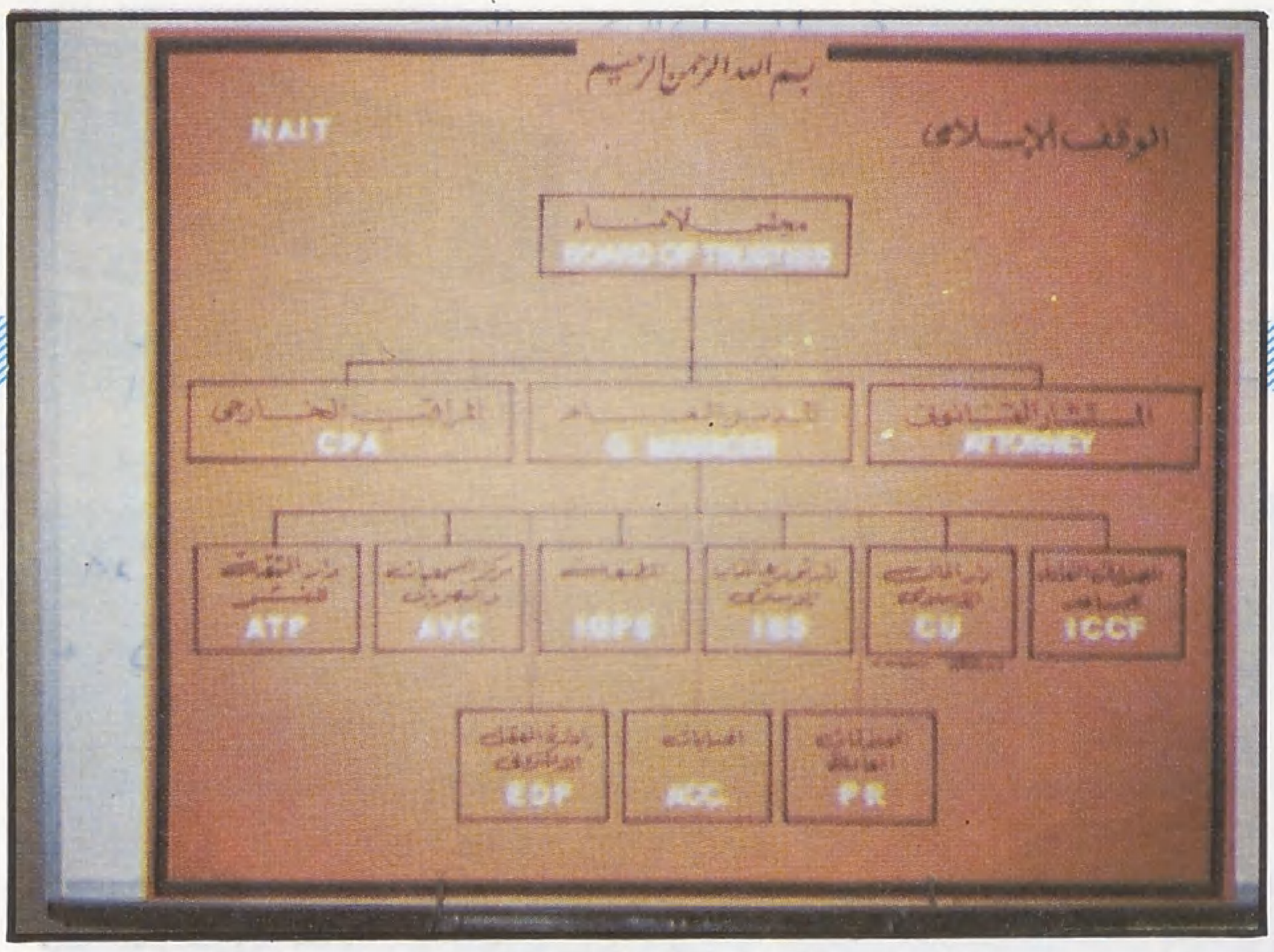

■ هيكل العمل في مؤسسة الوقف الإسلامي ■

ـ يبدأ النشاط في مجال الكلمة المكتوبة من مرحلة الإعداد .. بالاتصال بالمؤلف أو المترجم ، على أساس خطة تحدد أولويات العمل من حيث الاحتياجات من الكتب المختلفة التي يمكن أن تحل المشكلات الآنية في البيئة الأمريكية والمجتمع الغربي .. وبعد هذا تأتي مرحلة طباعة الكتاب ومرحلة تسويقه .

■■ هذا امر طيب .. لكن لابد من تقديم الخدمات ضمن إطار اللغة العربية لابناء المسلمين بتقديم الكتب الإسلامية العربية ، بل ولغير المسلمين ايضاً .. فإذا كنّا نقدم لهم الكلمة الإسلامية بلغتهم ، كمرحلة ، فذلك لا يغني عن العبء الآخر وهو تقديم كتاب تعليم العربية والكتاب الإسلامي باللغة العربية .

ـ نحن على استعداد لتقديم الكتاب باللغة العربية ، إذا وجدنا القارىء في الولايات المتحدة الذي يقرأ العربية .. نحن نرحب بنشر هذا الكتاب ..

■■ الا تعتقدون انه يجب أن يتم عمل إيجابي في إطار المطبعة ودار النشر من أجل تعليم اللغة العربية .. كمشاريع تشجيعية ـ مثلاً ـ للكتاب العربي ، على اساس ان العربية هي لغة القرآن التي يتعرف الإنسان من خلالها على الإسلام الصحيح .. وان الإنسان إلى جانب لغته الخاصة يجب عليه ان يتعلم لغة ثانية ؟

ـ نحن ـ بطبيعة الحال ـ ننشر مثل هذه الكتب ونوزعها .. كتب لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، ولكن الأنشطة المرتبطة بالتعليم هي من اختصاص الاتحاد وإدارة الدعوة ، وهناك لجنة للتخطيط تضم ممثلين لهذه الأجهزة المسؤولة عن نشر الدعوة ، وهي التي تحدد للوقف احتياجاتها وتصوراتها ..

■■ معنى ذلك ان الوقف جهاز تنفيذي ؟

ـ نعم .. فهم يقدمون التصور ونحن نقوم بالتنفيذ حسب ما يُطلب منا على أساس الخطة الموضوعة بمعرفتهم .. فالوقف هو الجهاز التنفيذي المسؤول عن تحقيق هذه الخطة ..

■■ ما هي آخر الأعمال التي يقوم الوقف بطباعتها حالياً ؟

ـ نحن الآن في المراحل النهائية من عملية طباعة كتاب « الحلال والحرام » للدكتور يوسف القرضاوي ، بعد ترجمته ، وهناك كتاب تُرجم عن الفرنسية بعنوان « إنسانية الإسلام » يجري العمل في طباعته ، وكتاب آخر عن « نظام الحسبة » للدكتور السامرائي الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية ، كما نحاول

○ مسؤول دار خدمات الكتاب الاسلامي :

استطعنا ـ بحمد الله ـ أن نصل بالكتاب الى كل بيت مسلم ، ونسعى الآن للوصول إلى كل بيت غير مسلم في القارة الأمريكية .. لتقديم الاسلام الصحيح ..

الانتهاء من مرحلة ترجمة كتاب « فقه السنة » لفضيلة الشيخ سيد سابق، وتتوقف هذه المرحلة على ظروف المترجم نفسه وهو الدكتور السامرائي أيضاً ..

هـذا، ونحن نشجع كذلك نشر رسائل الدكتوراه التي يعدها الطلبة المسلمون في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا، والتي تتعلق بالعلوم الإسلامية في المجالات المختلفة ..

■■ هناك نقطة مكملة للصورة العامة لعمل الوقف، تتعلق بمصادر تمويله، نود أن نسأل عنها ..

ـ الوقف الإسلامي ـ تقريباً ـ يعتمد على الجهود الذاتية في تمويل أنشطته، خاصة ما يتعلق منها بإصدار الكتاب، فهو يعتمد على بعض المساعدات من اتحاد الطلبة، بالإضافة إلى التمويل الداخلي الذاتي الذي يأتي من مردود الكتب نفسها بعد توزيعها .. أما بالنسبة للمشروعات الجديدة فيعتمد الوقف على التبرعات ..

عودة إلى الاستثمار ..

●● وعند هذه المرحلة من الحوار، نرى أهمية تسجيل جانب من المناقشة التي كانت قد جرت بين ضيوف اتحاد الطلبة المسلمين في مؤتمرهم العشرين، وبين المسؤولين عن الوقف الإسلامي خلال زيارتهم الميدانية لمقر الوقف بهدف التعرف على أنشطته ●●

■■ كيف تستثمرون الأموال التي ترد للوقف كتبرعات ؟

ـ الوقف يستثمر في أربعة مجالات ..

أولاً : **إنشاء المراكز الإسلامية**، فنحن نعتبر أن المساعدة في إنشاء مراكز جديدة نوع من الاستثمار وإن كان لا يدر دخلاً أو عائداً مالياً، ولكنه في الحقيقة يغطي حاجة المسلمين .

ثانياً : **العقارات**، فالوقف يشتري بعض العقارات ويقوم بتأجيرها للإخوة المهتمين بالعمل الإسلامي في المدن المختلفة ..

ثالثاً : **محفظة الأسهم**، وقد حددنا نوع الشركات التي يمكن التعامل معها من خلال هذه الأسهم، وهذا المجال يدر بعض الإيرادات .

رابعاً : **البنوك الإسلامية**، وطبعاً لا توجد في أمريكا بنوك إسلامية، ولكن نتعامل مع البنك الموجود في لوكسمبرج، ومع شركة « أربكو » بالقاهرة، ومع بعض البنوك في جدة ..

وقد حاولنا أن نتعامل مع بيت التمويل الكويتي، غير أن قانونه لا يسمح بالاستثمار للأجانب .. ونحن نحاول أن نطرق أبواب المؤسسات الإسلامية، لأنها في الحقيقة هي المجال الوحيد أمامنا من أجل توظيف الأموال حسب الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى العقارات والأسهم، فمثلاً بالنسبة للادخارات التأمينية، نحاول أن تمد شركة الخليج نشاطها إلى الولايات المتحدة .. ونوضح لها حجم القدرة الادخارية للجالية الإسلامية، فهي قدرة كبيرة والحمد لله .. وأعتقد أن المؤسسات الإسلامية نفسها لا تزال في مرحلة الإنشاء، وعندما تقوى سواعدها يمكن أن يتم التعاون على الوجه الأمثل بإذن الله ..

■ في مقر مؤسسة الوقف الإسلامي، ضيوف مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين، في إحدى القاعات التي ستستخدم لعروض مشروع الوسائل السمعية والبصرية .. يتابعون حديث المسؤول عن المشروع ■

■■ هناك ملاحظة حول أهداف الوقف الإسلامي من خلال عرضكم لبعض أوجه النشاط التي يقوم بها .. فالوقف كما نتصور هو مجال للاستثمار، ولكن ما قدمتموه لنا عن نشاطاته يوحي بأنه قد أصبح مؤسسة خدمات تهتم بالنشر الثقافي، على حين أن الوظيفة الأساسية للوقف تتحدد في التمويل والاستثمار ..

ـ في الحقيقة، لا يهدف الوقف الإسلامي إلى تحقيق أرباح كشركات الاستثمار، لأسباب قانونية، فالقانون هنا لا يسمح بالاستثمار لتحقيق الأرباح إلا إذا كانت هناك مصلحة خاصة بصاحب المنشأة، أما أن نقوم بجمع تبرعات من الغير لاستثمارها لصالح المسلمين فهذا خارج نطاق القانون .. لأننا على الأقل لا ندفع ضرائب، ثم إننا نعتبر أن توفير الكتاب الإسلامي هو نوع من الاستثمار، بالإضافة إلى أننا نستثمر في حدود الإمكانات المتاحة ..

أما الحل المطروح للدراسة لمواجهة احتمالات التوسع والنمو القائمة، فيتمثل في أن يكون الوقف الإسلامي مالكاً لشركة تجارية استثمارية تشكل وتعمل من خلاله ...

وعموماً، لا تزال المؤسسات المالية والاستثمارية الإسلامية في حاجة إلى تطوير كبير حتى يمكنها أن تتعامل مع متطلبات العصر، بقدر حاجتها إلى الفقهاء المسلمين لكي يرعوْا خطواتنا ويمدونا بالأوعية المناسبة لتثمير الأموال حسب الشرع الإسلامي .. فإننا لم ندخل بعمق حتى الآن في مجالات الاستثمار، ذلك أن التمويل من مصادر إسلامية لم يعد مشكلة، ولكن المشكلة الحقيقية تكمن في استحداث الوسائل وتطويرها للوصول إلى الشكل المناسب للمؤسسات الاستثمارية الإسلامية وإنشاء المشروعات المختلفة، وقد يكون

الوقف الإسلامي
تجربة رائدة في ديار الغربة

الأمر سهلاً من الناحية النظرية بينما يختلف تماماً عند التنفيذ ..

والجدير بالذكر هنا هو أننا نوجه اهتماماً كبيراً نحو فكرة إنشاء المؤسسات المالية الإسلامية غير أن مشاكل كثيرة تقابلنا .. ولعل أهمها تكوين الجهاز القادر على القيام بالعمل ، وقد يحتاج ذلك إلى بعض الوقت ، وقد أولينا اهتماماً لعمليات التدريب على إدارة المشروعات ، وسوف نصل إلى نتائج طيبة بإذن الله ..

■■ على ضوء الخبرات المتحصلة من ممارسة العمل ، هل هناك تداخل بين نشاط الوقف ومهام اتحاد الطلبة المسلمين ؟

ـ في الواقع ، إن عمل الاتحاد يبدأ عندما ينتهي عمل الوقف الإسلامي ، فمثلاً لا يهتم الاتحاد بإجراءات التعاقد مع المقاول أو بالنواحي القانونية عند إنشاء مسجد أو مركز إسلامي .. ولكنه يقوم بعمله بعد وجود المكان فيقدم الدعاة والمدرسين لمباشرة النشاط .. وبالنسبة للكتاب الإسلامي ، فإن الاتحاد يقدم لنا قائمة بالكتب التي يرى شراءها لتوزيعها مجاناً ، كما أن الاتحاد له وجود في مجلس إدارة الكتاب الإسلامي يتمثل في علماء الاجتماع والأطباء ، حيث يعرض احتياجاته من كتب الثقافة الإسلامية ، ثم يقوم الوقف ـ على ضوء ذلك ـ بالاتصالات اللازمة بالمؤلفين والمترجمين وإنهاء إجراءات التعاقد القانونية .. فإذا كان الاتحاد هو جهاز للدعوة فإن الوقف جهاز لإنتاج الوسائل اللازمة للدعوة ..

التنمية الاقتصادية ..

●● ونعود لمتابعة الحوار مع الأخ محمد بدر مدير الوقف الإسلامي بالولايات المتحدة .. حول مشروعات الوقف ونشاطاته فيما وراء إصدار الكتاب الإسلامي ونشره وتوزيعه ... فيقول :

ـ هناك مشروع جديد لإنتاج وسائل إيضاح لتعليم الإسلام ، وهذا المشروع يتكلف الكثير من المال ويحتاج إلى دعم حتى يصل إلى مرحلة الإنتاج التجاري ، ولذلك يعتمد الوقف على التبرعات في القيام بالأعمال التأسيسية ، وهي توفير المباني وتزويدها بالمعدات اللازمة ، وسوف يتم ذلك ـ حسب التقديرات الموضوعة له ـ خلال سنتين أو ثلاث سنوات .

■■ ما هي طبيعة وسائل الإيضاح هذه ؟ وهل هي تعليمية لأبناء المسلمين أم لنشر الدعوة بين الأمريكيين من غير المسلمين ؟

ـ المشروع مخصص للمسلمين في الولايات المتحدة أو المسلمين الذين يعيشون في بيئة غير إسلامية ، ولكن يمكن الاستفادة منه في أي مكان ، فمثلاً فيما يتعلق بوسيلة إيضاح تعليم الصلاة : يمكن ترجمة الكلام المصاحب للصورة إلى أي لغة حيث تبقى الحركات التعليمية ثابتة ، وكذلك بالنسبة لتعليم تلاوة القرآن الكريم وتجويده وقراءته قراءة صحيحة ، يمكن أن توضع الإرشادات بأكثر من لغة ... وهكذا .

■■ وهل سيقتصر إنتاج المشروع على البرامج التعليمية ؟

ـ كمرحلة أولى نحاول توفير البرامج التعليمية ، ولكن هناك خطة للتوسع في المشروع بإنتاج أفلام عن جولات في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي ، تقدم تقارير مسموعة ومرئية عن أحوال المسلمين من خلال الواقع ، وذلك لتربية الإحساس عند المسلمين بمشاكل إخوانهم .. والمشروع ـ بصفة عامة ـ يمكن أن نعتبره نواة لإنشاء الإذاعة الإسلامية والتلفزيون الإسلامي ..

■■ هذا في الحقيقة ما نود أن نثيره .. فهل تفكرون مستقبلاً بإعداد بث تلفزيوني أو الحصول على ساعات للإرسال خاصة بالجالية الإسلامية وبنشر الدعوة ؟؟

■ الأخ سيد علي ـ مسؤول دار خدمات الكتاب الإسلامي ـ أحد أقسام مؤسسة الوقف الإسلامي ■

ـ نحن نفكر باستئجار ساعات للبث التلفزيوني ، ولكن في المرحلة الحالية لا نملك المواد العلمية التي يمكن تقديمها إذا ما توفر الوقت للإرسال حيث لم يعد ذلك مشكلة ، وما نقوم به الآن هو إنتاج أفلام تجريبية عن الإسلام ، يتم عرضها داخل المساجد والمراكز الإسلامية على فترات ، حتى إذا ما عممت هذه الفكرة ، وثبت أن هناك إقبالاً عليها ، بالنظر إلى جودتها وجدواها ، عندئذ يمكن الانتقال من مرحلة العرض في المكان المحدود إلى مخاطبة الملايين عن طريق شاشة التلفزيون أو موجات الإذاعة ، بالإيجار في البداية ، ثم بإنشاء الأجهزة الخاصة بنا في مرحلة تالية بإذن الله ...

■■ ما هي العقبات التي تواجهونها ؟

ـ العمل الإسلامي ـ بصفة عامة ـ يتوقف على الرجال الأكفاء ، والأفراد المتخصصين الواعين برسالة المؤسسات الإسلامية ، وأعتقد أن العقبة الأساسية تكمن في عدم فهم العمل في إطار إسلامي إنتاجي بحيث يمكن أن ينافس الإنتاج الأمريكي ، فنحن في حاجة إلى تنمية وتطوير العمل الإسلامي ووسائله .

■■ هذا يمكن أن نعتبره من العقبات الداخلية .. النابعة من داخل مجتمع المسلمين أنفسهم ، وماذا عن العقبات الخارجية التي تواجهونها من خلال البيئة والمجتمع والظروف المحيطة ؟

ـ لا أعتقد ـ والحمد لله ـ أنه توجد عقبات خارجية ، فالولايات المتحدة أرض خصبة للعمل الإسلامي ، خاصة بالنسبة

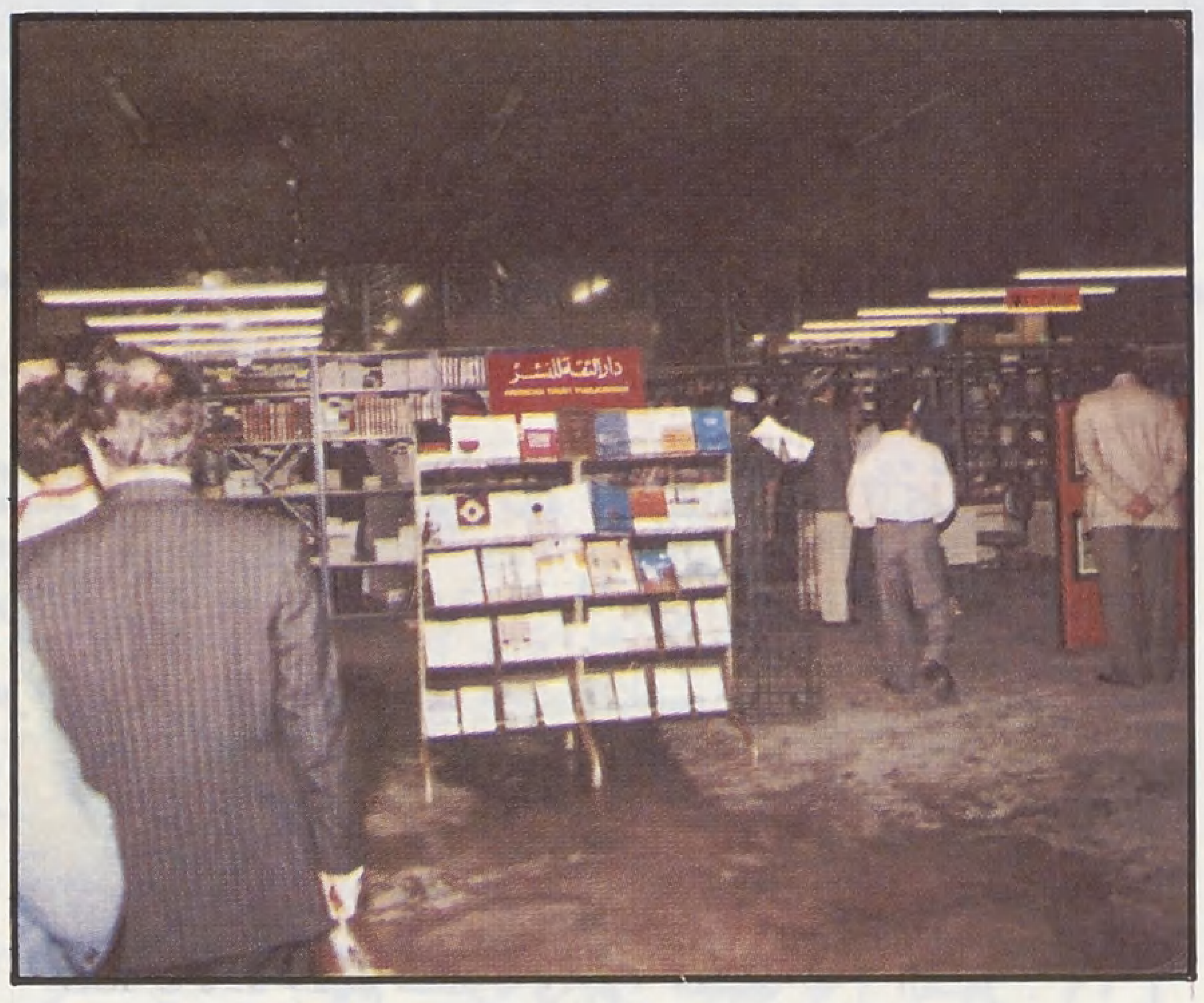

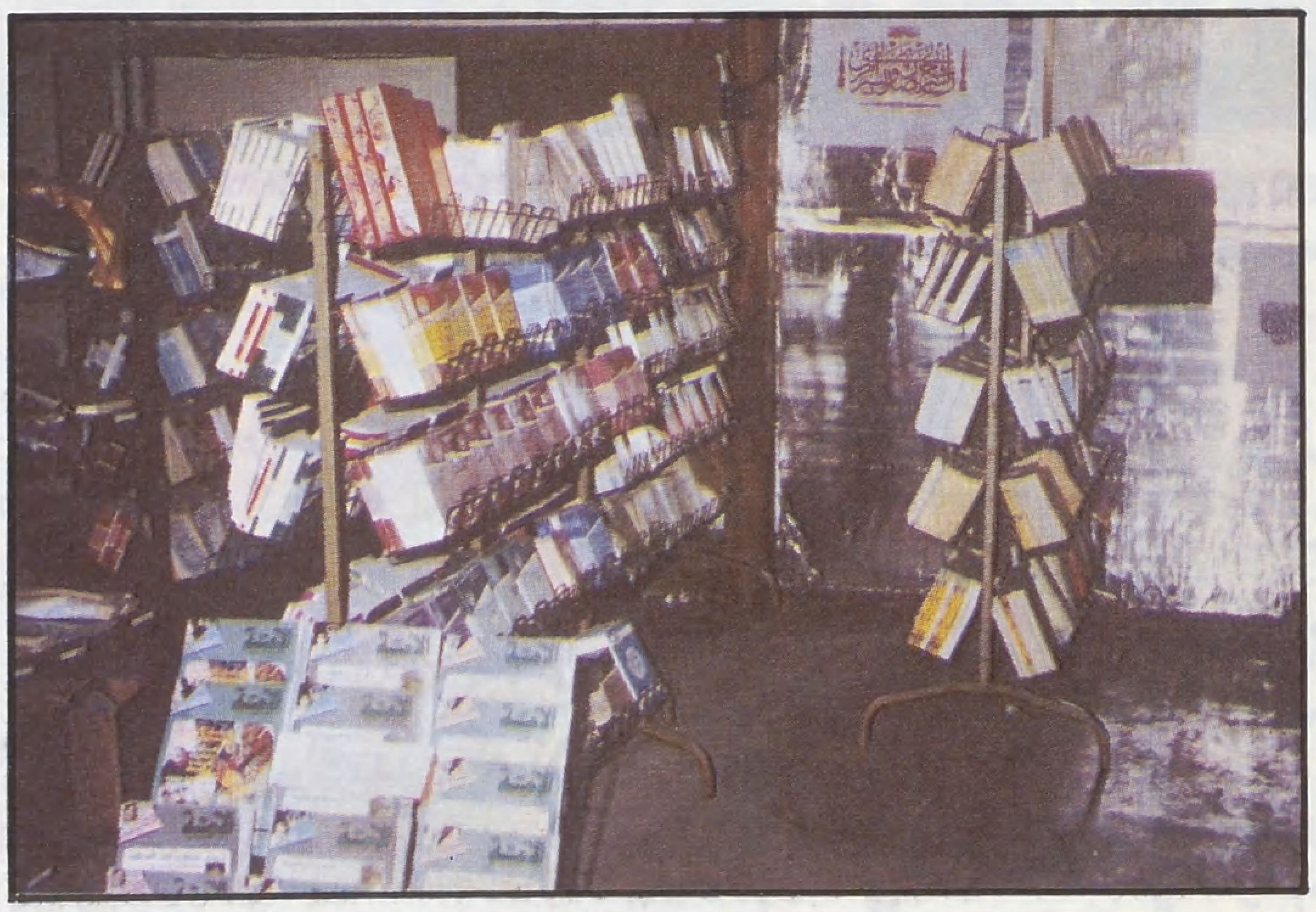

■ جانب من الكتب والدوريات التي توفرها دار الثقة للنشر ، ودار خدمات الكتاب الإسلامي .. بطريق الاستيراد او التاليف والترجمة ■

للأشخاص الذين لديهم الاستعداد للاستماع لصوت الإسلام ، فقط المطلوب هو الوسائل المتطورة .. غير أن هناك مشكلة واحدة تثور عندما نلجأ إلى شراء عقار أو عند إنشاء مركز إسلامي .. حيث يقضي النظام هنا بضرورة الحصول على موافقة أهالي المنطقة أو الإدارة الحكومية بها لاستخدام الموقع كمسجد مثلاً .. ولكن في معظم الحالات يحصل الوقف على التراخيص اللازمة ، وهكذا نرى أنه إذا كانت مثل هذه العقبة تنتهي إلى الحل ، فلا نعتبرها في الحقيقة من المشكلات .. حتى بالنسبة للمركز الحالي للاتحاد ، برغم أن الإجراءات القانونية استغرقت ثلاث سنوات ..

■■ هل تعتقدون أن المسلمين كجالية في الولايات المتحدة ، تتمتع بالحقوق نفسها التي تتمتع بها جاليات دينية أخرى .. وذلك فيما يتعلق بقضية الوقف ؟

ـ أعتقد أن الوقف الإسلامي يستطيع الحصول على كل الحقوق التي تحصل عليها الجاليات الأخرى ، مع ملاحظة أن الأمر في النهاية يتوقف على الأفراد ، وعلى جهدهم وسعيهم وتعاونهم في الحصول على هذه الحقوق ، ولذلك قد يظهر أن بعض الجاليات أقدر من غيرها بإمكانياتها وبتاريخها الطويل ، وعلى الرغم من أن عمر الجالية الإسلامية قصير نسبياً ، إلا أننا ـ والحمد لله ـ نتحرك بمعدل جيد ، فمثلاً : منذ عشر سنوات كان أقصى ما نتصوره أن يجتمع بعض الإخوة المسلمين لتدارس شؤونهم ، والآن تسعى كل مجموعة مسلمة في أي مكان إلى أن يكون لها مركز إسلامي ومسجد .. بل وتحاول أن يكون لها مدرستها الإسلامية .. ويقوم الوقف الإسلامي بمساعدتها في إنشاء المدرسة إلى جانب المسجد والمركز ..

■■ وماذا تتوقعون بعد هذه المرحلة في نطاق مشروعات المستقبل للجالية الإسلامية ، بحيث يكون للوقف الإسلامي دوره فيها ؟

ـ أتوقع أن تكون المرحلة التالية بعد المدرسة هي المصنع ، ومكتب الأعمال ، والمشروع التجاري .. ونحن نشجع الأفراد على تأسيس وممارسة هذه النشاطات ، وهذا هو دورنا الذي نسميه بتنمية الجالية .. أو التنمية الإقتصادية للجالية ..

■■ في الحقيقة تعتبر التنمية الاقتصادية للجالية ، والإشراف عليها من أهم أهداف الوقف ، خاصة في بلد يحكمه الاقتصاد مثل أمريكا ، كما انها تحقق الاستقلال الذاتي للمسلمين عن طريق المشروعات الصغيرة ، لانه في قوة الأفراد قوة للجالية نفسها .. فما هو دور الوقف في هذا المجال ؟

ـ الوقف يشجع تنمية هذه الإمكانات ، فيقدم الخدمات الأساسية والاستشارات لتحويل الموظفين إلى رجال أعمال .. وهذا هو التطور الذي نحاول أن نحققه ، وسوف يشترك الوقف ـ إن شاء الله ـ مع اتحاد الأطباء المسلمين في تنظيم مؤتمر محدود عن **« كيفية استفادة المسلم من مدخراته في الولايات المتحدة »** .. وهذه القضية تشغلنا الآن ، ونتائج هذا المؤتمر سوف تظهر في شهر سبتمبر ١٩٨٢م ـ بإذن الله ـ حيث نأمل أن تتحقق في شكل صندوق تعاوني أو شركة استثمار لاتحاد الأطباء لأن لديهم قدرة ادخارية كبيرة والحمد لله ...

■■ لعلنا نتساءل الآن .. بعد هذا العرض لجوانب نشاط الوقف المتعددة والمتشعبة .. كيف يستطيع أن يؤدي رسالته بدون أن يتوفر على جهاز متقدم للمعلومات ؟

ـ إن مراكز المعلومات من المشروعات التي يهتم بها الوقف ، حيث لابد عند اتخاذ القرار من معلومات أساسية ، وحقائق لا تعتمد على التخمينات أو استشعار الأفكار أو الخواطر .. وقد بدأنا والحمد لله بمرحلة تدوين الحقائق عن طريق إنشاء جهاز للعقل الألكتروني منذ شهر يونيو ١٩٨١م ، وهو يقدم الخدمات اللازمة لتسهيل الأعمال التي نقوم بها ـ كمرحلة أولى ـ حيث تتوفر معلومات عن الأعضاء وأفراد الجالية ومدى كفاءاتهم وإمكاناتهم وتخصصاتهم المختلفة ، بحيث يمكن تزويد طالب الاقتصاد مثلاً بأحدث المؤلفات الاقتصادية ، وتعريف علماء الاجتماع بعضهم ببعض ..

... من هنا فإن عملية تجميع المعلومات وتخزينها تعتبر مفيدة جداً .. ونود ـ في الحقيقة ـ أن نتعاون في تدوين معلومات رقمية عن الحركات الإسلامية بحيث تخدم المسلمين في المستقبل من واقع التجارب السابقة ..

□□□□□□□□□□

من جوامع كلمه ﷺ

ما رواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكناني : سمعت أهل العلم يقولون : هذا الحديث ثلث الإسلام ، والثلث الثاني ، ما رواه النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ ، وبينهما أمور مشتبهات ، فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقعها كان كالراتع حول الحمىٰ ، ألا وإن لكل ملك حمىً ، ألا وإن حمى الله محارمه » . والثلث الثالث ، ما رواه مالك عن ابن شهاب عن علي بن حسين أن رسول الله ﷺ قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

بطاقة

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الفتح : ٢٩]

الصديق يرثي رسول الله

دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على النبي ﷺ وهو مسجى (مغطى) بثوب ، فكشف عنه الثوب ، وقال :

بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فعظمت عن الصفة ، وجللت عن البكاء ، وخصصت حتى صرت مسلاة ، وعممت حتى صرنا فيك سواء ، ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون (عروق الدمع) فأما ما لا نستطيع نفيه عنّا فكمد وإدناف (مرض ثقيل) يتحالفان ولا يبرحان . . . اللهم فأبلغه عنا السلام ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك ، فلولا ما خلفت من السكينة لم نُقم لما خلفت من الوحشة ، اللهم أبلغ نبيك عنّا واحفظه فينا . . . ثم خرج .

قوله رضي الله عنه : « لولا أن موتك كان اختياراً منك » إنما يريد قول النبي ﷺ : « لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير » .

(زهر الآداب)

صفة الدنيا :

قال أبو نواس الشاعر :

وَمَا النَّاسُ إلاّ هَالِكٌ وابنُ هَالِكٍ ... وَذُو نَسَبٍ فِي الهَالِكِينَ عَرِيقِ

إذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ ... لَهُ عَن عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وكان المأمون العباسي يقول : لو قيل للدنيا صفي نفسك . . ما عدت هذا البيت .

(زهر الآداب)

من اقوال علي رضي الله عنه

- الغالب بالظلم مغلوب ، والحجر المغصوب بالدار رهن بخرابها .
- خير المال ما أغناك ، وخير منه ما كفاك ؛ وخير إخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك شره .
- لا تخافنَّ إلا ذنبك ، ولا ترجونَّ إلا ربّك .
- الدنيا بالأموال والآخرة بالأفعال .

(زهر الآداب)

لم يهلك احد عن مشورة

روي عن النبي ﷺ أنه قال :
رأس العقل : الإيمان بالله ، والتودد إلى النّاس . . . وما استغنى رجل استبد برأيه ، لم يهلك أحد عن مشورة . . . وإذا أراد الله بعبد هلكة ، كان أول ما يهلكه رأيه . . .

وقال أعرابي :
ما غبنت قط حتى يغبن قومي . . قيل : كيف ذلك ؟
قال : إني لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم .

(بدائع السلك في طبائع الملك)

من معاني اللقاء على العقيدة

في الإسلام يلتقي الناس على العقيدة في الله ، يلتقون لأن كلاً منهم يحب الله ورسوله ، فلا تكون ذواتهم بارزة ، ولا متوفرة لاقتناص المصلحة من الآخرين ، إنما يكون الجانب البارز هو الحب ، والحب عنصر سريع التلاحم شديد الالتصاق . . .

والإنسان المؤمن ليس في حاجة إلى توكيد ذاته بالبروز الزائد عن الحد ، إنه موجود بالفعل ، مطمئن إلى وجوده ، يجد ذاته متكاملة في هذه العقيدة ، ويطمئن قلبه بذكر الله . . .

محمد قطب

(منهج التربية الإسلامية : ٢)

تساؤل ؟!

. . . وأخذت طوال الطريق أفكر في بلاد الشام وفي الحج ، وأتساءل : هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الإسلامية ؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني ؟ وبمعنى أوضح : هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والإلهام ، وتستبدل بلاد الشام مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني ؟! هذا ما كان يجول بخاطري طول الطريق . . .

لورنس في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة)

تعريفات

قال الأحنف بن قيس :

الملول : ليس له وفاء .

والكذاب : ليست له حيلة .

والحسود : ليست له راحة .

والبخيل : ليست له مروءة .

ولا يسود سيء الخلق .

(بدائع السلك في طبائع الملك)

قصة مثل

أساء سمعاً فأساء جابة !!

قال أبو عبيد : هكذا تحكى هذه الكلمة « جابة » بغير ألف ، وذلك لأنه اسم موضوع ، يقال : أجابني فلان جابة حسنة ، فإذا أرادوا المصدر ، قالوا : أجاب إجابة بالألف . . .

قال الزبير : وأصل هذا ، فيما أخبرني به محمد بن سلام ، قال : كان لسهيل بن عمرو ابن مضعوف ، قال : فقال له إنسان يوماً : أين أُمُّكَ ؟ يريد : أين تَؤُمُّ ؟ فظن أنه يقول : أين أُمُّكَ ؟ قال : فحسبته قال : ذهبت تشتري دقيقاً ، فقال سهيل : أساء سمعاً فأساء جابة ، فأرسلها مثلاً ، فلما انصرف إلى زوجته أخبرها بما قال ابنها ، فقالت : أنت تبغضه . فقال : أشبه امرؤٌ بعضَ بَزِّه . . .

(الأمثال لابن سلام)

ما منعتكم حقاً

يروى أن بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك ، فقال :

أدركت عمر بن عبد العزيز ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أقفرت أفواه بنيك (أخليت أيديهم من المال وأفواههم من ملذات الطعام) من هذا المال وتركتهم فقراء لا شيء لهم ، - (وكان في مرض موته) - .

فقال : أدخلوهم عليَّ ، فأدخلوهم ، وهم بضعة عشر ذكراً ، ليس فيهم بالغ ، فلما رآهم ذرفت عيناه ، ثم قال :

يا بني ، والله ما منعتكم حقاً هو لكم ، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم ، وإنما أنتم أحد رجلين : إما صالح ، فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح ، فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله . . قوموا عني . .

قال : فلقد رأيت بعض ولده ، حمل على مائة فرس في سبيل الله ، (يعني أعطاها لمن يغزو عليها . . .)

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي)

نصيحة

أتى رجل رجاء بن حيوة رحمه الله ، وهو واقف على باب سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي في دمشق ، فقال له :

يا رجاء ، إنك قد ابتليت بهذا (يقصد سليمان بن عبد الملك) ، وابتلي بك ، وفي دنوك منه الوقع (الهلاك) .

يا رجاء ، عليك بالمعروف وعون الضعيف .

يا رجاء ، من كانت له منزلة من سلطان فرفع حاجة ضعيف لا يستطيع رفعها ثبّت الله قدمه على الصراط . . .

(وفيات الأعيان)

معرض

تطور خطوط المصاحف وزخرفتها

في

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية

بعمان

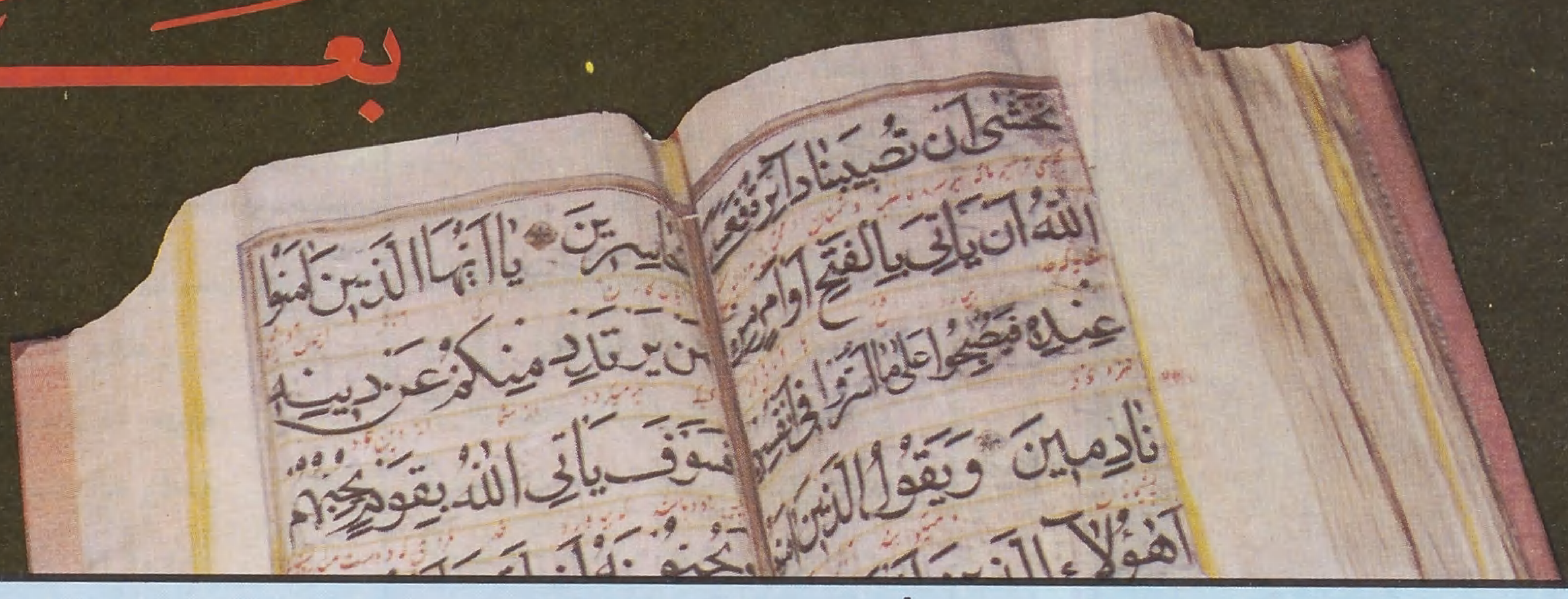

رشيد العبدالله

○○ تستمد الدعوة الاسلامية قوتها وبقاءها رغم عاديات الزمن من عوامل عدة ضاربة الجذور في أرض الفتن والمحن، حافظت على أصولها دون تحريف أو تزوير أو تشويه، وكان القرآن الكريم آية الاعجاز في ذلك يشهد رغم مرور القرن الرابع عشر للهجرة على ما جاء به الاسلام نقياً صافياً مستمداً من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ○○

وما كان هذا ليحدث لولا اهتمام المسلمين به من كل جانب وناحية، فها هم الصحابة في الصدر الأول للإسلام يكتبونه ويجمعونه أيام عهد عثمان رضي الله عنه خشية الضياع بعد أن استشهد العديد من حفظة كتاب الله تعالى، وها هم يتعهدونه بالحفظ والتعليم، ويتناولون دراسته في شتى المناحي، ما بين التفسير والاستنباط الفقهي، حتى الفوا المجلدات الضخمة في ذلك، ولم يتركوا طرفاً من صفاته الكاملة إلا وتعرضوا لها، فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الذي جمع لهم دستور حياتهم ونجاتهم، ولم يترك لهم مشكلة إلا وعالجها، ولم يخل عصر من عصور الدولة الاسلامية من المهتمين بذلك، وكان من بين الجوانب الهامة دراسة النواحي الفنية فيه خطاً وزخرفة وطباعة، فنجد أن أغلب المتاحف والمكتبات وأكبرها في العالم تحتفظ لديها بنسخ كاملة من القرآن الكريم أو أجزاء متفرقة، أو حتى بعض الأوراق والأغلفة منه.

ولكي يطلع المسلم في أي قطر من الأقطار الاسلامية على تلك المخطوطات والنفائس من المصاحف

○ مبنى المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)
عمـــــان ○

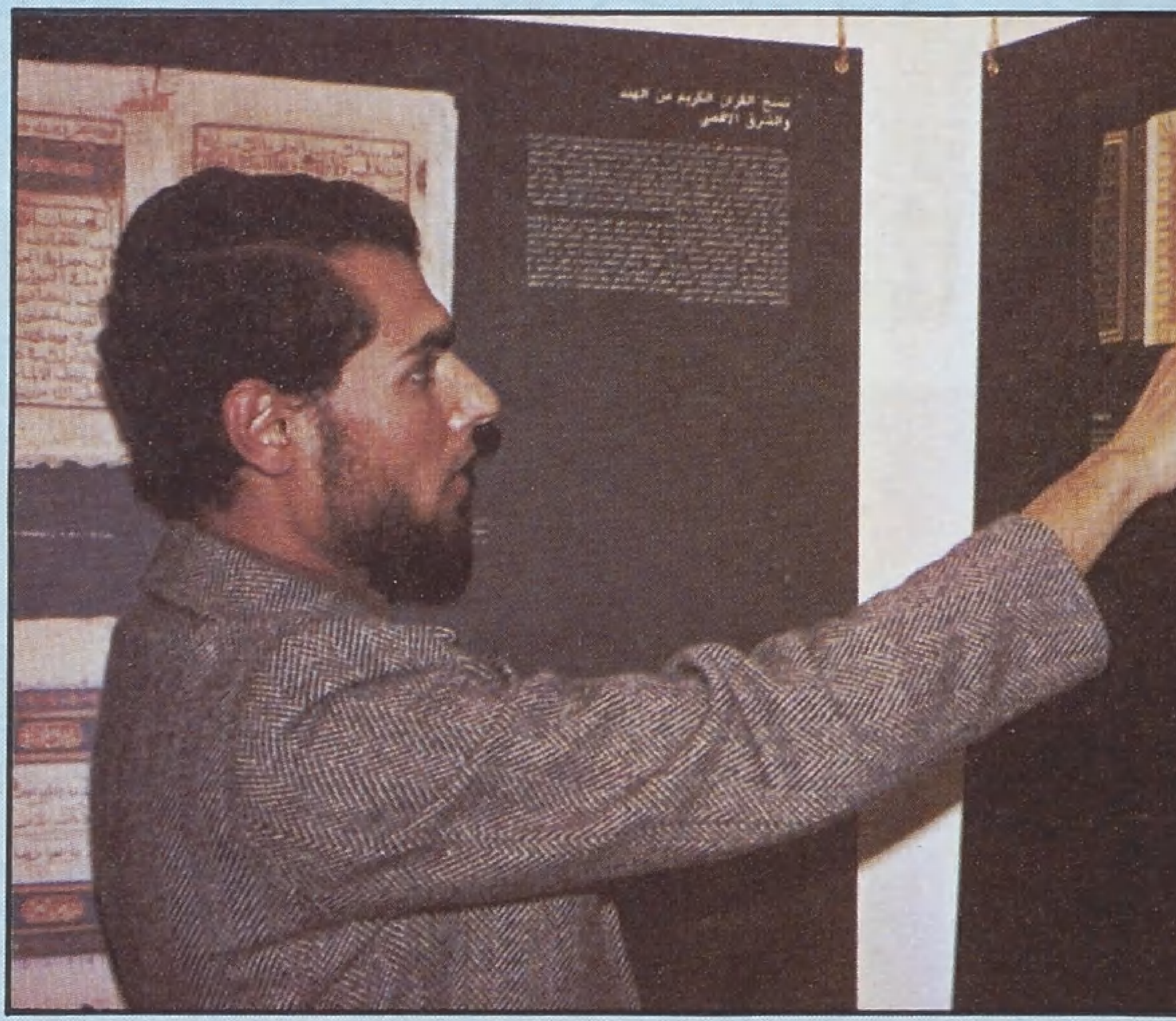

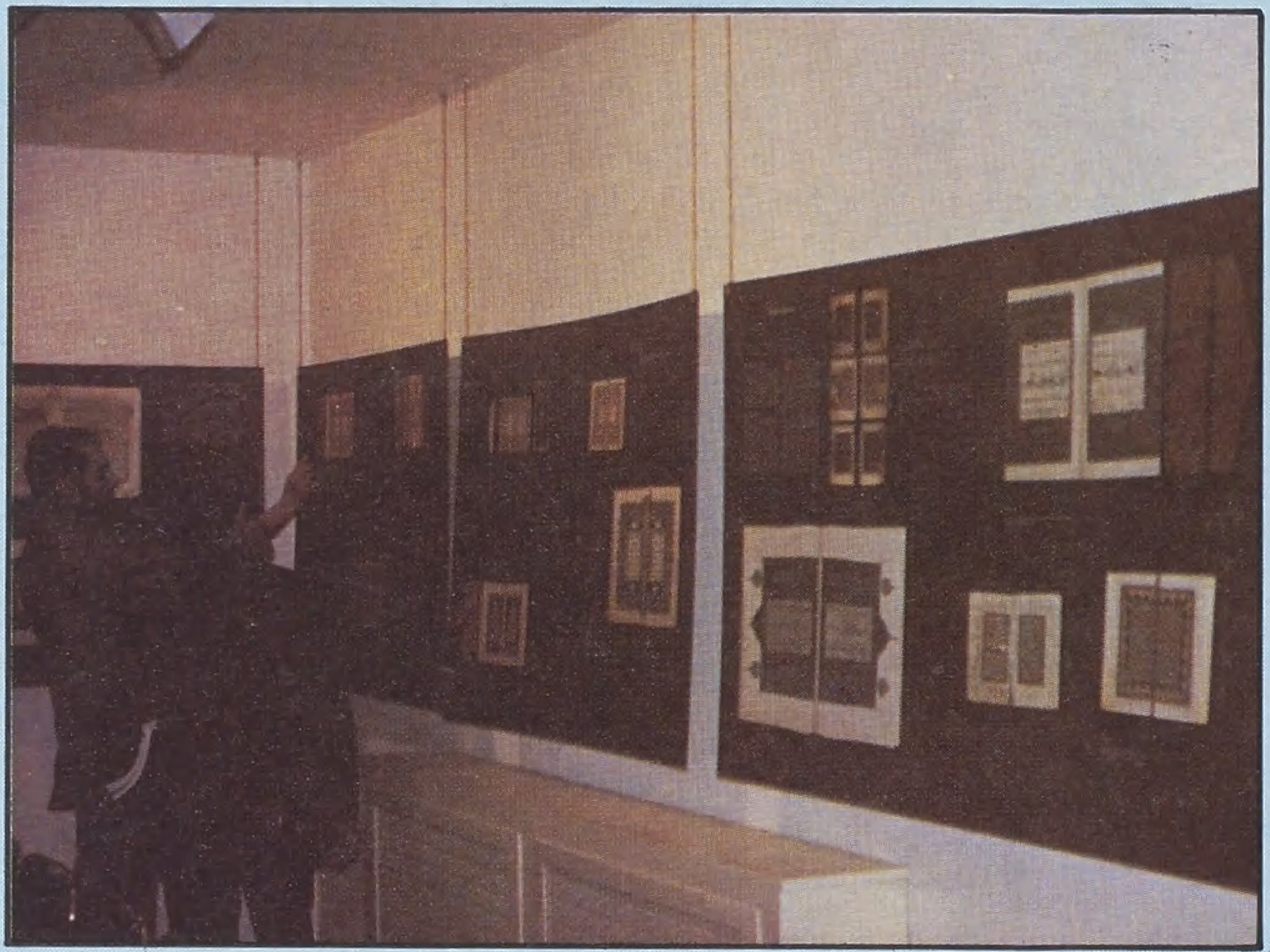

○ الاستاذ سعيد مغاوري محمد الباحث لدى المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية « اعلى » يشرح إحدى مخطوطات القرآن الكريم ... ركن من المعرض تبدو فيه بعض اللوحات من مخطوطات القرآن الكريم ○ « اسفل »

الشريفة ، أقيم العديد من المتاحف الخاصة بالفن الإسلامي والمهرجانات والمعارض في عديد من العواصم كان آخرها في باريس ولندن وعمان .

اهداف تنسيق المعرض :

أقام المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية بعمان معرضاً **لتطور خطوط المصاحف وزخرفتها (في نهاية شهر صفر الخير ١٤٠٢هـ)** واستمر لأكثر من أسبوع وذلك في مبنى المجمع نفسه واشتمل المعرض على **(١١٥) صورة ملونة مطابقة لمخطوطات المصاحف الأصلية** ، **تمثل فن الزخرفة والخط العربي والتجليد** في مختلف العصور الاسلامية وعلى امتداد رقعة العالم الاسلامي ، وتعتبر هذه المجموعة من افضل المجموعات في العالم من حيث الأهمية التاريخية وسلامة أوراقها وتجليدها .

ونماذج المصاحف المعروضة **كانت تؤدي اغراضاً متعددة ، فكثير منها على شكل اجزاء كانت مخصصة للتلاوة في الجوامع والمدارس ، أو مصاحف كاملة .**

ويلاحظ المشاهد من خلال المجموعة التسلسل في كتابة المصاحف من **الخط النقشي والكوفي القديم إلى الخطوط المتطورة** التي جاءت في فترة متقدمة مثل الثلث ثم النسخي ، **وكذلك تطور الزخارف الاسلامية ، هندسية ونباتية ..**

وسواها ، وفن **التذهيب** الذي زينت به **أطراف صفحات المصاحف وبدايات السور وصفحات الافتتاحية** بالألوان الزاهية المتناسقة ، **والتجليد** من جميع الأنواع الذي **اعتنى بالغلاف الخارجي للمصاحف** ، وحفظ عدداً كبيراً منها من التلف ، وكذلك المحافظ الجلدية الخاصة التي

معرض
تطور خطوط المصاحف وزخرفتها

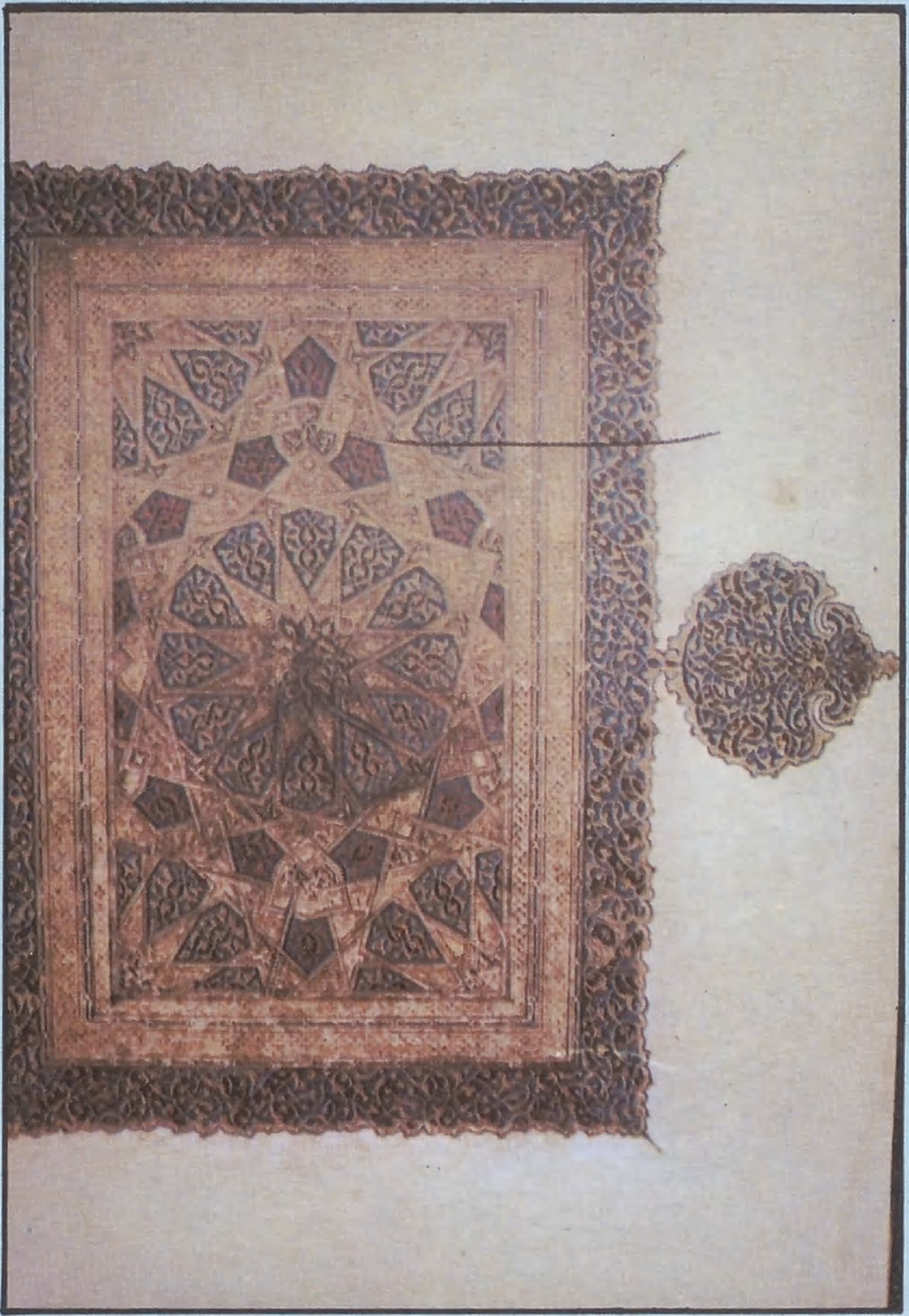

○ صفحة افتتاحية من جزء من القرآن الكريم المذهب : محمد بن إيبك ابن عبد الله من بغداد (٧٠٢ ـ ٧٠٦هـ) ـ (١٣٠٣ ـ ١٣٠٧هـ) ○

○ صفحتان من القرآن الكريم تحتويان على الآيات ٤٦ ـ ٥٠ من سورة النسـاء (من الأندلس) القرن (٧ ـ ٨هـ) ـ (١٣ ـ ١٤م) ○

■ **الاطلاع على التراث يقوي العزيمة ويقوم الاعوجاج ويوضح المفاهيم ويعيد بناء الأمة .**

استخدمت في مرحلة متقدمة من العصور الاسلامية .

اقـدم مخطوطـة :

● **ولكن كيف نشأت فكرة إقامة هذا المعرض ؟ وكيف اقيم ؟**

تقول الآنسة مريم علاوي **المشرفة على المعرض** : أول مرة عرضت فيها المجموعة الكاملة الموجودة في مكتبة **(تشستر بيتي) بدبلن كانت في المتحف البريطاني** بلندن خلال **مهرجان العالم الاسلامي عام ١٩٧٦م** ولم يشاهد هذه المجموعة إلا عدد قليل من المسلمين وغير المسلمين من المهتمين بالفن الاسلامي ، وإن كان عدد الذين شاهدوها آنذاك يعد بالآلاف ، وبعد ذلك نشأت فكرة استنساخ صورة مطابقة للأصل من ناحية الألوان والحجم حتى يتمكن المشاهد اينما كان من رؤية هذه المجموعة ، واختيرت **١١٥ صورة** لمخطوطات المصاحف والصقت على **٣٨ لوحة** للعرض حتى يسهل نقلها إلى أي مكان في العالم .

فقام المجمع بشراء مجموعة كاملة من تلك اللوحات رغبة منه في اطلاع الجمهور الأردني كله على هذه الروائع من المصاحف .

● **وعن الفترة الزمنية من العصور الاسلامية ، وبلدان العالم الاسلامي التي يغطيها المعرض** ، قال الأستاذ **سعيد مغاوري محمد الباحث لدى المجمع** :

يغطي المعرض في لوحاته فترة طويلة من العصور الاسلامية ، فنشاهد بعض المعروضات التي ترجع **إلى القرون الهجرية الأولى** ، وتتدرج في الصعود حتى تصل إلى **القرن الثالث عشر الهجري** ، وهي أحدث المعروضات ، وترجع **لشمال افريقيا** ، ويمكننا أن نلاحظ منها **مدى التقدم والرقي في فنون كتابة وزخرفة المصاحف** ، أما البلدان التي ترجع لها اللوحات المعروضة فهي متعددة : **مصر والشام وشمال**

○ صفحتا افتتاحية من القرآن الكريم تحتويان على سورة الفاتحة والآيات ١ - ٤ من سورة البقرة .. الخطاط : محمد ابو الفتح الانصاري من القاهرة : رمضان عام ٨٤٧هـ - يناير عام ١٤٤٤م ○

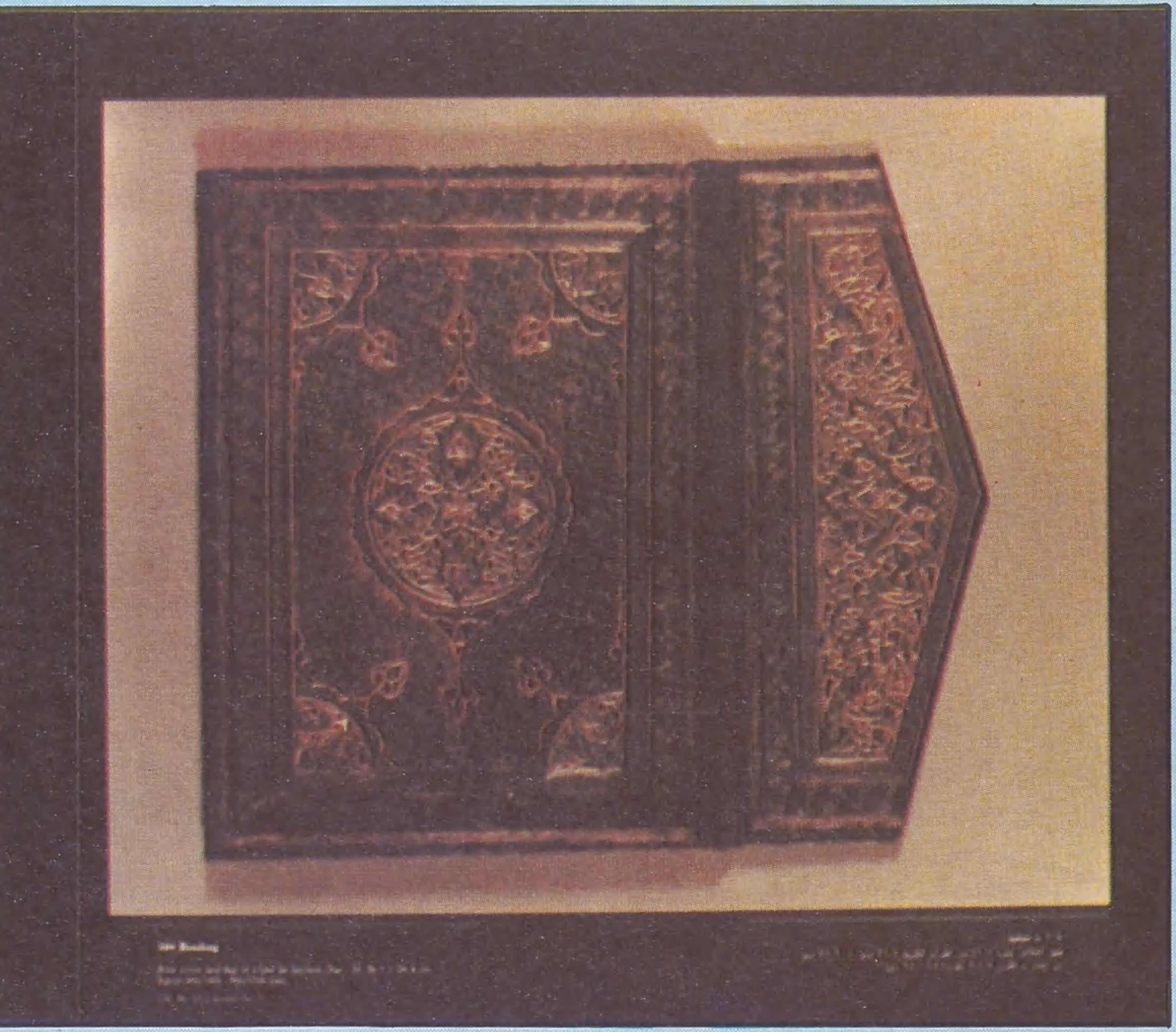

○ غلاف لجزء من القرآن الكريم (من مصر) .. القرن (٨ - ٩هـ) (١٤ - ١٥م) ○

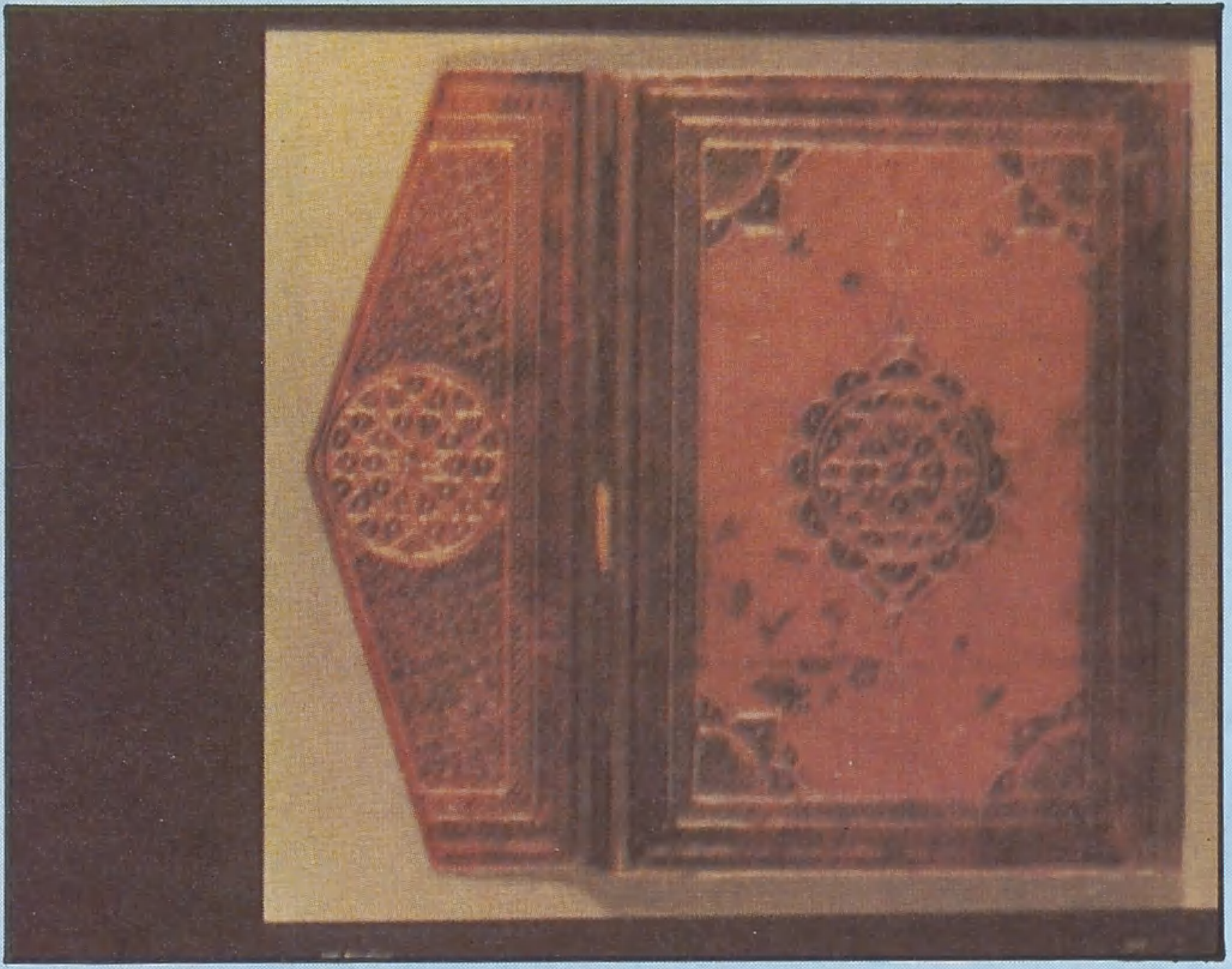

○ غلاف لجزء من القرآن الكريم (من مصر وسورية) .. اواخر القرن (٨هـ - ١٤م) ○

افريقيا وتركيا والهند والعراق .. وغيرها .

● وحول الدور والفائدة المرجوة من إقامة المعرض ، أجابت الآنسة مريم علاوي :

إن عرض تراث أي أمة على أبنائها شيء مهم وضروري في حياة الفرد ، ورد الانسان إلى جذوره الأصيلة غاية عظمى تتوخاها كل مؤسسة تهتم بهذه الناحية ، وتطور الخط والزخرفة في المصاحف جزء من تراث حضارتنا الاسلامية ، ينبغي أن نحافظ عليه وندرسه ، ونطلع على كنوزه ومخطوطاته .

وهذا المعرض يسهل هذه الغاية ويتيح الفرصة أمام المواطن العادي والدارس والمتخصص والباحث ليطلع ويدرس ويحقق ويبحث .

● وعن اقدم مخطوطة عرضت في المعرض ، وعن أهميتها ، قال الأستاذ سعيد مغاوري محمد :

اقدم مخطوطة في المعرض تعود لأواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري ، وهي من الحجاز ، وترجع أهميتها لكونها تحتوي على الأساليب والطرق الأولى في كتابة القرآن الكريم حيث نرى أن بدايات السور تبدا بالبسملة فقط مع عدم ذكر عدد الآيات أو مكان نزولها ، ومن ناحية اخرى نشاهد عدم وجود اي زخارف حيث كان الاهتمام موجهاً للكتابة والحفاظ على القرآن الكريم .

● وأخيراً تحدثت الآنسة مريم علاوي عن فن التذهيب وتطوره في مخطوطات المصاحف وتجليدها فقالت :

فن التذهيب هو الزخرفة والكتابة بماء الذهب والفضة والألوان اللامعة ، فكان هذا الفن مجالاً خصباً وواسعاً لإبداع الفنان .

معرض
تطور خطوط المصاحف وزخرفتها

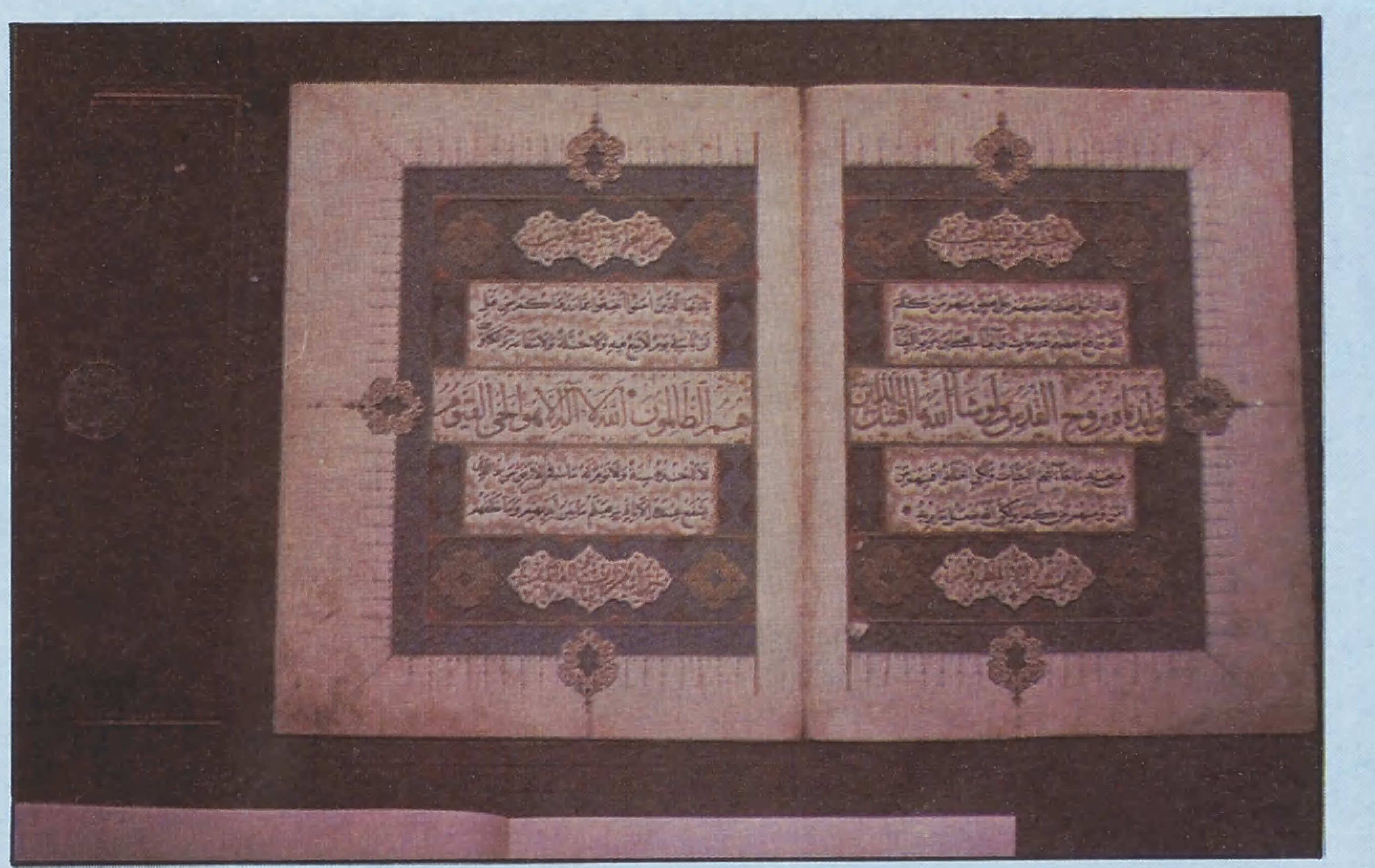

● يغطي المعرض فترة طويلة من العصور الاسلامية ترجع الى القرون الهجرية الأولى وتتدرج في الصعود حتى تصل الى القرن الثالث عشر الهجري .

○ صفحتان من القرآن الكريم تحتويان على الآيات (٢٥٣ ـ ٢٥٥) من سورة البقرة ، الخطاط : زين العابدين بن محمد الشيرازي (من إيران) عام (٨٨٨هـ ـ ١٤٨٣م) ○

○ صفحتان من القرآن الكريم تحتويان على الآيات (١٤٤ ـ ١٤٦) من سورة آل عمران (من المغرب) اواخر القرن (١٠هـ ـ ١٦م) ○

المسلم الذي تحاشى الرسوم الآدمية والحيوانية ، فكرس جهوده وأعماله للنقوش والزخارف النباتية والهندسية ، وبدأ في ذلك بدايات بسيطة غير معقدة ثم تطور شيئاً فشيئاً عبر العصور الاسلامية إلى أشكال وزخرفة جمالية معقدة في كثير من الأحيان ، فكون بذلك الشخصية المميزة للفن الاسلامي التي اختلف بها عن الفنون الأخرى .

أما فن التجليد فقد مر بالمراحل نفسها التي مر بها فن التذهيب وكان رديفاً له وبدأ بداية بسيطة حيث استعمل الضغط للنقوش وتطور حتى وصل في العصر المملوكي والعثماني إلى استخدام الذهب بطرق وأشكال دقيقة وجميلة تبهر الناظر .

****

لقد كان هذا المعرض حقاً تظاهرة فنية حضارية اسلامية ، نرجو ألَّا تكون الأخيرة في هذا المجال ، وان تتكرر باستمرار لتشمل جميع الفنون والآثار الاسلامية ، لا سيما واننا في هذه المرحلة احوج ما نكون للاطلاع على تراثنا وتاريخنا المجيد الذي يقوي فينا العزيمة ، ويقوم الاعوجاج ، ويوضح المفاهيم ، ويبني أمة تنهض من سباتها لتكون رائدة في جميع ميادين العلوم والحضارة .

قاضي القضاة وشيخ الفتيا المجاهد الشهيد «أسد بن الفرات»

بقلم : سيد ناجي

□□ بطل من أبطال الاسلام ، وعلم من أعلام الفقه ورائد من رواد القضاء .

كان في القضاء عادلاً ، وفي الفقه معلماً ، وفي الحرب قائداً ، لم يمنعه تقدُّم السن وأعباء الحياة من أن يترك حلقات العلم والحُكْم ، وأن يودع القلم والمحبرة ليتفرغ لقيادة المجاهدين ، وتأديب الغادرين ، ورفع راية الاسلام .

هو أسد بن الفرات بن سنان من حرّان بديار بكر ، كان يعتز باسمه واسم أبيه وجده فيقول : أنا أسد وهو خير الوحوش ، وأبي الفرات وهو خير المياه ، وجدّي سنان وهو خير السلاح □□

ولد أسد بن الفرات عام ١٤٥هـ . تفتح عقله على العلم ، وحلق فكره في الفقه ، فكان في صدر شبابه لا يعرف إلّا العلم والدرس والتحصيل .

انتقل إلى **تونس** فنشأ بها وترعرع بين ربوعها ، فكان لنشأته الفقهية أكبر الأثر في تكوينه .. التقى بالعالم المالكي الفقيه (**علي بن زياد**) ودرس عليه **المذهب المالكي** فنبغ فيه ، ودرس الحديث والأثر . ظهر عليه النبوغ والذكاء . فقد كان يتفجر علماً وتقى جلس يعلم الناس فالتف الناس حوله وأقبل العلماء عليه فلكل سؤال جوابه ولكل معضلة حل .

لم يكتف بذلك بل أراد أن يأخذ العلم من منبعه ، وأن يحصل عليه من قائله ، فعمل على لقاء **الإمام مالك** فتم له ما أراد . تتلمذ على يديه وسمع منه **الموطأ** ، وتبحر في هذا المذهب وألَّف **الأسدية** في فقه **الامام مالك** ثم رجع ليفقه الناس في (**تونس والقيروان**) . **عرف الناس علمه وفضله** ، فقد **كان أكثر الناس علماً وأذكاهم فهماً ، وأفصحهم لساناً** . ثم تاقت نفسه إلى **الاستزادة من العلم والمعرفة فيمم وجهه شطر العراق حيث فقه الرأي والقياس وأقطاب العلم وجهابذة النظر ، فنشأ عن هذا اللقاء فيض القريحة وقوة الحجة . التقى هناك (بالقاضي أبي يوسف)** (**ومحمد بن الحسن**) وهما من أجل أصحاب **أبي حنيفة** ، فنقل عنهما أصول **المذهب الحنفي** . عارض وناقش ودرس الأصول والقواعد . رأى فيه أهل **العراق** رجاحة عقله وثاقب نظره وفكره المستقل وحسه المرهف ، فلقي منهم كل احترام وتقدير ، وكما نقل عنهم مذهب **الإمام أبي حنيفة** نقلوا عنه مذهب **الامام مالك** .

لا عجب أن يشد **أسد بن الفرات** رحاله إلى **بغداد** لينهل من علمها ، ويتفقه على أيدي علمائها ، فقد كان **العراق** يومئذٍ مركز الاشعاع العقلي ، جمع بين العلم والفن والتفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والنحو والصرف .

قال صاحب **ضحى الاسلام** نقلاً عن **المقدسي** يصف **بغداد** :

[**هذا إقليم الظرفاء . ومنبع العلماء لطيف الماء . عجيب الهواء . ومختار الخلفاء . أخرج أبا حنيفة فقيه الفقهاء . وسفيان سيد القراء ، ومنه كان أبو عبيد والفرّاء . وأبو عمرو** صاحب الفراء وحمزة والكسائي وكل **فقيه ومقرىء وأديب وسري وحكيم وزاهد ونجيب . وظريف ولبيب**] .

وقال عنها **ابن كثير في البداية والنهاية (جـ١ ص١٠٢) : [قال ابن علي : ما رأيت أعقل في طلب الحديث من أهل بغداد ولا أحسن منهم]** .

عاد القاضي الفقيه **أسد بن الفرات** إلى **القيروان** وازداد علماً وفقهاً ومعرفة فأخذ يفيض على الناس مما آتاه الله **والناس مقبلون عليه يرجون فضله وينالون من علمه** .

« أسد بن الفرات »

« المجاهد الشهيد .. »

بينما الناس مقبلون على الدرس والتحصيل ، والشيخ يعلو صيته وترتفع شهرته ، ويتبوأ مكانته الاجتماعية في المجتمع الذي يعيش فيه ، حتى أطلقوا عليه **قاضي القضاة** أو **شيخ الفتيا** .

وبينما الشيخ يعقد حلقات العلم والناس يتدافعون نحوه إذا بداعي الجهاد يدعو الناس للجهاد في سبيل الله .

ففي عهد **الخليفة المنصور** ينادي (**زيادالله بن الأغلب**) في الناس هلموا إلى الجهاد في سبيل الله ويستحث النَّاس لفتح (**جزيرة صقلية**) فيتدافع المسلمون ملبين داعي الجهاد في سبيل الله ، وكان القاضي **أسد بن الفرات** برغم كبر سنه يتقد حمية على الاسلام ، فهو يرى في الجهاد قرة عينه ، وراحة نفسه ، فما أن أعلن الجهاد واستعد النَّاس لأداء الواجب ، واجب التضحية والفداء ، حتى هب القاضي الفاضل والمعلم الورع وصاحب الكتب والمحبرة وابن السبعين من عمره أو أكبر .. إذا بهذا الشيخ بعد أن بلغ هذه السن التي تفتر فيها القوى ، وتذبل فيها القرائح ، ويخلد الانسان عادة إلى الدعة والسكينة والهدوء ، إذا بهذا القاضي ينقلب شاباً يافعاً ومجاهداً صادقاً . فيعلن استعداده للتطوع ليعمل جندياً في سبيل الله ومجاهداً في ميدان الحق ولكن (**زياد الله بن الأغلب**) رجل يعرف أقدار الرجال فهو يعرف للقاضي حقه وفضله ومكانته في المجتمع وسنه وورعه فيسند إليه القيادة . قيادة المعركة البحرية العظيمة .

■■■

لم يكن غزو المسلمين في البحر غريباً عنهم فهم رجال سادوا البحر كما سادوا البر وكان المسلمون يفرحون للغزو في البحر طمعاً في ثواب الله لمن خاض البحر مجاهداً في سبيل الله .. بل كان المسلمون يطلبون من غزاة البحر الدعاء لهم باعتبارهم مجاهدين لهم من الأجر والثواب أكثر من غيرهم ، وقد ثبتت **أحاديث شريفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم** ترغب المسلمين في الغزو في البحر وتبين لهم فضله .

من ذلك ما رواه **البخاري** (جـ١ ص٤١٦) من **فتح الباري لابن حجر** (**عن أم حرام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - من القيلولة - يوماً في بيتها فاستيقظ وهو يضحك قالت : فقلت يا رسول الله ما يضحكك ؟ قال : صلى الله عليه وسلم عجبت من قوم من أمتي يركبون البحر كالملوك على الأسرة . فقلت : يا رسول الله ، أدع الله أن يجعلني منهم . فقال صلى الله عليه وسلم : أنت منهم ثم نام صلى الله عليه وسلم ، فاستيقظ وهو يضحك فقال : مثل ذلك مرتين أو ثلاثاً ، فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . فقال صلى الله عليه وسلم : أنت من الأولين ، فتزوج بها عبادة بن الصامت ، فخرج بها إلى الغزو ، فلما رجعت قربت دابة لتركبها فوقعت فاندق عنقها**) .

وفي رواية **مسلم** بشرح **النووي** (جـ٤ ص٥٧٥) أن أم ملحان قالت **لما ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة) إلى آخر الحديث** .

لذلك لم يكن ركوب البحر غريباً على المسلمين ، فقد غزا **معاوية بن أبي سفيان جزيرة قبرص** ، كما قاد **عبد الله بن سعيد بن أبي السرح** أكبر معركة بحرية **عام ٣٤هـ** وهي معركة **ذات الصواري** ، وكانت معركة رهيبة غيرت تاريخ **البحر الأبيض المتوسط** .

قال **الطبري** في تاريخه (جـ٤ ص٢٨٩) عن **مالك بن أوس بن الحدثان قال : كنت معهم فالتقينا في البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط ، وكانت الريح علينا فأرسينا ساعة ، فأرسوا قريباً منَّا ، وسكنت الريح عنا فقلنا : الأمن بيننا وبينكم . قالوا ذلك لكم ولنا منكم مثل ذلك . ثم قلنا : إن أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم وإن شئتم فالبحر ، قال : فنخروا نخرة واحدة وقالوا الماء فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها إلى بعض حتى كنَّا يضرب بعضنا بعضاً على سفننا وسفنهم ، فقاتلنا أشد القتال ، ووثبت الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ويتواجؤون بالخناجر حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج ، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاماً وقال ممن حضر ذلك اليوم** : رأيت الساحل حيث تضرب الريح الموج وإن عليه لمثل الظرب العظيم من جثث الرجال ، وان الدم غالب على الماء ، ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير ، وقتل من الكفار ما لا يحصى ، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله ، ثم أنزل الله نصره على أهل الاسلام ، وانهزم القسطنطين مدبراً فما انكشف إلَّا لما أصابه من القتل والجراح ، ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منها حيناً جريحاً .

■■■

إن أسد بن الفرات الذي جمعت له **قيادة الأسطول البحري** ومنصب **قاضي القضاة** مع منصب **شيخ الفتيا** كان جديراً بهذه المناصب كلها .

■ كان أسد بن الفرات معلماً في الفقه وقائداً في الحرب لم يمنعه تقدم السن من قيادة المعركة ورفع راية الاسلام . .

خرج القاضي **أسد بن الفرات** ليتولى قيادة الأسطول البحري ، وتجمع الناس حوله ما بين مودع وداع ، بل كان الناس يسرعون الخطى لينالوا شرف الجهاد في سبيل الله .

ووصل الركب إلى (**بسوسة**) وكان يوماً من الأيام المشهودة في تاريخ الاسلام ، تجمع المجاهدون يرتقبون الساعة الفاصلة التي تنطلق فيها السفن للقاء أعداء دين الله ، وأخذ الجند مكانهم ، وارتفعت الأعلام ، ودقت الطبول ووقف القائد القاضي **أسد بن الفرات** مكانه بينهم .

كان على القائد في ذلك الوقت أن ينزع الخوف من قلوب جنده . وعليهم أن يطرحوا التردد جانباً ، وأن يقبلوا على المعركة مستبسلين لا يخافون ولا يرهبون الردى .

وقف القائد يخطب في جنده فقد كان القائد القاضي صاحب رأي مسموع وبيان مبدع ، أخذ يحض المجاهدين ويبين لهم درجة الاستشهاد . وكأنما أراد بذلك أن يقول لهم بفعله لا بقوله . فالجهاد لا يعرف السن فكم من رجال في تاريخ الاسلام وخط الشيب رؤوسهم ، وقوصت الأيام ظهورهم ، ورغم هذا لم يقعدهم السن عن الجهاد ولا المرض عن اداء الواجب .

وقف القائد يحض المجاهدين على القتال فهو يرى في النصر شفاء لصدور المؤمنين .. وقف القائد فقال :

[أيها الناس والله ما وُلي لي أب ولا جد ولاية قط ، وما أرى من سلفي ما رأيت ولا بلغ ما بلغت ، وكل الذي أعدني وهيأني قلمي وعلمي فاجهدوا انفسكم ، وأتعبوا أبدانكم في طلب الحق وفي تدوين العلم ، وكابدوا وصابروا على كل الشدائد فإنكم بذلك تنالون فخر الدنيا وسعادة الآخرة] .

كانت هذه خطبة القائد العظيم وعلى أثرها انطلقت الجواري المنشآت في البحر كالأعلام ، انطلقت السفن تمخر عباب الماء وعلى ظهورها رهبان الليل وفرسان النهار .. انطلقت السفن الماخرة .

يا سبحان الله ما هذه الجيوش المتكاثرة ؟ ما هذه القلوب العامرة ؟ من هؤلاء المنطلقون كالأسد الكاسرة ؟

إنهم **المؤمنون الصادقون الخاشعون الراكعون الساجدون العابدون** .

سار الأسطول الاسلامي يقوده الشيخ الكريم والقائد العظيم والقاضي البر الرحيم أسد بن الفرات .

قاد الشيخ المعركة والجند حوله كلهم أذن صاغية وقلوب واعية . فإشارته أمر وأمره مطاع .

سار الأسطول الاسلامي حتى بلغ شواطىء صقلية ، فأصدر القائد أمره ببدء المعركة ، وبدأت رهيبة قاسية أصلى فيها المسلمون أعداءهم ناراً حامية ، دكوا الحصون ودمروا القلاع ، وأثخنوا في الأعداء قتلاً ، ثم بدأ جيش الإسلام العظيم ينتقل من نصر إلى نصر حتى بلغ (**سرقوسة**) وحاصرها المسلمون وشددوا قبضتهم عليها وعلى حصارها **استشهد القائد العظيم أسد بن الفرات** .

صعدت روحه الطاهرة لتحتل مكانها **بين الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** .

استشهد **أسد بن الفرات** تاركاً لخلفه إتمام ما بدأ به .

■■■

إن معركة **صقلية** بجنودها وقيادتها بكل الذين اشتركوا فيها تستحق الدراسة والتأمل .

يا سبحان الله . من كان يظن أن هؤلاء الأعراب ، رعاة الإبل وسكان الخيام ، الذين تربوا في الصحراء أصبحوا بين عشية وضحاها سادة الدنيا وأساتذة العالم ، ومهد الحضارة والحرية وأهل الفكر والسياسة .

عجباً لهؤلاء الأبطال الذين بذلوا أرواحهم لله وجادوا بكل ما يملكون لله ؟

عجباً لهؤلاء الذين أرغموا أنف الحوادث وغيروا مجرى التاريخ ؟

ما قرأ إنسان منصف تاريخهم إلَّا فاضت عيناه ، وما عاش إنسان معهم بأحاسيسه ومشاعره إلَّا كان الموت أحب إليه من الحياة .

لقد كان هؤلاء في الذروة العليا من قوة الروح ، إيمان عميق ، إيمان بأن النفس لن تموت حتى تستوفيَ رزقها وأجلها .

■■■

هذا مثل نقدمه للقاضي المسلم التقي الذي تربى على مائدة **القرآن الكريم** وتخرج من مدرسة **محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه** وقدم نفسه للتضحية والفداء .

نقدم هذا المثل ليعلم الخلف عن السلف كيف تُضرَبُ الأمثال في الفداء والتضحية والاستشهاد في سبيل الله .

في تاريخ هذا الرجل المجاهد الشهيد والقاضي المؤمن ، والشجاع الأبي (**أسد بن الفرات**) ندرك سر خلود **الاسلام** وسر بقائه في الوجود ، وسر خلود أبطالنا المؤمنين المجاهدين الصادقين .

في تاريخ هذا القاضي القائد عظمة المجاهدين وعبقرية الفاتحين .

تاريخ هذا البطل الشهيد يجب أن يلقنه الأجداد للأحفاد ويرويه الآباء للأبناء .

اللّهم اجعلنا نسير على هديهم ونقتفي أثرهم ونحشر يوم القيامة معهم .

□□ لا يماري أحد من المهتمين بالتاريخ الاسلامي في أهمية إسلام حمزة بن عبد المطلب عم الرسول عليه السلام ، فلقد أعلن إسلامه ، وارتفع سيفه البتار في وجه المشركين في فترة تجرأ فيها رأس الشرك أبو جهل على الاعتداء على محمد ﷺ .. » إذ قابلته خادم لعبد الله بن جدعان عند الكعبة وهو يطوف بها وقالت له : [يا أبا عمارة .. لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً ، من أبي الحكم بن هشام .. وجده هناك جالساً ، فآذاه ، وسبَّه وبلغ منه ما يكره] ..

ومضت تشرح له ما صنع أبو جهل برسول الله ﷺ ..

واستمع حمزة جيداً لقولها ، ثم أطرق لحظة ، ثم مد يمينه إلى قوسه فثبتها فوق كتفه .. ثم انطلق في خطى سريعة حازمة صوب الكعبة ، راجياً أن يلتقي عندها بأبي جهل .. فإن لم يجده هناك ، فسيتابع البحث عنه في كل مكان حتى يلاقيه ..

ولكنه لا يكاد يبلغ الكعبة ، حتى يبصر أبا جهل في فنائها يتوسط نفراً من سادة قريش ..

وفي هدوء رهيب ، تقدم حمزة من أبي جهل ، ثم استل قوسه وهوى بها على رأس أبي جهل فشجه وأدماه ، وقبل أن يفيق الجالسون من الدهشة صاح حمزة في أبي جهل :

[أتشتم محمداً ، وأنا على دينه أقول ما يقول .. ؟! ألا فردّ ذلك عليَّ إن استطعت] .. □□

تحليل لرواية الدكتور نجيب الكيلاني

قاتل حمزة

بقلم : محمود حنفي كساب

لقد كان إسلام حمزة مرحلة جديدة للدعوة الاسلامية ، حيث تحرز المشركون وعلى رأسهم أبو جهل في التعرض للرسول عليه السلام .. الآن هناك حمزة أحد فتيان قريش الذين يملكون من الفتوة قدراً كبيراً ، ومن ثم كان القضاء عليه هدفاً من أهداف المشركين لإضعاف الدعوة الاسلامية ، ولكن ذلك لم يتم إلا في موقعة أحد ، حيث تمكن العبد وحشي بن حرب مولى جبير ، من صرعه بحربته ، وذلك طمعاً في عتقه مقابل ذلك .. وكان مصرع حمزة مصدر غيظ وألم لرسول الله ظل عالقاً بصدره حتى بعد إسلام وحشي ، إذ قال له الرسول ﷺ : « غيِّب وجهك عني » ..

وقد التقط الطبيب الروائي نجيب الكيلاني تلك الحادثة الهامة من تاريخ الاسلام ، وأسس عليها روايته « قاتل حمزة » التي صدرت عن مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٣٩٩هـ ..

ونجيب الكيلاني يكرس قلمه ، منذ وعى للكلمة وظيفة في إجلاء هموم البشر ، من أجل تقييم التراث الاسلامي في الشكل الروائي المحبب لدى ملايين القراء في العالم ، هادفاً بذلك فتح آفاق جديدة ورحبة أمام المسلمين وغير المسلمين للاطلاع على تلك التضحيات العظيمة التي قدمها المجاهدون الأولون في فجر الاسلام ، أضف إلى ذلك تقديم الدراسات الفنية والنفسية عن العصور الاسلامية وانسيابها في التاريخ الماضي منه والحاضر والمستقبل سواء ، حيث الرواية عالم رحب يقدم حيوات متعددة منغمسة في التاريخ ومتأثرة به ومؤثرة فيه أيضاً ، ومن ثم يطلع القارىء ـ دونما لجوء إلى الدراسات التاريخية التي ربما أصابها الجفاف ـ على عظمة الاسلام الذي هو الدين عند الله سبحانه وتعالى . (حوار مع مجاهد مسلم ، الصادر عن المكتبة القومية الحديثة بطنطا ١٩٨١م) .

وحتى نتمكن من الإحاطة بالظروف والملابسات التي رافقت حدوث الواقعة ، أقصد واقعة استشهاد حمزة على يد وحشي بن حرب عبد جبير أحد سادة قريش ، لابد من الإلمام بالوضع الاجتماعي للمجتمع المكي إبّان نشوء الدعوة الاسلامية ، فلقد كان ذلك المجتمع ينقسم إلى طبقتين هما : طبقة الأحرار وطبقة العبيد ، وبينهما أصناف أخرى من البشر منهم الأجراء والمجاورون والمسافرون والباحثون عن الهدى ، ولكن التأثير الأساسي كان لطبقة الأحرار التي على قمتها كبار التجار من قريش الذين تحكموا في رحلتي الشتاء والصيف ، واتخذوا من دار الندوة مقراً للحكومة برأسها أبو سفيان .. أما العبيد وهم الطبقة التي تعيش في بيوت السراة المكيين ، فلقد كانوا خليطاً من الأجناس وأسرى الحرب .. وبالطبع فإن موقع العبد من سيده الذي اشتراه بماله يقترب كثيراً من موقع البهيمة وان افترق عنها في أنه يتكلم ويصدع بما يؤمر ، ومن ثم كان الشوق إلى الانعتاق والتمتع بمباهج الحرية ـ إن كان لها مباهج في ظل المجتمع الجاهلي ـ دافعاً هاماً للعبد من أجل تنفيذ ما يأمره به سيده إن كانت المكافأة هي العتق . يقول وحشي واصفاً لحاله عندما كان يناجي عبلة .. تلك الأمة التي أحبته : **« نحن العبيد أتعس ما في الوجود .. حياتنا سقيمة .. معقدة .. قوامها الذل والكدر والأحزان .. السعادة شيء نسمع عنه ولا نلمسه أو نمارسه .. فلا تحدثني عن المتعة »** (ص٦) .. ثم يستطرد قائلاً : **« إنني أكره هذه الحياة .. أكره**

• إن الروائي المسلم يمكنه تقديم التاريخ الاسلامي في إطار مشوق جذاب ، يضيف الكثير إلى جاذبيته الدينية ..

بين عبودية الجاهلية وحرية الإسلام

كل شيء .. الناس .. والدواب .. السادة والعبيد .. مكة والمدينة .. إنني لم أتلق منهم غير الذل والاحتقار ، ولن أعطيهم غير الحقد والغيظ المدمر » (ص٧) .

وهكذا يمكننا تلقي الحادثة بخلفية مقنعة إلى حد بعيد ، هناك جبهتان تتصارعان ، جبهة الاسلام وجبهة الشرك .. وكلاهما يحشد حوله المؤمنين والأنصار ، المجتمع المشرك القديم يدافع عن بقائه في مواجهة الزلزال الذي أحدثته دعوة محمد ﷺ ، والدعوة الاسلامية تجتذب الأنصار وتقتل في موقعة بدر عدداً كبيراً من قادة الشرك ، الأمر الذي حول الصراع أو صعده إلى مسألة حياة أو موت ، فضلاً عن الثأر الذي بات مستعر الأوار في صدور أهل المقتولين .. ففي موقعة واحدة قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وأخو هند زوجة أبي سفيان .. ومن ثم فإن مقتل حمزة ، وهو ما هو عليه من أهمية في الدعوة الاسلامية حيث لقب بأسد الله ، يمكن أن يكون دافعه الأساسي : الثأر الشخصي وحقد السادة للحاق العبيد بالدعوة الاسلامية ، ورغبة وحشي العبد الحبشي في الانعتاق من العبودية .. **لقد كان إسلام حمزة فاصلاً هاماً في تاريخ الدعوة الوليدة ، فهو كان عم رسول الله ﷺ ، وأحد فتيان مكة الأشداء ، وكان إسلامه وجاء هاماً للمسلمين أكد لأئمة الشرك أنه يمكن رد الصاع صاعين لهم في حالة الاعتداء على المسلمين ، يؤكد ذلك عدم تمكن أبي جهل من رد ضرب حمزة له أمام النَّاس في الكعبة ، مما يدل على تلك المكانة الهائلة التي كان يتمتع بها حمزة في المجتمع المكي !**

والشخصيات في الرواية تنفرد وتتشابك بحيث تبدو الأحداث نتاج هذا التفرد والتشابك ، وهي أي الشخصيات تنحصر في وحشي وهو الشخصية المحورية في الرواية ، وعبلة زميلة وحشي في العبودية عند سيدهما جبير ، وهي قد أسلمت .. والغانية وصال التي تعاني من عبودية الدعارة تحت الرايات الحمراء ، وسهيل العبد المؤمن برسالة محمد ﷺ ، وقد قدمه المؤلف مشاركاً عبلة ليشكلا ضميراً لوحشي ، ذلك الضمير المحترق بنيران إذلال العبودية .. ثم بقية الشخصيات التي ساهمت في تصعيد الأحداث وأهمها حدث قتل حمزة وحدث إسلام وحشي .. **هذه الشخصيات هي : هند بنت عتبة وجبير سيد وحشي وأبو سفيان زعيم دولة الشرك ، ثم شبح حمزة الذي يظهر لوحشي في لحظات انهياره بفعل احتضانه للخمر طيلة الوقت بعدما فرت عبلة ووصال بدينهما إلى المسلمين في المدينة المنورة .**

التحريض على الجريمة ...

لقد كانت مهارة وحشي في استخدام الحربة مصدراً لشهرته ، وهذا حدا بهند بنت عتبة أن تقابله .. « وجلست باكية حزينة وهي تتمتم : قتل المسلمون ولدي حنظلة ، وأبي وأخي .. لم أضع الزيت على شعري ، أو الماء على جسدي من يومها .. أعلنت الحداد حتى آخذ بثار الأشراف من بني قومي .. لئن قتلت حمزة يا وحشي فلك مني ما تشاء من مال وذهب وإبل وأغنام .. سأكافئك أعظم مكافأة » (ص١٦) ..

أما سيده جبير فقال له : « أي وحشي .. انني أعرف براعتك في استعمال الحربة ، إن رميتك يا وحشي لا تخيب .. أهل مكة يعرفون بطولتك وبأسك منذ زمن بعيد .. ولقد أدركت فيك هذه المواهب ،

قاتل حمزة

وكنت أراك جديراً بكل تقدير وحب .. وأراك أيضاً جديراً بأن تنعم بالحرية .. أن تكون سيد نفسك يا وحشي .. عند ذلك تستطيع أن تعود إلى الحبشة بلادك .. أو تبقى في مكة حراً ، يربطك بي حلف مقدس .. حتى لكأنك واحد من أهلي .. لكن لكل شيء ثمن يا وحشي ، وعندما تدفع الثمن غالياً ، فسيصبح ما تحصل عليه أغلى وأقيم .. تلك طبيعة الحياة .. أنت تعلم أن رجال محمد قد قتلوا عمي (طعيمة بن عدي) في معركة بدر .. قتله حمزة .. والله يا وحشي لئن قتلت حمزة لأهبنك الحرية ، وأغدقن عليك ما يؤمن مستقبلك .. وبعد أيام تخرج للقاء محمد لنرى ما أنت فاعل .. إنها فرصة العمر يا وحشي .. فماذا أنت قائل ؟ » (ص١٠) .

وتقول له هند : « **من زمن بعيد .. كنت أسمع عن عنادك ، وتصديك لسيدك ، وتقبلك لأقسى ألوان العقاب ، وعن بطولتك .. فأقول : هذا رجل خلق ليكون سيداً من السادة لا عبداً من العبيد .. لكنك لم تكن قد وجدت الفرصة المناسبة لإظهار كفاءتك** » (ص٢٥) .

هكذا كان جبير وهند يحرضان وحشياً على قتل حمزة بن عبد المطلب ، ولكن ماذا كان رأي وحشي في السادة من مكة ؟! لقد كان يحادث نفسه : « **أيها الأوباش التعساء ، إنكم جميعاً صرعى الغرور والحماقة .. هياكل سادة وقلوب عبيد عميان .. لو وزن الناس بعقولهم ومشاعرهم لكنت سيدكم جميعاً .. وما أبو جهل وعتبة وشيبة وغيرهم إلاّ أكواماً متعفنة من الجمود والحماقة .. اللعنة عليهم جميعاً وعليكم أنتم ..** » (ص٢٣) .

وانطلق وحشي مع المشركين إلى جبل أحد لملاقاة المسلمين ، انطلق محموماً بوعود هند وجبير ، وممتلئاً بالغرور الذي يملأ داخله في أنه أفضل الرماة بالحربة ، وبكبرياء العبد الذي يحس بأن الجميع في حاجة إليه ، لم يكن يدري أنه سيرتكب إثماً كبيراً ووزراً جسيماً .. كان كل همه أن يصبح سيداً ، ألم يخلق ليكون كذلك مثلما قالت هند بنت عتبة ؟!

وقـــوع الجريمـــة ..

احتدم القتال بين المسلمين والمشركين بعدما تخلى الرماة المسلمون عن مواقعهم فوق الجبل .. « **وأخذت الخيول تدهس جثث الرجال .. وبرز حمزة من جديد وإلى جواره أبو دجانة وعلي وعمر وسعد والزبير ، يقاتلون جميعاً في استبسال لتحطيم الحصار ، وانطلق حمزة يصرع الواحد بعد الآخر من فرسان قريش ، حتى اقترب من وحشي .. وأختبأ وحشي وراء شجرة في الوادي وحمزة ينقض على فارس من قريش يعمل سيفه في صفوف المسلمين .. صرخ حمزة فيه : هلم إلي ، وبارزه حتى صرعه وعكف يجهز عليه ، وهز وحشي حربته ، وقذف بها حمزة من بعيد ، ودخلت الحربة من بطن حمزة لتخرج من ظهره .. وحاول حمزة أن يرفع يده بالسيف فلم يستطع .. فانطلقت هند إليه ، وأخرجت قلبه وكبده .. وأخذت تعصر كبد حمزة بيدها وتلوكه بفمها وتلعق الدم متشفية وهي ترقص على جثته .. وبدأ المحاربون المسلمون يسقطون بالعشرات .. وتقدم أبو سفيان إلى جثة حمزة ، فركلها .. وضرب شدقه بسن حربته .. وحين اخترقت الحربة شدق حمزة ، ضحك أبو سفيان ، ومشى يسحق بحذائه ، كل ما هو نبيل وشجاع في الرجل الذي كان يملأ قلوبهم بالرعب منذ لحظات ، ولم يعد الآن غير جثمان ملقى ، دماء تختلط برمال الأرض ..**

لقد مات حمزة .. مات حمزة فأين محمد ؟ وتردد الوادي بهتاف أبي سفيان « مات حمزة » وظلت هند تخضب يدها بدمه وترفعها صارخة « مات حمزة » (ص٢١٩-٢٢٠ من كتاب محمد رسول الحرية لعبد الرحمن الشرقاوي طبعة دار الهلال) .

أين هي الحريـــة ؟!

وتمضي الرواية في تقديم وحشي بعد اغتياله لحمزة ، الآن أصبح وحشي - حسبما وعده سيده - حراً ، وحياة الحرية التي حلم بها تختلف عن حياة العبودية التي عاش فيها ردحاً من عمره ، الآن يحق له أن ينادى بالسيد ، مثله مثل جبير وأبي سفيان وغيرهم من سادة قريش .. لقد انتزع حريته بحربته .. ولكن هل حقاً نال وحشي الحرية الحقيقية ؟ من الرواية ، وأعتقد أنها مكرسة تماماً لمناقشة هذه القضية من خلال قصة وحشي .

نعرف أن الحرية في الاسلام غيرها في مجتمع الشرك والأزلام .. لقد وعد السادة وحشي بالحرية ، ولكنها أية حرية .. هل هي الحرية التي يمارسها بلال بعدما اشتراه أبو بكر وأعتقه لوجه الله ، أم هي الحرية التي يمارسها الآن وحشي داخل المجتمع المكي وبين أعرافه وتقاليده .. لقد اكتشف وحشي أنه لم يزل عبداً لكل سادة قريش ، لقد كان عبداً لجبير ، ولكن بعد تحريره من سلطة جبير أصبح عبداً لقريش كلها ، تجلى ذلك في هواجسه التي كانت تعتمل داخله بعدما حقق لقريش أملها في قتل حمزة ، يقول « **لم أزل وحشي الوحيد القلق الذي يضنيه التفكير والعذاب .. إن حصولي على الحرية في حد ذاته أمر يبدو هيناً .. العالم كما هو .. أبو سفيان سيد مطاع ، جبير ما زال يحظى باحترام الجميع ، ونظرة الجميع إليَّ لم تتغير كثيراً .. فهم ما زالوا ينظرون إلي من عل .. والكارثة أن العبيد في مكة يعاملونني في ود حتى لكأني واحد منهم .. هؤلاء الحمقى يباركون مجدي ، ولكنهم لا يعلون قدري إنهم لا يحنون ولا يخفضون رؤوسهم احتراماً ، ولا يخاطبونني في نبرات ذليلة خجولة .. قسماً لأحطمن جمجمة كل عبد يتجرأ على مقامي الجديد .. وهؤلاء السادة الذين يأبون أن ينسوا ماضيَّ ، لأجدعن أنوفهم .. لكني وحدي بلا قبيلة ، وأجر ورائي ماضياً مثقلاً بالعبودية والأحزان .. لم أنل غير كلمات الثناء التي تسكرني .. لا .. إن كلمات الثناء وحدها لا تكفي .. آه .. الناس حمقى لا ينسون .. وأحياناً يكونون حمقى لأنهم ينسون** » (ص٤٣) .

أصبح وحشي واعياً لمأساته ، إن الحرية التي حلم بها لم تتحقق ، ومكانته ما تزال هي هي .. عبد لا أكثر .. أين هو من حرية بلال إلى جانب محمد .. أين هو من الحرية التي نادى بها الاسلام ، والمساواة وأنه لا فرق بين عجمي وعربي إلا بالتقوى ، وأن النَّاس سواسية كأسنان المشط ، وأن كلهم لأدم وآدم من تراب .. إن قتله لحمزة لم يفتح أمامه مغاليق أبواب الحرية ، بل على العكس أوصدها تماماً فلم يعد أمامه سوى حربته يبثها لواعجه ، وهنا يقدم لنا نجيب الكيلاني تحليلاً ممتعاً لعلاقة وحشي بالحربة ، لكأنها معشوقة ناصعة الشرف يتعبد بجمالها عاشق عذري يأبى عليها أن تعرف غيره ، يقول لأحدهم وقد سأله :

ــ أما زالت حربتك عذراء ؟

فرفع إليه وحشي عينين دامعتين وقال جاداً :

ــ إنها شريفة ، عذراء .. لم تتلوث بإثم .

فعادوا يضحكون ، وقال آخر :

ــ إن لي بها علاقة قديمة .

هتف وحشي في غضب ...

– كذبت .. إنها لم تعرف في الوجود سواي (ص٢٩) .

لقد وصل الأمر بوحشي أن لم يعد له في الوجود سوى حربته ، لقد أبغض الجميع ، وقد تمكن نجيب الكيلاني بمهارة بالغة أن يكفل لوحشي كافة الظروف التي تجعل فعلته مدانة منذ البداية ، فلقد جرده من حبيبته واحترام السادة واحترامه لنفسه ثم جعل طيف حمزة يطوف به مرعباً إيَّاه كلما انغمس في الخمر بعدما فارقه الجميع .. « **لقد دأب في الأيام الأخيرة على لزوم بيته ، لا أنيس له سوى كأسه ، أصبحت الخمر من ألزم لوازمه ، الخمر والحربة أعظم صديقين له في الوجود ..** » (ص١١٦) وطيف حمزة يراه « **إنه يعرفه جيداً .. هو لم يمت ، إنه يتقدم كالجمل الأورق وفي يده سيفه .. لسوف يقتله .. النجدة .. سيقتله** » ويصيح « **انقذوني منه : لست أنا المسؤول يا حمزة .. إن جبير بن مطعم هو الذي حرضني** » (ص٢١٧) .

غيِّب وجهك عنِّي ...

وتوالت انتصارات المسلمين وفتحت مكة ، وكان وحشي من ضمن الذين أهدر محمد عليه السلام دمهم ، واشتدت وطأة المأساة على وحشي فقرر الفرار وها هو يقول : « **آه .. وامصيبتي ! لقد اشتد بي الظمأ .. وأنا أسير وحدي نهباً للعذاب والخوف والضياع .. أهذه هي النهاية ؟ أيمكن أن يبعث محمد ورائي بجنوده ؟! أوه .. أنني أهول في الأمر ، إن محمداً الآن عنده الكثير من الأمور تشغل ذهنه ، وفرار واحد مثلي لن يشغل حيزاً صغيراً من تفكيره .. لكن كيف ؟ هل وصلت إلى درجة من التفاهة لا تجعل محمداً يفكر في ؟ إنني قاتل عمه .. أنا قاتل حمزة** » (ص٢٣٤) .

ولا يجد وحشي مفراً من الاستسلام لداعي الهداية بعدما تعززت انتصارات الرسول ﷺ الذي يعود إلى المدينة المنورة ، فيقرر الذهاب إليه ليعلن إسلامه ، ويقف في حضرته ويسرد عليه كيف اغتال حمزة ، وقبلها كان قد قبل إسلامه ، ولكن الرسول ﷺ يقول له « **غيِّب وجهك عني .. فيقول وحشي لصديقه سهيل الذي آمن من قبل** : « آه يا سهيل ليته قتلني واسترحت .. محمد يقول لي : غيب وجهك عني » كلماته يا سهيل ستدور في عرض الجزيرة وطولها .. وسيحملها التاريخ ، كي تتناقلها الأجيال المقبلة .. كلمات تنغرس في قلبي ورأسي وجسدي فتحرمني السعادة ، وتشوب سعادتي باعتناق دعوة الله » (ص٢٦٠) .

« **والتقى وحشي بسيده القديم جبير بن مطعم ، وامتلأت نفس وحشي بالرضى** حينما سمع جبيراً يقول له :

– أهلاً أخي ...

شرد وحشي بضع لحظات ، وأخذت كلمة (أخي) تردد صداها في

أذنيه ، فيحلو رنينها ، وتصعد نبراتها ، وتبدو كـاللحن العذب الجميل .. (أخي) .. إنها أروع من الحرية والمال .. ونساء الأرض قاطبة .. » (ص٢٦٢) .

ويناجي رسول الله ﷺ بعد موته « عهد عليَّ .. أن أحمل روحي على كفي ، وأنهض إلى أي أرض تقام فيها النصب للآلهة الزائفة .. فإما أن أسقطها أو أموت على أبوابها شهيداً حتى ألقاك يا حبيبي .. غيبت وجهي عنك وأنا أشد ما أكون شوقاً إليك ، وكلما اختفيت عنك أحرقني الشوق بنيران لا ترحم وازداد توهج الحب في قلبي السقيم » (ص٢٦٦) .

هـذه بتلك ...

وإبان احتدام المعركة في أرض اليمامة أخذ وحشي يبعث بنظراته هنا وهناك ، حتى وجد رجلاً أشعث الشعر يقف على ثلمة جدار ، ويناضل في استماتة ، وصرخ وحشي :

– إنه هو « **مسيلمة الكذَّاب** » ثم يسدد وحشي حربته ، نفس الحربة التي رمى بها حمزة ذات يوم مشؤوم .. ثم أطلقها فاستقرت بين ثديي مسيلمة ، وخرجت من بين كتفيه فتهاوى الكذَّاب على الأرض ، وانقض عليه أحد المسلمين بسيفه فأجهز عليه ..

وانتهت المعركة بانتصار الحق ..

وجلس وحشي يهز حربته ويقول :

« **بحربتي هذه قتلت خير النَّاس بعد رسول الله ، حمزة بن عبد المطلب ، وشر النَّاس مسيلمة الكذَّاب** » (ص٢٦٨) .

وتنتهي الرواية بموت وحشي على فراشه في أرض الشام التي نزح إليها مع الجيوش الاسلامية المظفرة ..

نظـرات في الروايـة ..

وقد التزم نجيب الكيلاني ـ في دقة متناهية ـ بالوقائع التاريخية ، وأدار من خلالها أحداث روايته هذه ، إذ أن مشكلة الرواية التاريخية تتركز في أنها لابد من أن تلتزم بكل الدقائق التي أوردها التاريخ ، حيث لا يمكنها الاعتماد على الخيال إلا في تحليل الشخصيات أو إضافة شخصيات مساعدة متوائمة ـ بالطبع ـ مع حسن سير الأمور داخل العمل الروائي ، وكان نجيب موفقاً غاية التوفيق في اختيار هذه الشخصيات وخاصة عبلة ووصال وسهيل .. والتزم نجيب بالأسلوب العربي التاريخي الدقيق في التعبير ، اللهم إلَّا بضع هنات هنا وهناك مثل مصطلح « المصلحة العامة » الذي ـ ربما ـ لم يكن متداولاً في تلك الحقبة من التاريخ (ص١٧٧) .. إذ أن مراعاة التطور في استخدام اللغة هام جداً في هذه الروايات .

لقد عبرت رواية « قاتل حمزة » لنجيب الكيلاني عن أزمة الانسان وبحثه ـ في ذاك التاريخ ـ عن حل لمشكلة العبودية في الجاهلية ، وأوضحت ـ من خلال تطور أحداثها وشخصياتها ـ أن الاسلام قد وضع الاسفين النهائي القوي في النظام العبودي كله ، مما أدَّى إلى انهياره تماماً ، واكتساب الفرد والمجتمع للحرية تحت ظلال الاعلام المظفرة لدين الله ...

والرواية إضافة هامة في المكتبة الروائية الاسلامية ، تؤكد أن الروائي المسلم يمكنه تقديم التاريخ الاسلامي في إطار مشوق جذَّاب يضيف الكثير إلى جاذبيته الدينية ، ونجح نجيب الكيلاني في المحافظة بكل قوة على كافة التفاصيل التاريخية ، ووظفها طيلة صفحات الرواية في خدمة تطور الشخصيات المحورية التي بدأت آثمة كافرة قاتلة لأسد الله ، ثم انتهت مجاهدة مؤمنة شاكرة وقاتلة لعدو الله .

أخطار التلوث

□□ إن الغرض الرئيسي من مكافحة تلوث البيئة هو المحافظة على صحة الإنسان ورفاهيته ، وإذا استعرضنا تطور برامج مكافحة تلوث البيئة في البلدان الصناعية خلال العقود الماضية ، لوجدنا أن الخبراء في الطب والصحة جابهوا في بادىء الأمر ، تلك المسألة المعقدة التي تتعلق بالإثبات العلمي للعلاقات بين مادة أو مواد ملوثة سببياً أو كمياً ، وبين ما يلاحظ من الآثار الضارة كنتيجة أو استجابة ، فإن لم يستطع الخبراء تقديم الادلة المقنعة عن الآثار الضارة للمواد الملوثة ، فإن آراءهم تضيع سدى □□

ومنذ عهد قريب ، ونتيجة لضغوط اجتماعية قوية ، يعهد في حالات كثيرة إلى خبراء في الطب والصحة العامة بمهمة إقامة الدليل العلمي على السلامة في بعض النزاعات المعينة الخاصة بتلوث البيئة ، وخلافاً لما كان متبعاً في الماضي ، فإنه غالباً ما يفترض الآن وجود الخطر ، حتى ولو لم يكن بالإمكان تقديم البرهان المقنع تماماً بذلك .

والصعوبة في الوقت الحاضر تكمن في التقديم المقنع للنتائج حول سلامة مواد ملوثة محددة ، او خطرها على صحة الإنسان حتى تتمكن سلطات الصحة العامة المسؤولة ان تقرر ما إذا كان يجدر اتخاذ موقف وقائي او موقف متحفظ ..

والآثار الضارة البطيئة ، كتلك التي تحدث السرطان والتشوه الخلقي والتبدل الخلقي نتيجة التعرض الطويل الأمد للمادة أو المواد الملوثة ، تحدث اليوم قلقاً اجتماعياً أكثر من الآثار الضارة الحادة أو تحت الحادة . والشك أشد فيما يتعلق بالآثار الضارة المزمنة ، ولكنَّ ثمة ضغوطاً قوية لاعتماد منهج وقائي مبني على التنبؤ وتقييم الآثار الضارة لملوثات البيئة .

بقلم : د. رأفت سليمان

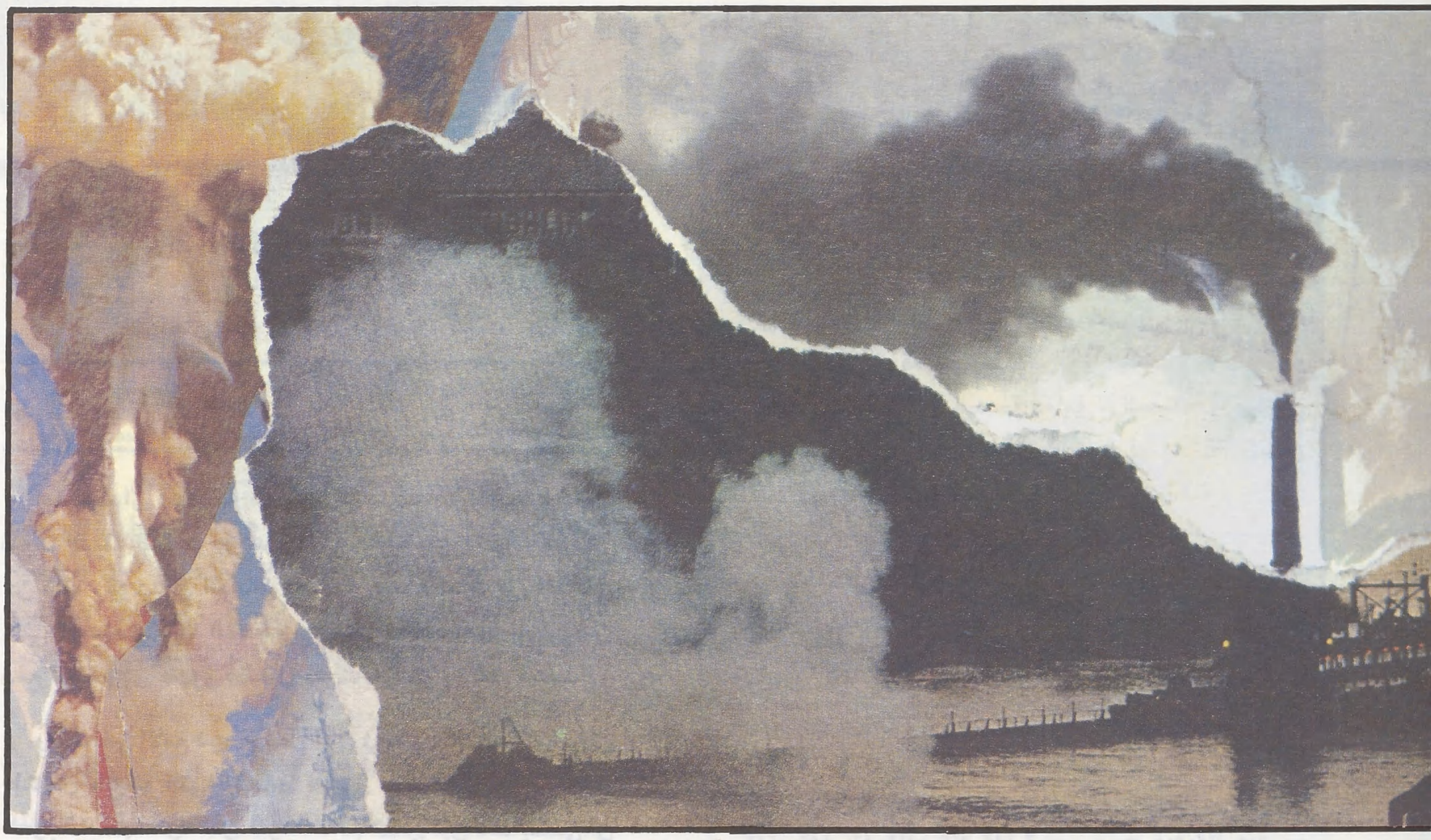

البيئة
وطرق مكافحتها..

حـــدود المشكلة ...

تعتبر البيئة ملوثة عندما يحدث تبدل في حالتها أو تركيبها كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة لأنشطة الإنسان ، فتغدو أقل صلاحية لبعض أو كل الاستعمالات مما كانت عليه في حالتها الطبيعية ، وينطوي هذا الوصف على حدوث تغيرات نوعية وكمية في الخواص الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية للمكونات المختلفة للبيئة (**الهواء ، والماء ، والتربة ، والغذاء ، والمحيط المهني والسكني والترفيهي**) الناجمة عن تفريغ النفايات عمداً أو بغير قصد ، أو عن الاستعمال المتعمد للمواد الكيميائية ، أو تشتت الطاقة على هيئة حرارة أو ضوضاء أو اهتزازات أو إشعاع ،

وهكذا فإن التلوث يحدث عندما تتسبب التغييرات البيئية ، أو يحتمل أن تتسبب ، في أذى أو خطر على صحة المجتمع أو سلامته أو رفاهيته ، أو عندما تكون ضارة لدى الاستعمال المشروع لمكونات البيئة لأغراض منزلية أو صناعية أو زراعية أو ترفيهية ، أو عندما تشكل ضرراً على الدواجن والحيوانات البرية والأسماك والحياة المائية وأنواع الحياة الأخرى .

في البلدان النامـيـة ...

وستظل المشكلة الرئيسية لتلوث البيئة في معظم البلدان النامية هي التصريف بغير تحكم لمياه المجاري التي تحتوي دائماً على مجموعة متنوعة من الكائنات الدقيقة قد يكون بعضها مسبباً للمرض ، في نوعية الماء والتربة والغذاء ، ومسألة حماية القنوات المائية من التلوث بالكائنات الدقيقة المرضة ، ذات أهمية قصوى للدول النامية بسبب النقص الحاد الذي تواجهه في ماء الشرب جيد النوعية .

على أنه لا ينبغي عدم إغفال الوقاية من هذا النوع من التلوث في البلدان المتقدمة حيث يكون التلوث البيولوجي في بعض مناطقها أمراً عظيم الأهمية ، وقد دلت الخبرة حديثاً على أن بعض الأمراض السارية ذات الصلة بالتلوث البيولوجي للماء والغذاء يمكن أحياناً أن تسبب تفشياً ذا أبعاد وبائية ، والطرق الحالية لتنقية مياه المجاري (**بما في ذلك المعالجة البيولوجية**) لا تزيل الملوثات الميكروبيولوجية كلياً ، مما يؤدي في بعض الحالات إلى تفشي الأمراض المعوية .

أخطار تلوث البيئة

في البلدان المتقدمة ...

اما البلدان المتقدمة صناعياً فإنها تجابه اساساً مشاكل تلوث البيئة الناجم عن عوامل كيميائية وفيزيائية ، وفضلاً عن ذلك ، يوجد في البلدان النامية عدد محدود من المناطق التي قد يؤدي فيها التحضر والتنمية الصناعية السريعان بغير تحكم إلى ظهور مشاكل تلوث من نوع اشد تعقيداً .

وإذ تمضي الأمم نحو مراحل أعلى في تطورها الصناعي ، فإن المشاكل البيئية التي تواجهها لاتكون حتماً بالترتيب نفسه أو الدرجة نفسها ، ولما كان الموقف دائم التغير فإن ذلك يقتضي أن تتسم برامج مكافحة تلوث البيئة بالمرونة والتكيف والتجديد .

إن جميع جوانب تلوث البيئة مرتبطة بالصحة والرفاهية ، سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة ، وقد كشفت الأدلة الوبائية التي تم جمعها خلال سنوات عديدة عن علاقات سببية اكيدة في بعض أنواع التلوث وآثارها ، بينما في أنواع أخرى كانت الآثار ادق ، وما زالت هناك حاجة إلى دراسة مكثفة لمعرفة ما إذا كانت لها علاقة ذات شان بصحة الإنسان .

وقد لعبت الصحة العامة والطب المهني دوراً قيادياً في تطوير البرامج الموجهة صحياً لمكافحة تلوث البيئة ، فقد قدمت الصحة العامة لدراسات التلوث المنهج الوبائي وتسهيلات المختبرات ، وكذلك أساليب لمراقبة الماء والغذاء المقتبسة من ممارساتها في مجال إصلاح البيئة .

أما الطب المهني ، بما في ذلك بحوث السموم والعقاقير ، فقد جاء ببعض المعلومات الأساسية عن العلاقة السببية بين المواد الملوثة وبين آثارها الضارة ، والعلاقات بين مقادير جرعاتها ومفعولها . وقدمت العلوم الأساسية (الكيمياء والفيزياء والبيولوجيا) والعلوم الهندسية المعرفة والتفهم لظواهر تلوث البيئة ، وقد أمدت التكنولوجيا الهندسية ، مع الفيزياء والكيمياء ، بمعلومات أساسية حول مكافحة مصادر التلوث وتقنيات تنفيذها ، وقد شاركت تدريجياً قطاعات مختلفة من الإدارة ، مثل تلك المتعلقة بالصحة العامة ، والصناعة والتجارة ، والزراعة وموارد المياه ، والنقل والمرور ، في صياغة وتطوير سياسات وبرامج موجهة صحياً لمكافحة تلوث البيئة .

طرق المكافحة :

١ ـ تقوم الهيئات الفنية بتقديم معلومات واضحة وصحيحة عن الطرق البديلة المتاحة لمكافحة تلوث البيئة ، وتقدير الفوائد والأخطار التي قد تنتج عن البدائل المختلفة ، حتى يتمكن المسؤولون من اتخاذ القرارات ، ورسم السياسات ، واختيار طرق العمل المناسبة .

ويضيف تزايد عدد الملوثات الكيميائية واحتمالات الاضرار العضوية الجديدة لصحة الإنسان توكيداً على اهمية البرامج الوقائية المبنية على دراسة الأخطار الكامنة او الجديدة للبيئة البشرية .

٢ ـ تحديد مصادر التلوث وتقديرها كمياً والقيام بعمليات المسح القاعدية ، وبناء أنظمة المراقبة ، ووضع الحدود المقبولة لنوعية الأوساط البيئية ، واختيار الطرق التكنولوجية للمكافحة ، وإعداد الإطار القانوني والإداري ، وتدبير القوى العاملة .

٣ ـ تشترك الدوائر الصحية مع الجهات المسؤولة في تعزيز وتخطيط وتقييم برامج ومشاريع مكافحة التلوث ، وان تكون مسؤولة عن وضع معايير صحية لنوعية البيئة ولرصد ومراقبة صحة البيئة ، ومن جهة اخرى فإن آثار التلوث بعيدة المدى وطويلة الأمد ، مما يستوجب تعاون الدوائر المختصة ومشاركة ممثلين عن الصناعة والجمهور في إعداد البرامج الهادفة لتحسين البيئة .

٤ - تعطى البرامج ذات الأهمية الاجتماعية أولوية مطلقة عند التنفيذ حسب حدة المشكلة والفوائد المتوخاة من مكافحة التلوث .

ويجب أيضاً التمييز بين العمليات الوقائية والعلاجية والتصحيحية ، فبالإضافة إلى إجراءات مكافحة التلوث ، هناك حاجة إلى برامج تثقيفية للجمهور تركز على أهمية الوقاية ، وحماية الصحة ومكافحة التلوث .

ومع أن الصحة هي المحور لكل التدابير التي تتخذ في مجال إدارة البيئة ، إلا أن الخدمات الصحية الحقيقية كثيراً ما تكون معزولة إلى درجة كبيرة عن الجهود الرئيسية لمراقبة نوعية البيئة ، بيد أنه على السلطات الصحية أن تكون على بينة من مستويات الملوثات البيئية ، إذ أن هذه المعرفة أساسية للوقاية من أخطار التلوث على الإنسان ولمكافحتها .

ويقتضي الأمر معرفة تركيز المواد الملوثة المختلفة في الهواء والتربة والماء والغذاء ، وذلك من أجل تقدير الكميات التي يتناولها الناس . ويجب أن يكون في الحسبان العلاقة المحتملة بين المرض المزمن والمستوى المنخفض من التعرض للملوثات على مدى سنوات عديدة ، وقد أخذت هذه الاعتبارات تزداد الآن أهمية بسبب المنهجيات العلمية الحديثة التي تتيح الكشف عن المواد المحتملة السُّمِّيَّة عند مستويات منخفضة جداً من التركيز . غير أن مستويات المواد الملوثة في الأوساط البيئية لا ترتبط بالضرورة بمستويات تعرض الإنسان لها ، وهناك حاجة إلى فحص المسار الحرج لتعرض الأفراد والسكان ، ويحدث التعرض للمواد الملوثة عن طريق الهواء والماء والغذاء والملامسة المباشرة لجسم الإنسان ، وقد يتم ذلك في الأماكن المهنية أو الاجتماعية أو السكنية أو الترويحية ، **ولعل أهم المسائل التي يجدر بحثها بعناية هي كمية ونوع التعرض الكلي من خلال السبل المتعددة في المواقع المختلفة . وخصائص الأفراد أو قطاعات معينة من السكان مثل الإفراط في أكل السمك .. هي اعتبارات هامة عند تقدير التعرض للتلوث ، وينبغي كذلك ، أن تحدد بعناية المجموعات الحرجة من السكان .**

وإحدى وسائل تقدير مدى تعرض الفرد للمواد الملوثة هي تحديد حمل الجسم (**أي حمل العضو أو النسيج**) . ومن أمثلة تحديد حمل الجسم تقدير محتوى الزئبق في الشعر ، والرصاص في الدم ، ومحتوى الكادميوم في البول ، ومركبات الكلور العضوي في الأنسجة الدهنية ، ومن شأن ملاحظة الأعراض النوعية وغير النوعية ، أن توفر المعلومات الأساسية لتحديد الأخطار الصحية للمواد الملوثة أو التمييز بينها وتفريقها وتقييمها .

وعند إجراء تقييم كهذا ينبغي الاهتمام بقابلية هذه الأعراض أو عدم قابليتها للانعكاس ، وبحقيقة أن المضاعفات والشفاء والعجز المتخلف والوفاة هي أطوار مختلفة لعملية المرض .

وبالإضافة إلى هذه الآثار الجسدية ، **يجب أيضاً ملاحظة الآثار الوراثية المحتملة** ، كما ينبغي التمييز بين الانتقال عبر المشيمية الذي يؤدي إلى تعرض الجنين تعرضاً مباشراً وبين آثار التحول الخلقي .

ويجدر أيضاً الاهتمام بانتقال الملوثات من المصدر إلى البيئة ثم إلى الهدف حيث تظهر الآثار ، وقد يكون لكل خطوة من خطوات هذا الانتقال آثار علمية أو تكنولوجية أو إدارية أو قانونية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية .

ويمكن تطبيق إجراءات الوقاية والمكافحة عند نقط متعددة على المسار من مصدر التلوث حتى الإنسان .

وبصفة عامة ، فالمكافحة عند المصدر هي الأنجع ، غير أنه يمكن أيضاً توجيه العمل إلى تفريغ المواد الملوثة في البيئة (**كمعالجة النفايات قبل تصريفها**) ، **وإلى الأوساط المختلفة للبيئة (كتحسين القدرة الاستيعابية للتجمعات المائية)** ، وإلى الوقاية من التعرض للملوثات أو خفضه (**مثل مراقبة نوعية المنتجات الغذائية ، وأجهزة الوقاية الشخصية في الصناعة ، ومعالجة المياه قبل وصولها إلى شبكات التوزيع**) ، وإلى وقاية الأفراد المعرضين من الآثار الضارة (كالتحصين) ، أو علاج المجموعات السكانية المصابة .

وتختلف كفاءة الإجراءات المختلفة وتكلفتها النسبية تبعاً لنوع المادة الملوثة ، والمسار الرئيسي للتعرض وأنواع الآثار التي تحدث .

اعتبارات الأخطار والفوائد :

إذا أريد اتخاذ تدابير تشريعية حكيمة لمكافحة المواد الضارة

أخطار تلوث البيئة

في بيئة الإنسان ، فلابد من إجراء تقييم بالغ الدقة للأخطار والفوائد ، وإن كانت هذه العملية صعبة للغاية .

إن الخبرة اللازمة لتقييم الأخطار تختلف عن تلك التي يتطلبها تقييم الفوائد ، فالأولى تركز الاهتمام على الآثار الضارة بصحة الإنسان ، وإتلاف البيئة ، وسوء استعمال الموارد الطبيعية . اما الثانية فمحورها قيمة الأشياء بالنسبة للمستهلك والبلد ، اي تحسن صحة المجتمع وتوفر المنتجات الأكثر رخصاً وجودة حيث إن الاعتبارات الاقتصادية مهمة ايضاً ، ومنها تعزيز الانتاجية ، وتنمية الموارد وتحسين الميزان التجاري .

وفي كلا النوعين من التقييم ، يجب الأخذ في الاعتبار النتائج المحتملة لكل قرار تنظيمي ، ويمكن أن يثبت أحياناً أن للدواء عواقب أشد سوءاً من الداء المفروض معالجته ، فمثلاً : اثار اقتراح التوقف عن إضافة رابع إيثيل الرصاص إلى البنزين تساؤلاً عن مدى خطر زيادة المركبات الأروماتية في الوقود على صحة الإنسان ، وعن احتمال إدخال كميات اكبر من عوامل اخرى مانعة للخبط .

وفي حين أن تقييم الفوائد يطرح قليلاً من المشاكل ، إلا أن تقييم الأخطار كان دائماً صعباً ، فبالنسبة للإنسان فقد تأكد وجود عوامل تعقّد تقدير سمية المواد ، ونذكر على سبيل المثال : عادة التدخين ، حيث تلعب العوامل المسببة للسرطان فيما يبدو دوراً هاماً ، وكذلك التعرض للزيوت المعدنية في المصانع ، حيث لم يمكن إثبات علاقة بين الهيدروكاربونات المتعددة الحلقات المحدثة للسرطان ، وبين نسبة حدوث سرطان الجلد .

وتبين كذلك أن للعوامل الغذائية تأثيراً كبيراً على نسبة حدوث الأورام في الإنسان ، وفي حيوانات التجارب . وقد أصبحت بعض أسباب ذلك معروفة حالياً ، مثل تثبيط عمليات الأيض نتيجة لنقص في الفيتامينات مما يؤدي للتغيير في احتمال حدوث السرطان ، ولكن لا يزال تفسير البعض الآخر مفتقداً ، مثل تسبب الأغذية عالية الدهن في مرض السرطان .

السلطات الصحية والتلوث ...

تتحمل السلطات الصحية عدداً من المسؤوليات الرئيسية ، رغم اختلاف التدابير الإدارية والتنظيمية بين بلد وآخر ، ويدخل في ذلك ما يلي :

١ ـ تحديد الملوثات .

٢ ـ تقدير الآثار الصحية لملوثات البيئة .

٣ ـ تعزيز البحوث على الآثار الصحية لتلوث البيئة .

٤ ـ وضع وتنفيذ معايير لنوعية البيئة ترمي إلى المحافظة على الصحة العامة ، بما في ذلك معايير نوعية المياه المستعملة للشرب وللأغراض المنزلية الأخرى وللترفيه ، ومعايير نوعية الهواء ، والحدود القصوى المسموح بها للتعرض المهني للكيميائيات السامة ، ومعايير تعرض الإنسان لمختلف انواع الإشعاع والضجيج والأخطار الطبيعية الأخرى ، والكميات القصوى اليومية من المواد السامة المتناولة في الأغذية ، وحدود تحملها .

٥ ـ تقييم المشاريع الخاصة بصحة البيئة .

٦ ـ المشاركة في إجراءات الترخيص .

٧ ـ التفتيش على المصانع وأماكن العمل الأخرى .

٨ ـ مراقبة استعمال المواد السامة في الزراعة وفي الأغراض المنزلية .

٩ ـ توفير الارشادات حول تصريف الفضلات الصلبة السامة .

١٠ ـ مراقبة التأثيرات البيئية على الصحة .

١١ ـ مراقبة تلوث الهواء في المناطق الحضرية والصناعية ، ونوعية إمدادات المياه العامة ، ومصادر مياه الشرب ومياه الترفيه .

١٢ ـ وضع واستخدام معايير صحية عامة بالنسبة لمواقع المصادر المحتملة للتلوث ، كمنشآت أو مصانع توليد الطاقة ، وتعيين مناطق واقية .

١٣ ـ تدريب العمال الصحيين على مكافحة التلوث .

١٤ ـ تقديم الإرشادات في جميع جوانب مكافحة التلوث التي لها آثار على الصحة العامة .

توصيات لمكافحة التلوث ...

وقد خلصت لجنة خبراء بمنظمة الصحة العالمية إلى التوصيات التالية لمكافحة تلوث البيئة :

(١) عند رسم البرامج الوطنية لمكافحة تلوث البيئة ، يجب إعطاء الجوانب الصحية اولوية عالية . وينبغي أن تفوض للهيئات الصحية السلطات اللازمة وأن تجهز بما يكفي لإنجاز وظائفها ، لا سيما فيما يتعلق بالقوى العاملة ذات الكفاءة العالية ، كما ينبغي تقوية الوحدات الفنية الملائمة في الهيئات الصحية وسواها ، ويجب عند الحاجة إنشاء وحدات جديدة للقيام بهذه المهام ، بما فيها رصد وتقييم مستويات تلوث البيئة وآثاره على الصحة .

(٢) تعتمد برامج تلوث البيئة على فروع علمية متعددة

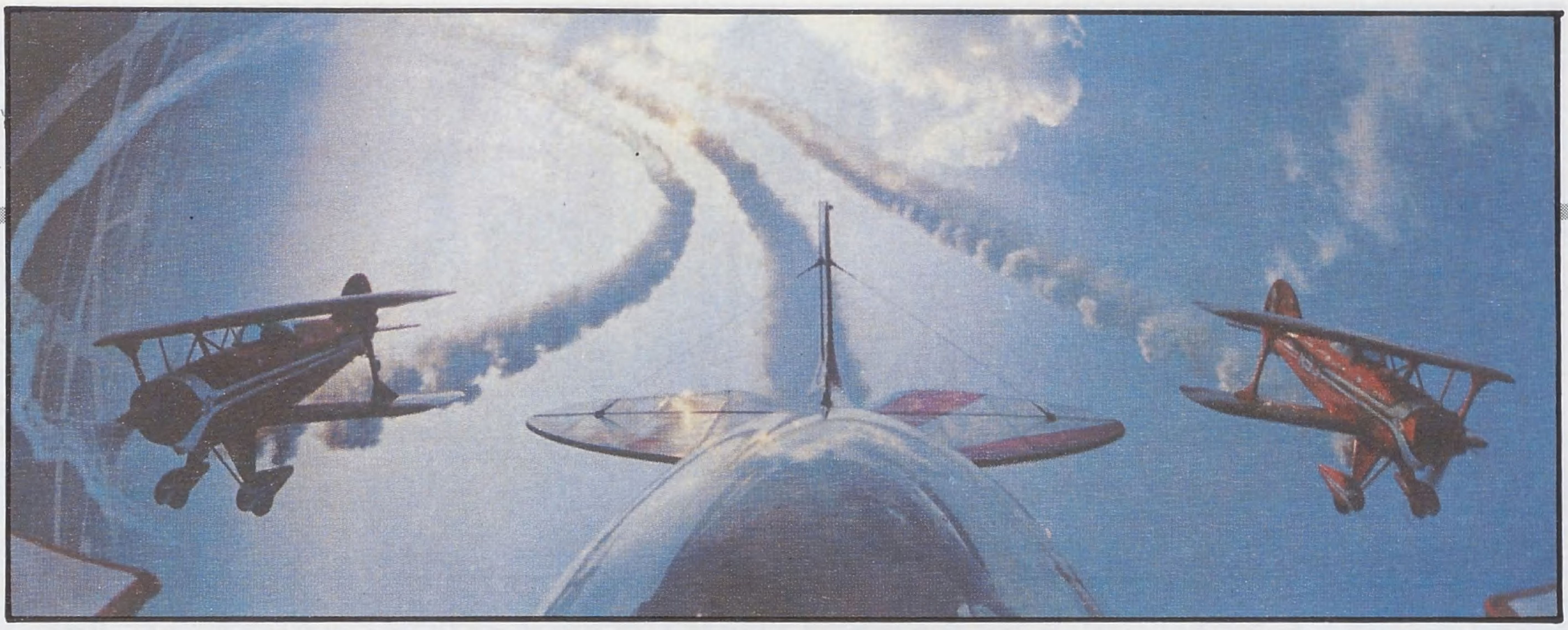

وتتطلب تنسيقاً بين مختلف الدوائر الحكومية على الصعيد الوطني ، كما يجب تضافر الجهود على الصعيدين الوطني والدولي من أجل ضمان التعاون بين جميع الجهات المعنية ، لأنه بدون تعاون كهذا ، ربما تتكبد المجتمعات المحلية أضراراً قد لا يمكن إصلاحها .

(٣) ينبغي أن تخطط البرامج الوطنية لمكافحة تلوث البيئة ليس فقط بهدف مكافحة وخفض التلوث بصورة مرضية فحسب ، بل أيضاً للوقاية منه إلى أقصى حد ممكن . لذلك يجب تخطيط هذه البرامج ، وتنظيمها وإدارتها وتقييمها بصورة منهجية بواسطة الإدارة الحديثة والدراسات الوافية ، وعن طريق المقارنة بين الأخطار والفوائد وبين التكاليف والفوائد ، وبين التكاليف والفعالية ، والتعليم المستمر والبحوث مكونات أساسية في هذه البرامج .

(٤) ينبغي أن تدرس الدول النامية بعناية منع تلوث البيئة حتى لو كان لا يمثل مشكلة رئيسية بعد ، وأفضل طريقة لذلك إدخال مكافحة تلوث البيئة ، منذ البداية ، في جميع المشاريع الصناعية والزراعية ومشروعات التنمية الاقتصادية الأخرى ، بما فيها التخطيط الإقليمي .

(٥) شددت اللجنة على ضرورة اعتماد برامج متوازنة تراعى فيها المشاكل التقليدية التي تنشأ من التلوث بالفضلات العامة ، وكذلك التلوث الكيميائي والفيزيائي الناجم عن التطور الصناعي ، وعن الحاجات المتزايدة للطاقة ، واستعمال الكيميائيات في الأغراض المنزلية والزراعية وغير ذلك من الأنشطة .

(٦) وتستحق الآثار الصحية للتعرض الطويل الأجل بمستوٍ منخفض لملوثات البيئة عناية خاصة ، وينبغي وضع برامج لاختبار السمية المزمنة لكل الكيميائيات الجديدة ، بما في ذلك التشوه الخلقي وتولد السرطان والتحول الخلقي وذلك قبل عرضها في الأسواق .

(٧) وينبغي أن تعجل منظمة الصحة العالمية بإعداد وثائق المعايير التي ينبغي أن تكون متاحة بأسرع ما يمكن لكل المؤسسات والهيئات الوطنية المختصة ، وينبغي تقديم المساعدة في تطبيق تلك الوثائق في البرامج الوطنية لمكافحة تلوث البيئة .

(٨) لمنظمة الصحة العالمية دور هام في وضع وتنسيق وتعزيز برامج لرصد ومراقبة الملوثات وآثارها المحتملة ، مع التاكيد على الأولويات الصحية ، ويلزم الاهتمام بوضع طرق للقياس تكون متماثلة ومقبولة ، وبرامج مشتركة بين المختبرات لمراقبة نوعية البيانات .

(٩) وينبغي أن تواصل منظمة الصحة العالمية تقديم المساعدة الفنية لتدعيم البرامج الوطنية لمكافحة تلوث البيئة ، ولا سيما بالنسبة للمشورة العلمية والفنية في المسائل المتعلقة بمكافحة التلوث ، وتطوير برامج التدريب ، وتشجيع البحوث والمساعدة فيها . وفي المراحل الأولى لتطوير البرامج التنظيمية ، ينبغي تشجيع استخدام آلات القياس الروتيني الرخيصة الثمن والبسيطة والمواد المحلية .

(١٠) ولمنظمة الصحة العالمية أيضاً دور في جمع المعلومات العلمية والتكنولوجية عن تلوث البيئة وفي نشر هذه المعلومات بين المؤسسات الوطنية . **وفي هذا المجال هناك حاجة إلى إرشادات توجيهية بشأن مكونات البرامج والعوائق ، والتقنيات اللازمة لتخطيط البرامج الموجهة صحياً لمكافحة تلوث البيئة ، وإعداد الخطط التنفيذية ، والتثقيف الصحي والاعلام الجماهيري فيما يتصل بشؤون تلوث البيئة** ، ومقارنة الأخطار والفوائد ، والتكلفة والفائدة ، والتقييم ، والنقل الدولي للمواد السامة ، وغير ذلك من المشاكل الفنية .

(١١) إن التقييم العلمي من قبل مجموعات دولية من الخبراء للمعلومات المتوفرة عن تلوث البيئة يمكن أن يساعد على وضع مشاكل التلوث في إطارها الصحيح ، وتجنب ردود فعل مغالى فيها من الجمهور ، ويساعد في الوقت نفسه على توعية الجمهور حول مشاكل تلوث البيئة الراهنة .

(١٢) ولدى إعداد البرامج الواردة في التوصيات ٧ ـ ١١ ، ينبغي الاستخدام الأمثل للمعلومات الملائمة التي توفرت في إطار برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، والوكالات المتخصصة ، والوكالة الدولية للطاقة الذرية ، والمنظمات الأخرى الدولية الحكومية أو غير الحكومية ، وينبغي أن يستمر التعاون الحالي بين هذه الوكالات وأن يزداد التنسيق بينها قوة .

على نهر التاجة بين الخواطر والأطلال

□□ هاهي الاندلس .. يا ابن فلسطين .. فانظر ما جنته الأهواء على المسلمين ! واحسرتاه ! اطلال من أسماء عربية شوهتها لُكْنَةُ الفلاحين البرتغالية .. ومخايل من وجوه وازياء كانت ذات يوم إسلامية .. يقولون لك كل ما ابتدىء من اسماء المواقع بحرفي « الـ » فهو عربي الأصل ، وذلك ممكن المتابعة في الأعلام سواء اكانت لاسر أو مدن ، كما بقيت أسماء خالية من التحلية بأداة التعريف ولكنها عربية الحروف أعيت على التبديل والتحريف □□

بقلم : أحمد العناني

ولكني اشم في الجو عَبَق آخر ، وأسمع في هينمات الغصون ، وترانيم الينابيع أصواتاً أخرى .. وأرى من خَلَل الدموع أشباح طارق والدَّاخل والنَّاصر .... الله الله .. يا ابن فلسطين .. ههنا أموات كأمواتك نشرت عنهم الأكفان ، ونالهم من الأبناء الخذلان .. وطواهم في الأرض التي عاشوا حُلْوَها ومرَّها أمر الواحد الديَّان ...

واهاً لك نهر التاجة .. أما من حديث يفك من اسرارك طلاسم هذه الأشباح التي تهيجها في خيالي ، وتحيلها جراحاً في صدري ، واختناقاً في لهاتي ، وتمتمات طفل جارَ عليه أبوه في يوم عيد ، فما له من شان غير حزن ينهنهه في زاوية قصيَّة ..

ويحك يا نهر التاجة .. إني أرى حقاً أشباحاً مطلسمة شهدتها أنت ذات يوم حقائق ماثلة ..

الم تكن هكذا تهرول في خريف عام سبعمائة واثنين وثلاثين كما تهرول في مجراك الآن امام عيني في هذا الخريف من عام الف وتسعمائة وواحد وثمانين .. مذعورة سطوحك من هبوب الرياح ، منزعجة من ملامسات الغصون كلما غنَّت لريح الغرب المهتاجة فتدلت تعانق أمواجك المضطربة ..

الم تسمع في ذلك العام بما جرى في شريش ؟ الم تر سحائب الدخان من سفن طارق ؟ الم يمرّ بك فلول مائة ألف فارس من القوط ودارع ، منهزمين من فتى الجهاد الأسمر وسيوف قصيرة مع عشرة آلاف من البهاليل .. حرقوا السفن وجاؤوا يلتمسون الموت صادقين ، ففتنت لهم الحياة ، وأصغت الدنيا مذهولة بجبروت الحق في عهده الجديد !!

اليوم يا نهر التَّاجة امرُّ بك مشرداً من فلسطين ، كما تشرد بالأمس من حولك الملايين ...

كان ما حولك من حضارتنا فرع الشجرة فلما انقصف كابَرَتْ قرابة خمسمائة سنة ، ثم سرى الجفاف فيها حتى أوشك يهدد الجذور ، وها نحن طلائع المنقهرين من تلك الجذور .. فآهاً والف آهٍ لابن فلسطين .. تساوى حاضره بغابر الأندلسيين !

تعال حدثني يا نهر التَّاجة عن صروف الايام ومواعظ السنين .

ايها الشاهد المحايد الذي شهد الأفراح والاتراح معتصماً بعزلته في مجراه الأمين ..

حدثني فقد وصل إلى العظم السكين .. الم يبق غير مثوى الرسول والحرم الأمين .. قل لي متى تعود .. فتورق جذور هذا الدين ؟

أظلمت الدنيا بهجران القرآن ، فهل يزول من الوجود اليقين ؟

وماذا يحلّ إذا غاب الاسلام بالمستضعفين ؟

إلى ماذا ينتهي الحال بالحيارى في الأرض والمظاليم المروعين ؟

تعال ويحك .. انطق .. بُحْ .. تكلم .. اهمس في اذني .. أوِّح لي .. ارحم لهفتي .. ارأف بي وبتشردي .. حدثني وقل لي ..

وهاج فوق الأرض ريح قاصف ، واغبرَّ الأفق .. وتحركت فوق الجبال دكناء كلون الرصاص المصهور .. وأربد وجه النهر واصطفق فوقه موج كالتلال يرغي ويزبد .. وخيل إلي أو لعلِّي رايت منادياً أسمعه بعد لأي من شدة الرياح العاصفة ..

« يا ابن فلسطين .. ما الذي جاء بالعرب المتفرقين .. المحاويج المساكين فاحلَّهم موطن الاسراء في القدس ، وجنة الدنيا في الغوطة وواحة النيل في مصر ، ووطن الفينيقيين في قرطاجة ، وارض البربر البهاليل المساعير في جبال اطلس .. ثم حملهم على المضيق إلى حدائق الاندلس ؟ » .

الم يكن هو الاسلام ؟ أحصل نظير ذلك في التاريخ ؟

الم تكن تلك قدرة الله ما شابهتها في الأرض قدرة ؟!

اليس بالاسلام وصلتم ، وبرسالته تلك التي حملتم ؟

الم تكن القارب الذي به خضتم عباب البحور فاستعصى برحمة الله على الغرق !!

آلله رمى إذ رميتم فأصاب ام انتم رميتم ؟

اليس بالقرآن وسنة نبيِّ الاسلام حكمتم فعدلتم ، وامرتم ونهيتم ..

الم يَلْغُ لسانه العربي السنة شعوب عريقة فاصبحت تتباهى الأمم بلغتكم .. انتم حققتم تلك المعجزات ام شريعة الله حققتها لكم ؟ .

● تعميد مسلمي غرناطة وإجبارهم على اعتناق النصرانية ، (صورة من كاتدرائية غرناطة) ●

ثم استمالكم السلب ، وآثرتم على رضى الله الغنائم ، فتوقفتم واضطربتم ثم تخالفتم فتنافرتم ، وعدتم إلى عصبية رعناء تفاخر بالآباء دون التقوى وتصطبيها الأهواء وحب الدنيا .. وإذا ما دخلت الدنيا إلى القلوب طارت عن أشجارها طيور الهداية ..

فها انتم أولئك عدتم بعضكم يضرب رقاب بعض ، فتلك قيس وهذه يمن وهذا عدناني لا يزكو ثمره عند قحطاني ..

الم تكن تلك ردة عن الله أمهلت وطال إمهالها ولكنها لم تهمل ؟

آه يا نهر التاجة كم ربع عمرناه بالحق ، وقنديل اضأناه للهدى ..

كم علم رفعنا لواه فهنا .. كم سيف شهرناه ، وكم ضيف أقريناه .

وكم عمَّرنا وكم شدنا .. كم وادٍ سالت اباطحه باعناق خيولنا .

كم سامر أحييناه ، والنسيم رخيٌّ والروض معطار بحالي شعرنا .

كم ماجدٍ من ملوكنا ، يغضب فتهتز على الرؤوس التيجان من رهبتنا .

كم عالم سعيتم له فما كتم علماً ، ولا ردَّ عن نبع هديه أحداً .

اتذكر يا نهر جارتكَ الحسناء قرطبة ؟ اتذكرهم هناك مليونين في زمان لم تكن به حافلة ولا طائرة ..

ولكنهم يحيون أجمل حياة وأكملها .. الماء يصل إلى كل بيت في شبكة تمر بقناطر مرفوعة ثم تهوي إلى كل منزل ، والجامعة قائمة فلينقطع الشباب للعلم ، وليسع المتفتحون من فرنسا وغيرها إليها عسى أن يخرجوا من بربرية جاهلية يعيشونها .

والحمراء حالية زاهرة تضم بين حناياها أعاجيب الدنيا ، تبهر الأنظار بالأبهاء المرمرة ، وتبعث النعاس من خرير سباعها المقعية النفاثة .. وابن زيدون يجيل نظر الحزين على الوادي الكبير عبثاً يساهر عُصَبَ النجوم يستقرئها أخبار ولَّادة ، فإذا أعيا الجواب وخان الصبر وعربد الغضب استحال ذلك انيناً شعرياً ، إهابه من البللور ، ونسجه أرق من نسج الحرير ، يناجي خيبة العاشقين إلى نهاية الدهور .

آه يا نهر التاجة .. حدثني عن خيل المعتمد ..

الم تكن من ناحيتك الأخرى .. هناك في اشبيلية .. تصهل اختيالاً باعراس الرميكيه ، .. وكان لها قبل ان تشقى حافية على اديم الصحراء في اغمات قصور هنا على ضفافك ودور ..

ثم عصفت رياح القدرة فاصبح لحن العز ، لحن الجنازة .

والوت بالقصور ريح الصبا والدّبور .. فصارت للغربان مسرحاً ومراحاً .

الله .. الله ! أي شيء هذه البحور الخضراء حيث لا سبيل لشعاع واحد من الشمس فوق الدرب الظليلة التي تنطلق فوقها سيارتنا إلى كوينبرة حيث توجد اقدم جامعات البرتغال .

لا أدري إن كان « شعب بوّان » الذي اطلق لسان المتنبي بواحدة من أروع قصائد الوصف العربية هو دون هذه الجنة المسحورة أم يضارعها ؟

ونصل على الطريق إلى ما يسمونه بـ « القبيسة » أو لعلها « الكبيسة » كنيسة هائلة في فسحة من الأرض مستخلصة من أيدي الغابة المحيطة بالمكان .. وجنَّات من الأعناب والتين والزيتون ، ناهيك عن شجر البلوط والفلّين وغيرها ..

يا للحسرة .. واضح لكل ذي عينين أن المكان عاش كمسجد كبير قبل أن يتحول إلى ما هو عليه الآن ..

ومن قبل ما لاحظت مظاهر عديدة في البلد حملتني على يقين مطلق بأن البلدة كانت بكاملها من المسلمين اضطروا للموادعة والبقاء في بلدهم إلى التخلي عن دينهم أمام مجتمع برتغالي في أقصى درجات التعصب .

وكان يوماً بكى فيه القلب .. ولأول مرَّة احسست اني محظوظ أن لا أكون قد رايت قصور الزهراء او موقع غرناطة فإن القليل من تلك المشاهد يحطم القلب .. فكيف بالكثير الكثير ..

لماذا ١

رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي ؟

معجبون كثيرون :

□□ للمستشرقين كثير من المعجبين ، حتى من أصحاب الفكر الإسلامي الأصيل ، فضلاً عن تلامذتهم (المستغربين) وما أكثرهم !

فتجد (المستغربين) يثنون الثناء كله ، على كل ما يصدر عن أساتذتهم ، ويعتنقون فكرهم ، ويدينون برأيهم ، ويدفعون عنهم ، ويهتدون بهديهم ، وينسجون على منوالهم .

وتجد أصحاب الفكر الإسلامي ، وذوي الرأي ، لا يخطف أبصارهم بريق أعمال المستشرقين وأبحاثهم ، ويعرفون كيف يقفون من آرائهم موقف الناقد البصير .. ولكن !!

ولكن تجد منهم إعجاباً وثناءً وتقديراً لجهودهم ، ورأيهم ، ودقتهم في أبحاثهم ، واستقصائهم للمصادر والمراجع ، والأخبار والروايات ... إلى آخر هذه الصفات التي يتظاهر بها المستشرقون □□

السبب في ذلك :

والسبب في ذلك هو : ضعفنا نحن لا قوَّتهم ، ذلك أن الاتصال بالمصادر الأولى لثقافتنا وعلومنا ، في كتب أئمتنا وسلفنا أصبح أمراً عسيراً ، حيث قُطعنا عنهم أسلوباً ، ولغة ، وفكراً ، فصارت التلمذة لهم أمراً صعباً .

على حين عكف المستشرقون ، على هذه المصادر ، واتصلوا بها ، وراحوا يأخذون منها ما يريدون ، ويوجهونها كيف يشاؤون.

فرأيناهم صبروا على ما لم نصبر عليه ، وأطاقوا ما لم نطقه ، وارتادوا ما لم نرتده ، واستَقوا حيث قصر منا الرِّشا ، فظننا بهم خيراً [وهذا والحمد لله من طبيعتنا] لاسيما وهم يخرجون علينا في طيلسان (الأكاديمية) وتحت شارة الجامعة .

منهج جد خطير :

وفي غمرة الإعجاب ، بقدرة المستشرقين على البحث ودقتهم ، ومنهجيتهم ، صار كثيرون يكتفون بالرجوع إلى كتبهم مستغنين بها

هكذا تكون

بقلم : د. عبد العظيم الديب

عن المصادر الأصيلة ، ومع ما في هذا من خطأ ، إلاَّ أنه محتمل ما دام ينسب القول إلى المستشرق بدقة وأمانة ، وإن كان خطره لا حدَّ له في إشاعة الخطأ والبناء عليه .

ولكن الخطر الأكبر الذي يصل إلى حدّ الجريمة في حق المنهج العلمي والعلم ، هو أن يأخذ عن المصادر القديمة بواسطة المستشرقين ، ومع أن أوَّليات الأمانة ، وأبجديات المنهج ترفض ذلك ، إلاَّ أنه للأسف يحدث !! ويعتمد بعضهم على ذكائه ومهارته في صياغة العبارة بحيث يوهم القارىء أنه رجع إلى الطبري أو ابن الأثير مثلاً ـ مجرد إيهام ـ وتكون العبارة صالحة لأن يراد بها ذلك ، أو أنه نقل ذلك عن فلان .

ليســـــوا ثقـــة :

والمستشرقون ـ في كثير من الأحيان ـ ليسوا ثقات ، لأكثر من سبب مثل :

١ ـ العجز عن فهم النص ، فهم مهما برعوا في اللغة ، لا يستطيعون أن يمتلكوا ذوقها وحسّها ، ويحيطوا بمجازها وتطور مدلولاتها .

٢ ـ عدم الإحاطة بالنصوص الواردة في القضية الواحدة ، في أماكن مختلفة ، فمع أنهم يدَّعون أن هذا من منهجهم ، إلا أنهم تعوزهم القدرة على ذلك ، خاصة حين يرد النص تبعاً أو استطراداً ، أو بصيغة مجازية بعيدة مثلاً .

٣ ـ الخطأ في التفسير والتحليل ، وهذا غير العجز عن الفهم ، لأن التفسير يحتاج إلى عدة عوامل ، فهمُ النص واحد منها ، فيحتاج مثلاً إلى معرفة بالقضية التي ورد فيها النص ، وتطوّرها ، وصلتها بغيرها . . . إلخ .

٤ ـ في بعض (الأحيان) يكون هناك سوء نية ، ومحاولة خدمة أغراض تنصيرية واستعمارية ، فيبدأ من أول الأمر (بالإدانة) ، فيبحث عن النصوص التي يمزقها ، ويلفقها ، ويلوي أعناقها ، ويقلبها ، حتى تثبت ما يريد ، وهكذا . . .

واحــدة من سقطاتهم :

يعتبر (فان فلوتن) أحد المستشرقين المعنين بالتاريخ الإسلامي ، خاصة فترة الأمويين والعباسيين ، وتستطيع أن تجد اسمه يتردد في كثير من الكتب الجامعية ، وهو يغريهم بما ينسبه إلى الطبري ونحوه ، ويعزوه إلى المصادر الأصيلة ، فيخيل إلى الدارس أو الباحث أنه أتى بطلبته من منبعها ، وهذه صفحة من كتابه تبين كيف يخون المنهج ، ويعتدي على النص !!

« السـيطرة العربيـــة » :

(لفلوتن) كتاب بهذا العنوان ، ترجم مرتين إلى اللغة العربية ، مرة سنة ١٩٣٤م ، والثانية سنة ١٩٨٠م ، وعلى ما في الكتاب من سموم خبيثة سنكتفي بعرض صفحة واحدة منه ، ثم نرى ما وراءها من أخطاء وأخطار .

الهــدف من الفتـــوح :

بإيجاز شديد ، وعبارة مركزة ، يسوق المؤلف رأيه في الفتوح الإسلامية ، وأثرها في المجتمع ، مؤكداً أنها كانت بالدرجة الأولى من أجل الغنائم ، فأدت إلى ثراء فاحش ، فأفسدت المجتمع وأترفته ، وأغرت المسلمين بالمزيد من الفتوح ، للمزيد من الغنائم ، والجزية ، وهذه عباراته بنصها تقريباً :

« ... إن الأنانية ، وكذلك الجشع ، سرعان ما استأثرا بالقلوب بعد وقت قريب ، وغمر رجال الصحراء ترف غير عادي ، انصب عليهم من كل ناحية ، مما كان له أثره في إفساد النفوس أكثر من تهذيبها .

ولقد أصابت الأسر المرموقة في الكوفة ثراءً فاحشاً ، كان مصدره (الغنائم) والأعطيات السنوية (المخصصات) ، ولقد فرضت حالة الترف المتصاعدة هذه تغطية دائمة لمواجهة متطلبات جديدة ، واللجوء إلى الاستدانة كطريقة فذة من أجل إشباع رغباتهم ، فمهد ذلك السبيلَ إلى مؤامرات ، على غرار ما حدث في روما ، حيث باتت الثورة ضرورية ، مع اللجوء إلى إرضاء المرابين ، واتخاذ الاضطرابات ذريعة للاستيلاء على بيت المال ونهبه .

على أن طريقة أكثر سهولة وشرفاً من ذلك ، هي الجزية والحملات العسكرية ضد الكفار ، وغالباً ما كانت تأتي هذه الأخيرة تلبية لرغبات القادة ...

... ولكن غالباً ما كانت عائدات الغنائم (باستثناء الخُمس المخصص لبيت المال) سبباً في غزوات لم يكن لها ما يسوّغها في بعض الأحيان .

دراسات المستشرقين !!

هكذا تكون دراسات المستشرقين !!

وما يسمى بفتوحات يزيد بن المهلب لم تكن في الحقيقة سوى حملات من الإرهاب او قطع الطرق ضد شعوب لا تبغي سوى السلام » (ص٦٧ ، ٦٨) .

ولا يعنيني هنا هذا التهجم الذي ليس في حقيقته إلَّا سباً وشتمًا ، وإنما يعنيني ما أسنده إلى المراجع ، خاصة الطبري ، ففيه لَيٌّ لأعناق النصوص ، واستكراه غريب في فهمها وتفسيرها .

ويكفي مثالًا لذلك قوله : « **إن حالة الترف المتصاعدة ألجأت إلى الاستدانة كطريقة فذّة من أجل إشباع رغباتهم** » ثم يسند ذلك إلى الطبري : ٢٨١١/١ ، وتراجع الصفحة التي أشار إليها ، فلا تجد فيها خبراً عن استدانة سعد بن أبي وقاص من بيت المال بالكوفة ، وكان خازن بيت المال عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنهما ، وكان سعد والي الكوفة ، فاستقضى عبد الله بن مسعود سعداً ، واستمهله سعد فلم يقبل ، وكان بينهما تلاوم ، وصل إلى عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً ، فلامهما معاً ، على ما كان بينهما من تلاوم ، وعزل سعداً .

هذا ما ذكره الطبري في هذا الموضع ، فكيف يفهم منه أي قارىء ، بل باحث ضليع ، يقتعد مقعد الأستاذية ؟!! كيف يفهم من هذه القصة أن الاستدانة قد صارت ظاهرة في المجتمع ؟!! وأنها أصبحت وسيلة لإشباع الترف الذي شاع فيه ؟ كيف يفهم هذا ؟ وبأي منطق يقال هذا ؟ وأي ترف كان في مجتمع الكوفة سنة ٢٦هـ !!!

ثم لو نظر إلى هذه الحادثة بعين مجردة ، ودون تعمق ولا (منهج بحث) ولا ، ولا . . . ألا يجد فيها فخراً للإسلام والمسلمين ؟ ، ألا يرى كيف لم يستطع الحاكم (والي الكوفة) أن ينال من مال الجماعة إلَّا قرضاً ؟ ثم كيف كانت أمانة خازن بيت المال الذي لم يسعه السكوت عن (الوالي) واصطناع يدٍ عنده ، بالتأجيل فقط (لا بالتنازل) ؟ ثم ألا يرى تلك الحرية التي وسعت موظفاً (صرافاً) أن يلاحي الأمير ويعنف عليه ؟؟

ثم ألا يتبادر إلى الذهن أن الحاجة والفاقة هي التي ألجأت سعداً إلى الاستدانة ؟ وهذا هو الواقع !! ففيم كان يستدين سعد في ذلك الوقت ؟؟ وفي أي مجالٍ كان ينفق في ذلك الحين ، وقد كانوا يعيشون عيش الكفاف !

ثم لو مدَّ بصره قليلاً ، لقرأ في الأسطر التالية بقية القصة ، وكيف أن سعداً رفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم رب السموات والأرض . . . فقاطعه عبد الله بن مسعود ، قائلاً : ويلك !! قل خيراً ولا تلعن .

وخاف أن يدعو سعد عليه ، فقال سعد عند ذلك : **أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك !!! كلمات تقطر تقوى ، وتندى بالحب والإخاء ، ومواقف تنطق بالطهارة والتعفف والتنزه .**

ولو قرأ بقية الصفحة لوجد أن الأمير الذي تولى بعد سعد على الكوفة ، مكث خمس سنين وليس على داره باب .

فأي ترف ؟ وأي استدانة ؟ . . .

وهو يسند كل جملة تقريباً من كلامه ، ويضيفها إلى مرجع من المراجع الأمهات ، ولكن بهذه الطريقة نفسها ، وأنكى .

وإذا قال قائل : لا تعجل ، ولا تسرف على الرجل باللوم ، فإن أمر تفسير النصوص ، والاستنتاج منها فسيح المجال ، ولا حرج على الرجل إذا أخطأ ، أو اشتط !! فالخطأ حق من حقوق الإنسان .

مع أن هذا اعتذار غير مقبول ، إلا أنني أقدم أنموذجاً آخر ، من الصفحة نفسها فيه ما لا يمكن الاعتذار عنه .

مثال آخر :

قال : « ولعل ما حدث في سمرقند يعتبر مثلاً صارخاً لهذا النوع من (الفتوح) [يقصد فتوح السلب والنهب من أجل الترف الذي وقعوا فيه] ، فقد استسلمت هذه المدينة على إثر معاهدة أبرمتها مع سعيد بن عثمان ، مقابل دفع سبعمائة ألف درهم ، وتقديم ألف من سكانها رهائن .

ثم استولى عليها قتيبة بن مسلم في وقت لاحق (حسب الرواية العربية) [كذا] وطرد أهلها ، واحتل جنوده منازلها ، رغم التزامهم بالمعاهدة المبرمة مع القائد السابق » ا.هـ بنص حروفه من ص٦٨ .

والحق لقد فزعت حين قرأت هذا الكلام ، لا من حدوث مثل هذه الشناعة من القادة المسلمين ، فمعرفتي بتاريخ أمتي ، والروح الذي سادته ، يجعل ذلك لا يخطر لي ببال ، ولكن فزعي من أن يصل الأمر في الاجتراء والافتراء إلى حد أن ينسب هذا إلى جيش المسلمين ، « **ويضرب مثالاً صارخاً للفتوح ، التي لا باعث لها إلا السلب والنهب** » .

والرجل كعادته يسند ظهره إلى المصادر والمراجع ، وقد اختار شيخ المؤرخين الطبري لينسب إليه هذا الكلام .

فلننظر ماذا في الطبري ؟ وماذا في هذا الكلام من افتراء ؟ :

(أ) أضاف قوله : **إن سمرقند استسلمت لسعيد بن عثمان إلى الجزء الثاني ص١٢٤٥ ، ١٢٤٦ .**

وليس في هاتين الصفحتين خبر عن سعيد بن عثمان ، وإنما فيهما خبر عن فتح قتيبة لسمرقند ، والذي سيأتي ذكره ، وبينه وبين فتح سعيد بن عثمان لها نحو سبع وثلاثين سنة ، وذلك وارد في الجزء الثاني ص١٧٨ ، ١٧٩ .

ونترك هذه دون تعليق !!!

(ب) ذكر أن سعيد بن عثمان عاهد أهل سمرقند على دفع سبعمائة ألف درهم ، وتقديم ألف من سكانها رهائن ، وأسند ذلك أيضاً إلى الطبري ، الموضع السابق نفسه الذي وهم فيه .

والذي في الطبري بنصه « **خرج إليهم سعيد بن عثمان ، وناهضه الصُغْد [أهل سمرقند] فقاتلهم ، فهزمهم ، وحصرهم في مدينتهم ، فصالحوه ، وأعطوه رهناً منهم خمسين غلاماً يكونون في يده من أبناء عظمائهم** » ا.هـ بنصه

فليس فيه ذكر لمبالغ من المال أصلاً ، لا سبعمائة ألف ، ولا سبعة آلاف .

وأما الرهائن فهم خمسون ، فكيف صارت ألفاً ؟؟

هكذا خطأ في العزو ، لا أدري له سراً ! ، ثم تحريف في الأرقام والأعداد !! ، أليس الفتح لنهب الأموال وقطع الطرق ؟ فإذا لم تذكر المصادر أنه أخذ مالاً ، فليتبرع هو بالمال للجنود (المترفين الذين هم في حاجة إلى المال) وأما الرهائن فلست أدري الهدف من زيادة عددهم ، من خمسين إلى ألف !!!

(جـ) ذكر أن قتيبة بن مسلم استولى على سمرقند في وقت لاحق ، وطرد أهلها ، واحتل جنودُه منازلها ، رغم التزامهم بالمعاهدة المبرمة مع القائد السابق ، وأضاف ذلك إلى الطبري وغيره من المصادر ، وسماها (الرواية العربية) .

ونجد هذا في الطبري ، في الموضع الذي عزا إليه خبر فتح سعيد بن عثمان .. فلعل هذا سبق قلم !! ولكن يبقى أن نسأل :

من أين أتى بأن أهل سمرقند كانوا ملتزمين بالمعاهدة التي أبرموها مع سعيد بن عثمان ؟؟

وسأذكر هنا نص الطبري بحروفه ، وليس لي فيه إلا الاختصار فقط :

● جاء في جـ٢ ص١٢٤٢ « ... وخطب قتيبةُ الناس فقال : إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقتٍ الغزوُ فيه ممكن ، وهذه السُّغْد شاغرة برِجلها [السغد أهل سمرقند ، وينسب إليهم الإقليم الذي عاصمته سمرقند] قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ، منعونا ما كنّا صالحنا عليه (طَرْخون) [اسم قائدهم حاكم سمرقند] ، وصنعوا به ما بلغكم ، وقال الله تعالى : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ... ﴾ ، فسيروا على بركة الله ، فإني أرجو أن يكون خوارزم ، والسُّغْد ، كالنضير وبني قريظة ، وقال الله تعالى :

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ .

ويلاحـظ :

١ - أن النص على نقض العهد من أهل سمرقند ، واضح صريح ، لا يحتمل أي تأويل .

٢ - يفهم أنهم غدروا بقائدهم (طَرْخون) ، لأنه لم يوافقهم على نقض العهد .

٣ - تشيع في الخطبة كلها روح الجهاد ، واللجوء إلى الله ، والالتزام بآداب الجهاد في الإسلام ، وليس فيها روح (الجري وراء الغنائم ، ولا قطع الطريق) .

● وفي صفحة ١٢٤٩ من الجزء الثاني :

« ... فقال قتيبة [لقواده بعد المعركة] : جزاكم الله عن الدين والأعراض خيراً ... وطلب أهل سمرقند الصلح ، وعرضوا الفدية ، فأبى وقال : أنا ثائر بدم (طَرْخون) ، كان مولاي ، وكان من أهل ذمتي » .

● وفي الصفحة نفسها جاء في وصف المعركة ، واستماتة أهل سمرقند في الدفاع عنها :

« أطال قتيبة المقام ، وثلمت الثلمة في سمرقند [أي في سور المدينة] ، فنادى منادٍ فصيحٍ بالعربية يشتم قتيبة .... فمكثنا طويلاً ، وهو مُلح بالشتم ... وسُمع قتيبة يقول ، كالمناجي لنفسه : حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان ؟؟ » .

● وفي الصفحة ١٢٥٠ من الجزء نفسه :

« ودخلوا سمرقند ، فصالحوهم ، وصنع (غوزك) [ملك سمرقند] طعاماً ، ودعا قتيبة ، فأتاه في عدد من أصحابه ، فلما تغدىٰ استوهب منه سمرقند ، فقال للملك : انتقل عنها ، فانتقل عنها ، وتلا قتيبة :

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ، وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴾ .

ونستطيع عند النظر إلى هذه النصوص ، أن نرى ما يلي :

١ - وضوح الهدف الذي يقاتل من أجله المسلمون ، الدين والأعراض ، كما جاء في دعاء قتيبة لرجاله ، وثنائه عليهم .

٢ - الوفاء بالعهد - لا الغدر به - فيرى أن في قتاله أهل سمرقند ثأراً لحاكمها السابق (طَرْخون) الذي قتلوه ، فهو يقول : « أنا ثائر بدم طَرْخُون . كان مولاي ، وكان من أهل ذمتي » .

٣ - إن سمرقند قد أكثرت الشقاق ، والعناد ، والغدر ، وهذا واضح من مناجاة قتيبة لنفسه قائلاً : « حتى متى يعشش فيك الشيطان يا سمرقند ؟؟ » .

٤ - سماحة قتيبة والمسلمين ، وحفاظهم على العهد ، فمع ضراوة المعارك واستنفار (غوزك) حاكم سمرقند للأقاليم المجاورة ، واشتداده على المسلمين ، كما هو واضح تمام الوضوح في الطبري ، مع هذا نجد المسلمين يقبلون دعوة (غوزك) على الغداء ، بعد أن أمنوه على نفسه ، وكل من معه ، لدرجة أنه طمع في أن يسلّموا له المدينة ثانية ، لما رآه من حلمهم وحسن معاملتهم ، فلما استوهبها من قتيبة ، رفض وأمره بالانتقال عنها ، حتى لا تتكرر مأساة الغدر والقتال ، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

بم نسمي هذا ؟!

والآن هذه نصوص الطبري ، بوضوحها وصراحتها ، وهذا ما يمكن أن نراه منها ، فكيف تعامى عنها (فلوتن) ؟ وكيف رأى منها أن قتيبة ، طرد أهلها منها ، واحتل جنوده منازلها ، رغم التزامهم بالمعاهدة المبرمة مع القائد السابق ؟

بم نسمي هذا ؟؟ .. لا أدري ، ولكن فقط أضعه أنموذجاً لسوء عمل هؤلاء ، وعدوانهم على الحقيقة ، والعلم ، ليرى ذلك المخدوعون من أبنائنا ، وليرى ذلك الباحثون ، فيعلموا أن أقوال هؤلاء ودراساتهم في حاجة دائمة إلى التمحيص والتدقيق ، قبل أن نعتمد عليها ، ونتخذها مراجع ومصادر لكتاباتنا .

وأما تاريخ أمتنا ، فما أقسى ما تعرض له من تشويه وجَلْد ، وصلب ، ومن له برجال ينذرون أنفسهم لإعادة كتابته ؟ لا يضنون بوقت ولا جهد ، ولا ينتظرون جزاءً ولا شكوراً إلّا من الله سبحانه .

من عجائب المخلوقات

نعمة الاحساس بالألم

بقلم : توفيق يوسف القيسي

□□ لقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى على الإنسان بنعم لا تحصى ولا تعد ، في مقدمتها : أنه خَلَقَهُ فَأَحْسَنَ خَلْقَهُ ، وأنه وهبه العقل ليفكر في عظمة الخالق وفي بديع صنعه .

ولو تدبر الإنسان نفسه ، وتفكر في ذاته ، كيف يأكل ويشرب ، كيف يبصر ويسمع ، كيف يفهم ويتكلم ، كيف يعرف ويتعلم ، كيف يقوم بنشاطاته المختلفة ، ولو تعمق في الفكر واجتهد في البحث لوجد في كل واحدة من هذه آيات وآيات .

إنها آيات دائمة ، تستمر في الإنسان منذ مولده ، بل وقبل مولده وإلى مماته ، توضح له عظمة الباري عزَّ وجل .

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات : ٢٠-٢١) . □□

ومن بين هذه الآيات التي أنعم الله بها على الانسان : نعمة الإحساس ، وخاصة الإحساس بالألم .

إنها نعمة كبرى قد تكون خافية على الكثير منا .

تعال عزيزي القارىء نتعرف على قصة الطفلة الغريبة « أندروز » ، إن قصتها كفيلة بأن توضح لكل منا نعمة الإحساس بالألم .

الطفلة الغريبة :

هي « اليزابيث أندروز » ، طفلة انجليزية وديعة محبوبة لدى والديها ، وقد كانت سعيدة دوماً ، لم يحدث أن اشتكت من شيء أو بكت لأي سبب .

ولم تكن تبدي تأثراً من قسوة معاملة بعض صديقاتها لها أثناء اللعب ، حتى إن إحداهن كانت قد شدت شعرها إلى حد اقتلعت منه خصلة بكاملها دون أن تبدي « إليزابيث » أي تأثر من ذلك .

وقد كانت لا تخشى مطلقاً الجري حافية فوق صخور الشاطىء أو المشي على رماد النار الملتهب .

وبلغت السادسة من عمرها دون أن يتبين أهلها أنها لا تحس بالآلام ، وحدث أن عاد والدها ذات يوم ليجد ركبتها متورمة ، فأسرع بها إلى الطبيب الذي طمأنه من أن هذا التورم ليس سوى بداية أعراض إصابة بالروماتيزم ، ولا يحتاج لأكثر من معالجته بمرهم خاص لعدة أسابيع .

ولكن المرهم لم يجد نفعاً رغم تكرار استخدامه ، مما حدا بالأب إلى عرض ابنته على الطبيب ثانية .

وعند الفحص بالأشعة السينية تبين ان ذلك التورم في الركبة ليس نتيجة الإصابة بالروماتيزم ، وإنما نتيجة حادث عنيف ادى لكسر عظام الركبة ، وان شظايا العظام التحمت في غير مواضعها مما سبب ذلك التورم ودون ان تحس الطفلة باي الم .

ومن هذه الأحداث وغيرها تبين طبيب العائلة أن « اليزابيث » طفلة عادية في كل شيء إلَّا أن جسمها لا يشعر بالألم ، فقد كانت تتحمل الوخز بالإبر والضرب واللسع وغير ذلك دون الشعور بأي ألم .

وتأكد الطبيب أن « اليزابيث » ولدت وهي فاقدة للشعور بالألم ، ممثلة بذلك الحالة الحادية عشرة في

□ الاحساس بالألم نعمه كبرى قد تكون خافية على كثير منا ..

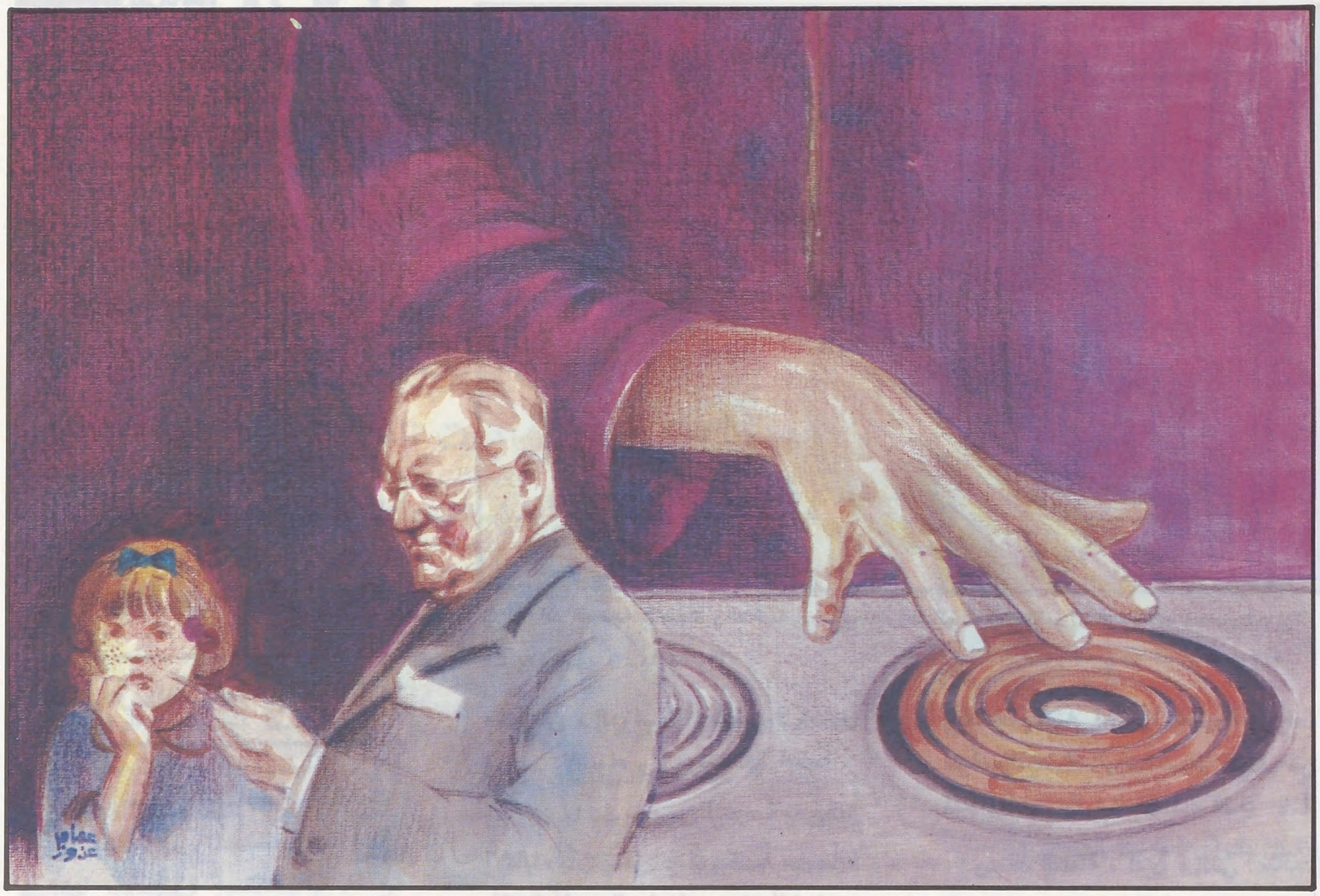

○ « إليزابيث اندروز » الطفلة التي لا تعرف الألم ○

بريطانيا والولايات المتحدة خلال خمسين عاماً.

ومثل هذه الحالة تحدث لكثير من الأطفال الذين يولدون وجهازهم العصبي غير مكتمل النمو ، ولكنهم يستعيدون إحساسهم الكامل مع تقدم العمر وحتى سن العاشرة بحد أقصى ، إذا لم يكن هناك أي تلف في جزء معين من المخ عندهم .

ذكريات الوالد :

ويذكر والدها كيف كانت وهي صغيرة تعضّ بقوة على لسانها حتى يلتهب جميعه دون أن تبدي اكتراثاً لذلك ، ولولا حرصهم على عرضها على الطبيب باستمرار لما كان للسانها أن يشفى أبداً .

ويذكر والدها أيضاً كيف كانت ابنته تضع أصابعها فوق القرص الحار للطباخ الكهربائي في المنزل ، ثم تنسل إلى الحديقة لتلعب وقد انتشرت فقاقيع الحرق على يديها دون أن تولي أي اهتمام لذلك .

والأطفال في مثل هذه الحالة معرضون لمخاطر لا تنتهي في كل دقيقة ، ومن أجل ذلك هم في حاجة لرعاية شاملة دائمة .

فقد عرف أن طفلاً في الشهر العاشر من عمره كان يتسلى بقضم أطراف أصابعه حتى تدمى ، بينما كان آخر يجد متعته في مضغ لسانه .

وما أكثر ما تعرضت « اليزابيث » للمخاطر في صغرها ، فذات مرة كسرت رجلها وهي تقفز مع أقرانها ، وعادت إلى البيت وكأن شيئاً لم يحدث سوى ما لاحظته من أن إحدى رجليها صارت أقصر قليلاً من الأخرى ، وكان على الطبيب أن يصلح ذلك بالطبع .

ولم يكن يمر يوم دون أن تعود « اليزابيث » إلى البيت وهي دامية الأصابع أو الأرجل ، رغم الحرص والمراعاة والتحذيرات لها من والديها .

وذات يوم وجدت نفسها لا تستطيع أن تتقلب على فراش النوم ، وتبين الطبيب أن عظم الفخذ الأيمن عندها قد تعرض لكسر خلال اللعب ، وقد مشت على رجليها عدة أيام دون أن تدري ، مما سبب تهتكاً في عضلات الفخذ أفقدها القدرة على التقلب على الفراش .

وهكذا استمرت حياتها عرضة للحوادث في كل لحظة .

ومع ذلك تعتبر « إليزابيث » محظوظة للغاية لأنها كبرت دون أن تصاب بأي مرض داخلي ، وهي أمراض لا يمكن الاستدلال عليها إلا بالألم ، كالتهاب الزائدة الدودية على سبيل المثال .

تشديد الرقابة :

وقد تعود الوالدان تشديد الحماية لابنتهما ، واستمرار مراقبة حرارة جسمها لأنها الشيء الوحيد الذي كانا يستدلان من خلاله على حالتها الصحية .

من عجائب المخلوقات

وما اكثر ما كانت حرارتها ترتفع إلى درجة الخطر ، وتعالج في الحال ، ولولا هذا الارتفاع لما كان من المستطاع الاهتداء إلى ما هي مصابة به .

ولأن لها وجهاً مصفراً ، شانه شان كل الفتيات ذوات الشعر الأحمر ، فلم يكن من السهل معرفة اثر الشحوب في وجهها ، والذي ينتج عادة عند الإصابة بكثير من الأمراض .

الفحوص الشاملة :

وفي سن الثامنة أدخلت « **إليزابيث** » إلى المستشفى لدراسة حالتها بأجهزة استكشاف المخ الحديثة ، وقد تبين أن المخ كامل عندها لا تلف في أي جزء منه .

وراح الأطباء يتعرفون على تفاصيل حياتها ، فعرفوا أنها كانت **تعالج دوماً دون تخدير ، حتى العمليات الجراحية التي اجريت لها لإصلاح ما كان يصيب عظامها من كسور وانسجتها من تهتك .**

وعرف الأطباء أن « **إليزابيث** » لم **تشعر بالصداع أبداً** طيلة عمرها ، أو تعرف ما هو الم الأسنان ، ولذا كانت أسنانها متآكلة ، وقد فعل السوس فيها أسوأ الأفعال .

وفي السادسة عشرة من عمرها كانت **قد فقدت كل اسنانها بامر الطبيب ، وبالطبع كان الخلع يتم بدون تخدير .**

وراح الأطباء يتفحصونها بالوخز بالإبر الصينية من اعلى الراس إلى أخمص القدمين دون ان تبدي شعوراً باي الم .

وقد تبين الأطباء امراً ادهشهم

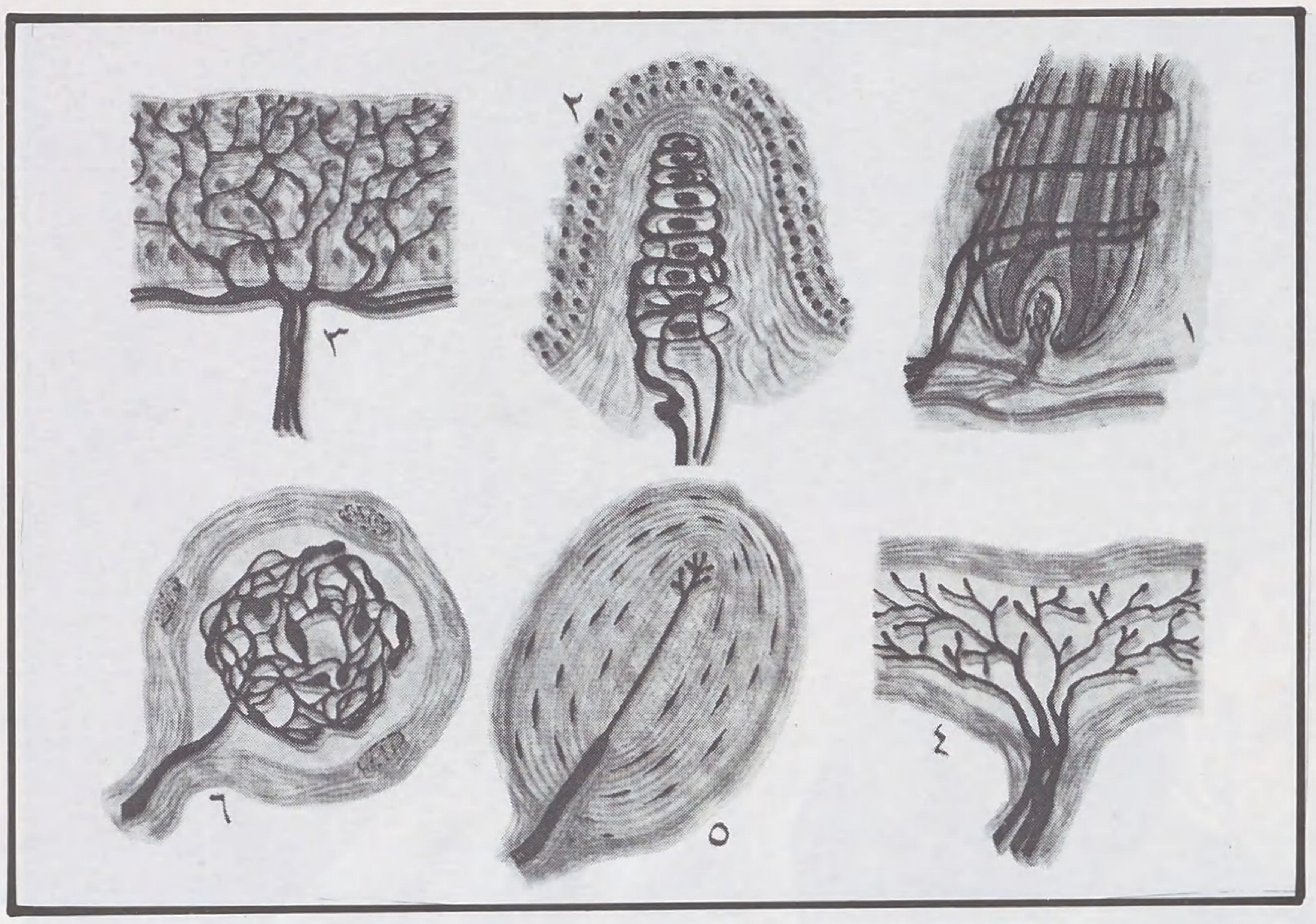

○ الزوائد الحسية في الجلد والخاصة : ١ ـ باللمس الدقيق ، ٢ ـ باللمس ، ٣ ـ بالالم ، ٤ ـ بالحرارة ، ٥ ـ بالضغط ، ٦ ـ بالبرد . ○

وهو ان « إليزابيث » كانت لا تحس بطعم الأشياء ولا برائحتها ايضاً .

وعندما تخرجت من المدرسة نصحها الأطباء بأن تعمل عملاً مكتبياً مريحاً ، ولكنها آثرت العمل في مصنع للخزف ، وقد راحت تعمل الساعات الطوال في تصنيع الآنية الخزفية دون أن **تلبس القفازات الخاصة بذلك والواقية من الحرارة كباقي العاملات .**

ولذا فقد كانت تذهب إلى البيت بعد انتهاء العمل وأصابعها محترقة أو دامية دون أن تكترث لذلك .

وتحت ضغط الأطباء تحولت إلى **سلك التمريض** ، وراحت من خلال هذا العمل تحافظ على نفسها ، وصارت تعرف الدرجة المناسبة لسخونة حمامها ، كما صارت تعرف وتقدر مدى ثقل الأشياء التي تحملها ، وحتى سخونة قرص الطباخ وبرودة قطع الثلج صارت قادرة على تمييزها .

حالات مماثلة :

وقد أفاد الأطباء في المستشفى الذي عولجت فيه «**اليزابيث**» أن حالتها ليست الوحيدة في المستشفى ، فهناك الطفل « **الفريد** » الذي ولد أيضاً فاقداً للشعور بالآلام ، وقد كان يتسلى بأن يضع يديه داخل الفرن ويرقب احتراقهما ، وإلى غير ذلك من المجازفات .

وهناك الطفلة « **الين** » التي اعتادت أن تعض ساعدها بعنف ، مرة الساعد الأيمن ، ومرة الساعد الأيسر ، حتى لم تبق بقعة فيهما لم تطلها العضات ، ولذا كانوا يعمدون في المستشفى إلى ربط يديها في سرير النوم كوسيلة لإنقاذها عندما تشعر بميلها لهذا الإجراء الغريب .

والمهم في كل ذلك أنها حالات **لا ترتبط بالوراثة ، ولا خوف في العائلة التي تنجب حالة من مثل هذه الحالات أن تتكرر لديها امثالها .**

وهي حالات نادرة ولكنها آية من **آيات الله سبحانه وتعالى** تضيء لنا الطريق إلى مزيد من معرفة القدرات الإلهية العجيبة التي أودعها جسمنا ، والتي هيأت لنا نعمة العيش بسلام .

ممرات الألم :

ومن بديع صنع الله وما أودعه فينا من كمال الخلق أن زود أجسامنا **بجهاز كامل للإحساس ، هو الجهاز العصبي** ، ذلك الجهاز الذي منه المخ وتوابعه ، والتي تسكن داخل

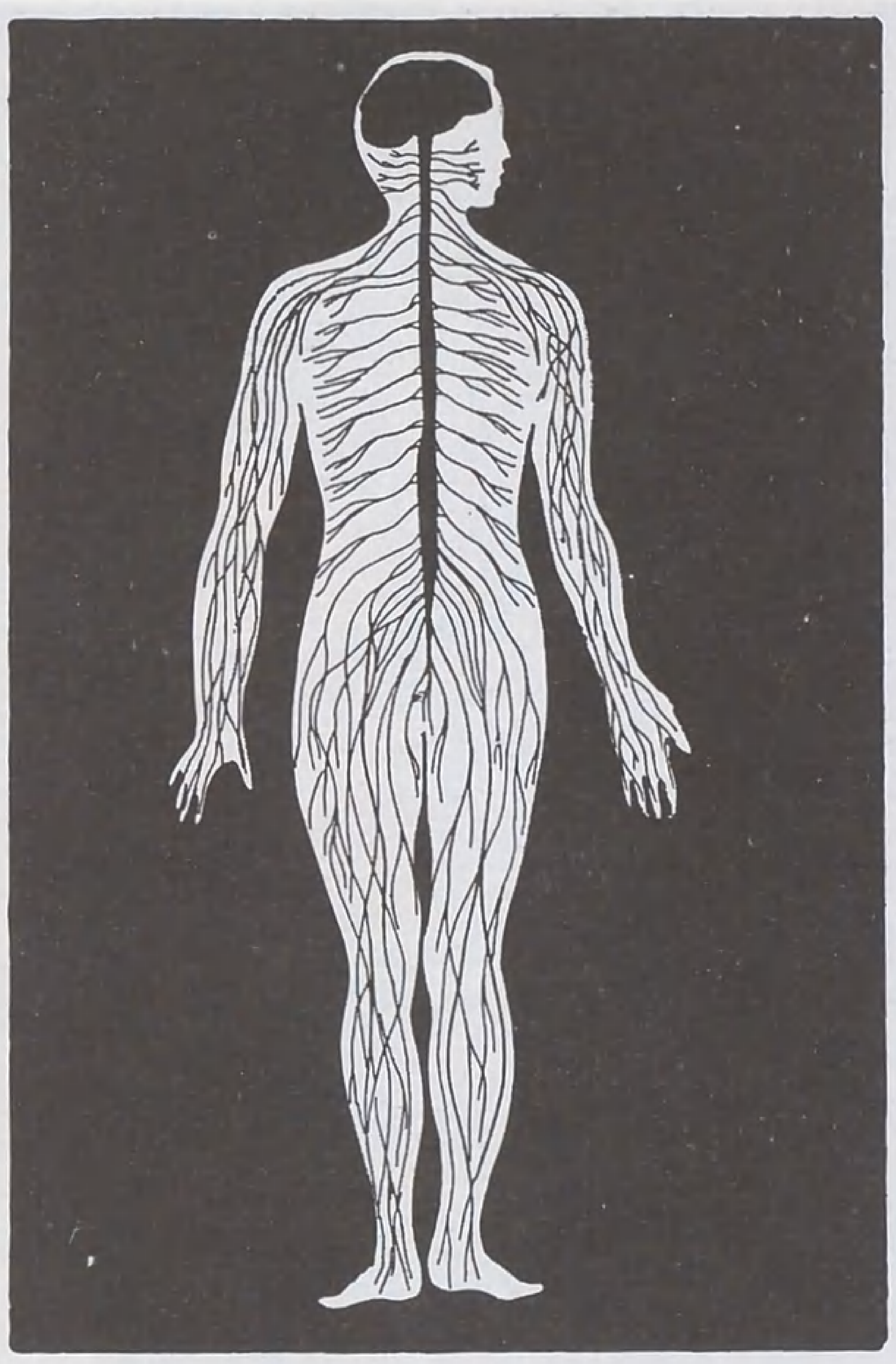

○ الجهاز العصبي آية عظمى من آيات الله توضح بديع صنعه في مخلوقاته ○

□ يمثل الاحساس بالالم عنصراً هاماً ضمن جهاز الانذار الحيوي في الجسم والذي يحذر بأن حياته معرضة للخطر . .

□ يحدث الألم نتيجة خلل بين النبضات المنطلقة من النهايات الكبيرة للاحساس باللمس وبين النهايات الصغيرة التي تحس بالألم . .

الجمجمة ، ثم منه ما يعرف بالنخاع الشوكي ، ذلك الحبل العصبي السميك الذي يمتد أسفل المخ ليسير في قناة داخل فقرات عمودنا الفقري .

وهناك الأعصاب الكثيرة التي تتفرع من الحبل الشوكي لتنتهي في شكل شبكات ونهايات عصبية دقيقة في كل جزء من جسمنا خاصة الجلد .

وجميع الاحساسات لدينا تعتمد على إشارات تنطلق من مراكز للإحساس في جسمنا متجهة إلى المخ .

والألم يتخذ هذا الأسلوب نفسه من الإحساسات ، ولكننا نستطيع تمييز الإشارات التي يستجيب لها الإبصار والسمع والحس بصورة أوضح مما يستجيب لإشارات الألم .

جهاز الإنذار في الجسم :

ويمثل الألم عنصراً هاماً ضمن جهاز الإنذار الحيوي في الجسم والذي يحذر بان حياته معرضة للخطر .

وليست كل احاسيس الألم متشابهة ، فنحن نستطيع تمييز مواضع احاسيس الحرق والوخز والالتهابات السطحية ، ولكننا لا نعرف عن الصداع اكثر من انه في الجزء الأمامي من الراس او الجزء الخلفي منه .

وتعتمد هذه الإحساسات على النبضات التي تنشأ من نهايات الأعصاب المعروفة بالمستقبلات ، والتي تنتشر في الجلد والأجهزة الداخلية .

والمواضع التي لا نهايات عصبية فيها لا إحساس للألم فيها ، فليس في القناة الهضمية مثلاً ما يجعلها تستجيب للحروق والوخز والقطع ، ولكنها تستجيب للشد والنفخ لأن مستقبلات الألم فيها تتركز في هذا النوع من الإحساس فقط .

الجلد العجيب :

وبين ما أودع الله بأجسامنا من أجهزة عجيبة القدرة والنفع : الجلد ، ففوق أنه يحمي أجسامنا من المخاطر المحيطة بنا ، ويحفظ أنسجتنا الداخلية ، فإنه يحقق لنا أهم الوسائل للاتصال بالخارج ، وهي : **وسيلة الإحساس .**

وهو أيضاً موضع الإحساس بالألم ، ومصداق ذلك قوله تعالى :

(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) (النساء:٥٦) .

وهي توضح تركيب الجسم ، وتبين موضع شبكة الأعصاب الدقيقة التي تنتشر أطرافها في الطبقة الجلدية ، وهي التي تستقبل الإحساسات المختلفة بما فيها الألم .

وتبين أن تجدد الألم الذي انقطع بحرق الجلد لا يكون إلا بإعادة الجلد حياً كما كان لكي يتجدد الألم .

إنه كلام لا يصدر إلا من عالم خبير بتركيب الجسم البشري العجيب ، فسبحان الخالق المبدع .

فالجلد غني للغاية بمستقبلات الإحساس الخاصة بتمييز اللمس والسخونة والبرودة والألم ، إضافة إلى تركيبات هامة أخرى .

حكاية مع القلب :

ولكن الإحساسات تختلف في الداخل ، فالقلب مثلاً غير حساس

من عجائب المخلوقات

للمس ، ولكنه حساس لنقص الدم الوارد لعضلاته وما يتبع ذلك من آلام .

فقد حدَّث الطبيب « وليم هارفي » الذي ينسب إليه اكتشاف الدورة الدموية الكبيرة في القرن السابع عشر ، قائلاً :

« اخذت ذات يوم طفلاً فقد عظمة صدره الواقعة أعلى القلب إلى الملك شارل الأول ليشهد منظراً فريداً هو حركات القلب على الطبيعة .

وراح الملك يلمس حجرات القلب ، وهو في نبضاته المتلاحقة .

ومن عجب ان الطفل لم يكن يحس باي لمس لقلبه ، ولكنه كان يتابع ذلك ببصره فقط .

ومن ذلك عرفنا أن ليس للقلب إحساس باللمس .

طريق الألم :

تسير إشارات الألم عبر الأعصاب إلى النخاع الشوكي المحفوظ داخل عظام سلسلة الظهر .

وإذا حال دون مرور هذه الإشارات مانع كقطع في العصب أو بالتخدير ، فإن كامل الإحساسات عبر هذا العصب تنعدم ، بما في ذلك الإحساس بالألم .

وكما يحدث عند طبيب الأسنان الذي يعالج الأسنان بالتخدير ، وانه إلى أن يعود الإحساس للفم فإننا نقرض لساننا دون أن نشعر ، وهذا يوضح جانباً من نعمة الإحساس في أجسامنا .

ويظهر الإحساس بالألم إذا ما انكشفت الشبكة الدقيقة لنهايات الأعصاب في الجلد .

وتسير إشارات الإحساس بالألم إلى النخاع الشوكي في شكل نبضات كهربائية متلاحقة من خلال مجموعتين من الألياف العصبية ، إحداهما سريعة ، والأخرى بطيئة .

○ ساعدت الآلات الحديثة على التعرف على مواضع الاحساسات في المخ ○

ولكل ليفة عصبية غلاف خارجي رقيق كما أن لها بطانة من مادة دهنية هي التي تعطي الليفة العصبية مزيداً من السمك .

وتسير إشارات الألم في غلاف الليفة بطيئة وبسرعة لا تزيد على نصف متر في الساعة ، بينما تسير النبضات من خلال المادة الدهنية بسرعة تتراوح بين ١٠ و ١٢٠ متراً في الثانية .

وعند التعرض لحادث ، فإن الجسم يشعر بإحساسين من الألم ، احدهما سريع ، كالذي يحدث عندما تلمس اليد جسماً حاراً ، والذي يؤدي إلى سحب فوري لليد .

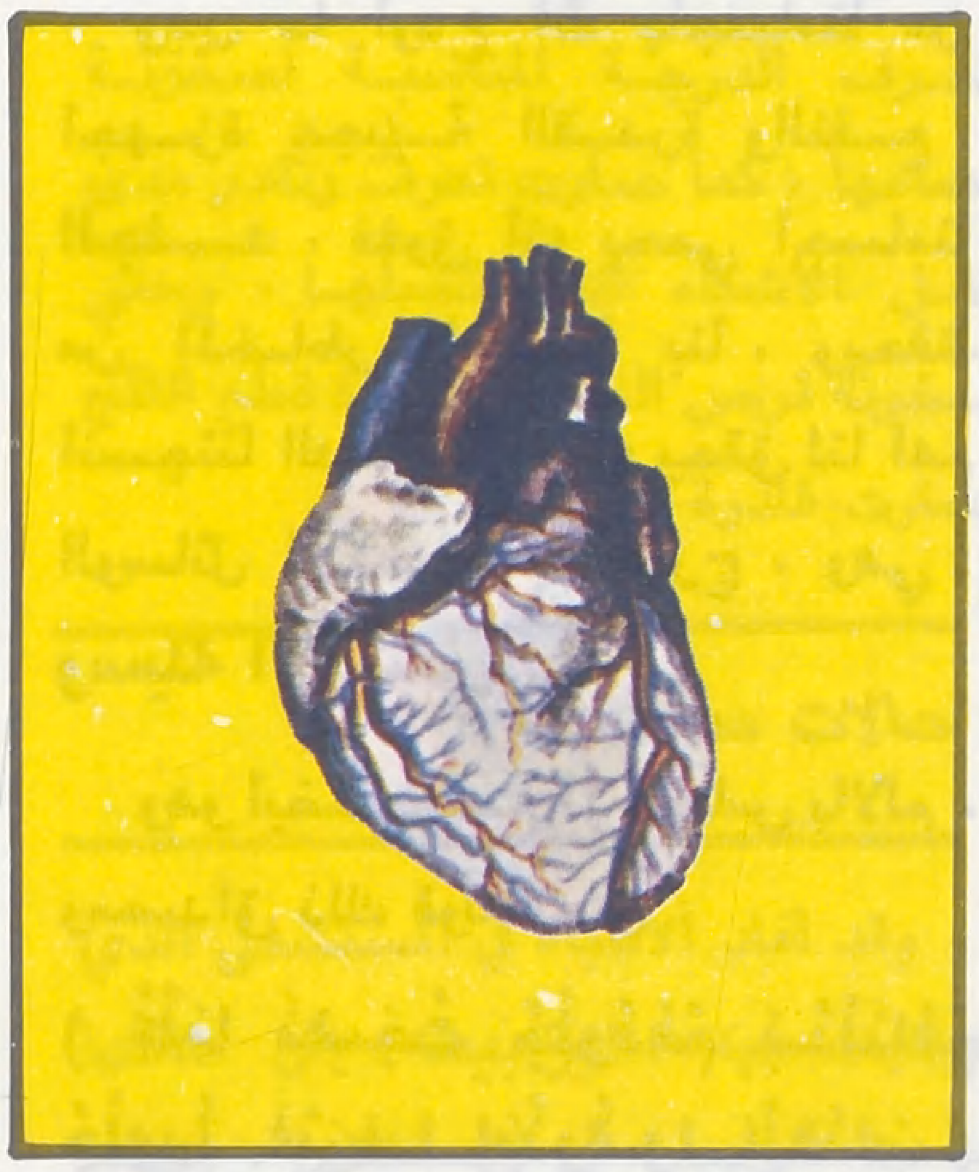

○ القلب لا يحس باللمس ○

بعد ذلك نشعر بالإحساس الآخر (**البطيء**) من الألم ، والذي يوضح لنا مدى الحروق التي أصابت اليد أو ما شابه .

والألم السريع هو ذاك الذي نحس به عند اللدغ أو الوخز .

وهناك فارق في الزمن بين الإحساس السريع والإحساس البطيء بالألم ، حتى إن هذا الفارق يصل إلى ثانيتين إذا كان موضع الألم قد حدث في القدم .

ويمر الإحساس بالألم عبر النخاع الشوكي إلى الدماغ في موضع يعرف بالمهاد « **الثالاماس** » .

ومعروف ان الألم الناتج في الجانب الأيمن من الجسم يتم الإحساس به في الجانب الأيسر من المخ ، وبالعكس ، كما هي الحال مع باقي الإحساسات .

والإحساس باللمس يمر إلى الجزء من الدماغ في الجانب نفسه من الجسم ، ولذا فالإنسان الذي يصاب الجزء الأيسر من دماغه بعطل ما مثلاً ، فإن الجانب نفسه من الجسم يفقد الاحساس باللمس بينما يفقد الجانب الأيمن منه الإحساس بكل من الحرارة والبرودة والألم .

○ الجلد سلاحنا العظيم في حماية اجسامنا من الوسط المحيط

سبب الألم :

ويعزو بعض الأطباء طبيعة الألم إلى أنه يحدث نتيجة خلل بين النبضات المنطلقة من النهايات الكبيرة للإحساس باللمس وبين النهايات الصغيرة التي تحس بالألم .

ولذا فإن أي تلف بهذه النهايات الحسية يفقد الإحساس بما يقابلها ، أي : ان تلف النهايات الحسية الكبيرة يفقد الإنسان الإحساس باللمس ، في حين أن تلف النهايات الصغيرة يفقد الإنسان الإحساس بالألم .

ويوضح ذلك أن الحكمة الإلهية قد جعلت للإحساس بالألم العديد من الممرات عبر الجسم إلى الدماغ .

موقع الألم في المخ :

أمكن للعلماء التوصل لمواقع الإحساسات المختلفة في المخ ، ورغم أن هناك موضعاً من المخ تتركز فيه الإحساسات بالألم ، إلا أن أجزاء المخ بكاملها تتعاون في إظهار ذلك .

ففي الجزء السفلي من المهاد

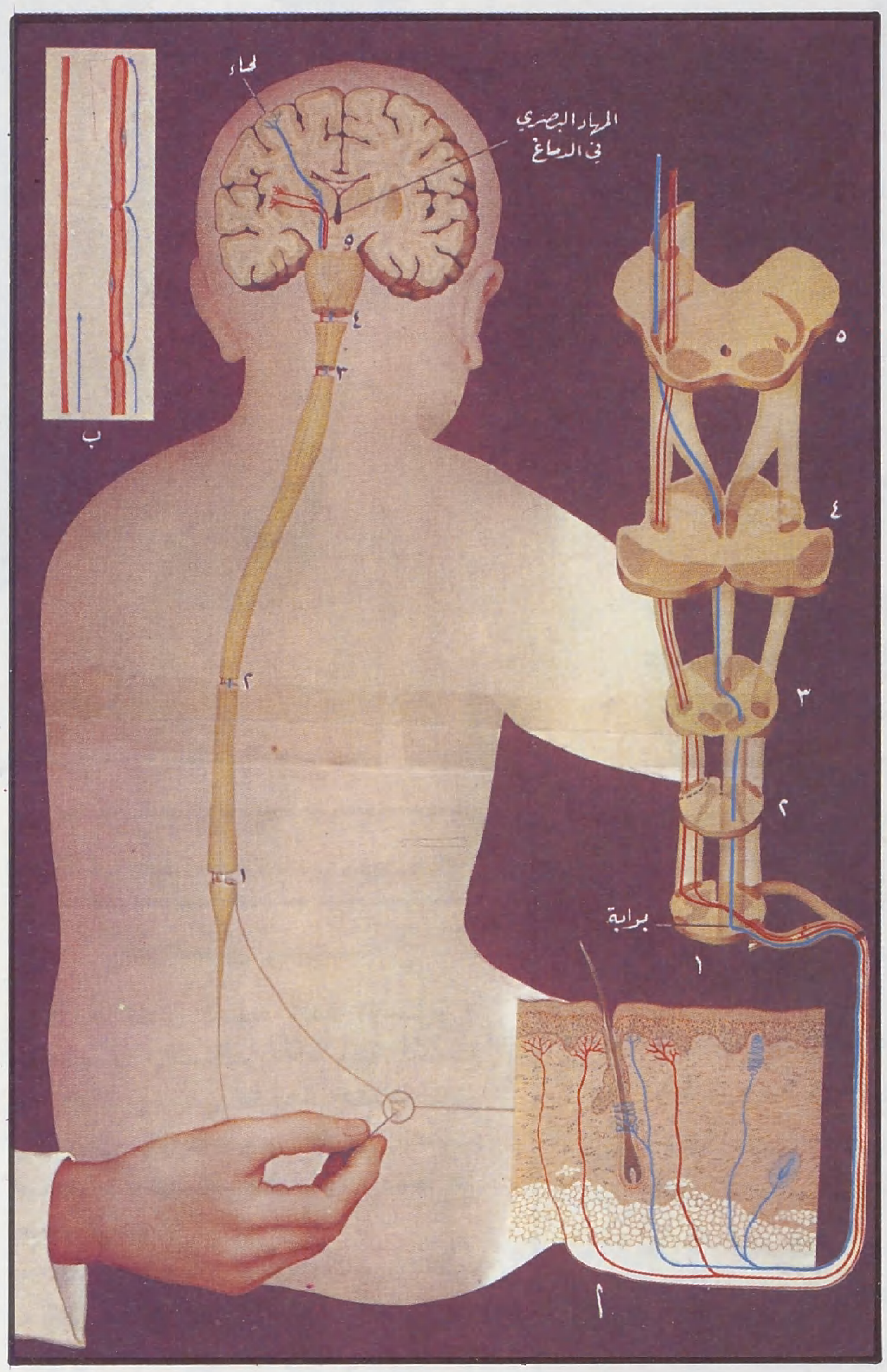

○○ جميع الاحاسيس تعتمد على إشارات تنتقل من أجهزة الحس إلى الدماغ .

والإحساس بالألم ليس استثناء ، فهو جزء من نظام غريزي حيوي (بيولوجي) يحذر الجسم من تهديد محتمل لوجوده .. إلا ان الاحاسيس مختلفة ، فالم الصداع غير الم الجرح ، غير الم الوخز ، غير الم الحرق .. ○○

(أ) صورة مكبرة للجلد عند نقطة بدء الألم .. الخطوط الحمراء تشير إلى طرق مرور الألم .. الخطوط الزرقاء تشير إلى طرق مرور اللمس .

(ب) انسجة الألم الأعصاب النحيلة البطيئة غير النخاعية تنقل الألم الخفيف ، اما الثخينة السريعة النخاعية فتنقل الالم الحاد . (١) انسجة الألم واللمس داخل الحبل الشوكي .

(٢) الألم ينتقل باتجاه الدماغ . الخط المنقط يشير إلى منطقة ازيلت في عملية لإزالة الألم من المناطق السفلى (في حالات من الالم المهلك ، مثل السرطان) .

(٣) الغمد النخاعي حيث تمتد انسجة اللمس إلى الجهة نفسها حيث انسجة الألم عند النهاية السفلى لعنق الدماغ .

(٤) انسجة اللمس وانسجة الألم تستمران حتى الدماغ على الجهة نفسها .

(٥) تنتهي انسجة الألم في المهاد البصري في الدماغ ، اما انسجة اللمس فتمتد حتى اللحاء ... إلا ان بعض انسجة اللمس قد تصل إلى منطقة صغيرة مخبأة بين طيات اللحاء .

مجموعة صغيرة من الخلايا أمكن للجراحين التوصل إليها ، وتبين لهم أن **استئصالها يشفي بعض المرضى بالم مزمن .**

ومجموعة أخرى من الخلايا تقع في الجانب العلوي من المخ الأوسط بجوار الخلايا العصبية التي تتحكم في الحركة العليا للعيون أمكن بالتأثير عليها شفاء بعض الذين يشكون من آلام حادة في الوجنة من الوجه .

وتبين العلماء أن هناك بعض الإحساسات بالألم في قشرة المخ العليا بحيث أمكن بمعالجتها تخفيف الألم عن الجسم .

الخاتمة :

ولأن العلماء قد توصلوا إلى كثير من الأسرار حول طبيعة الجسم وعلاقته بالألم ، ولذا فإن مقالاً مثل هذا لا يتسع لكل جوانب هذا البحث والموضوع .

ونخلص من كل ذلك إلى أن الألم يمثل نافذة من نوافذ المعرفة تطل على بعض ما أودع الله سبحانه في خلقه من إبداع وحكمة وقدرة ، وأنه يمثل آية تتكشف للناس عن بديع صنع الله في هذا الجسم البشري المحكم المتقن .

(**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**) (الأنعام:١٠٢) .

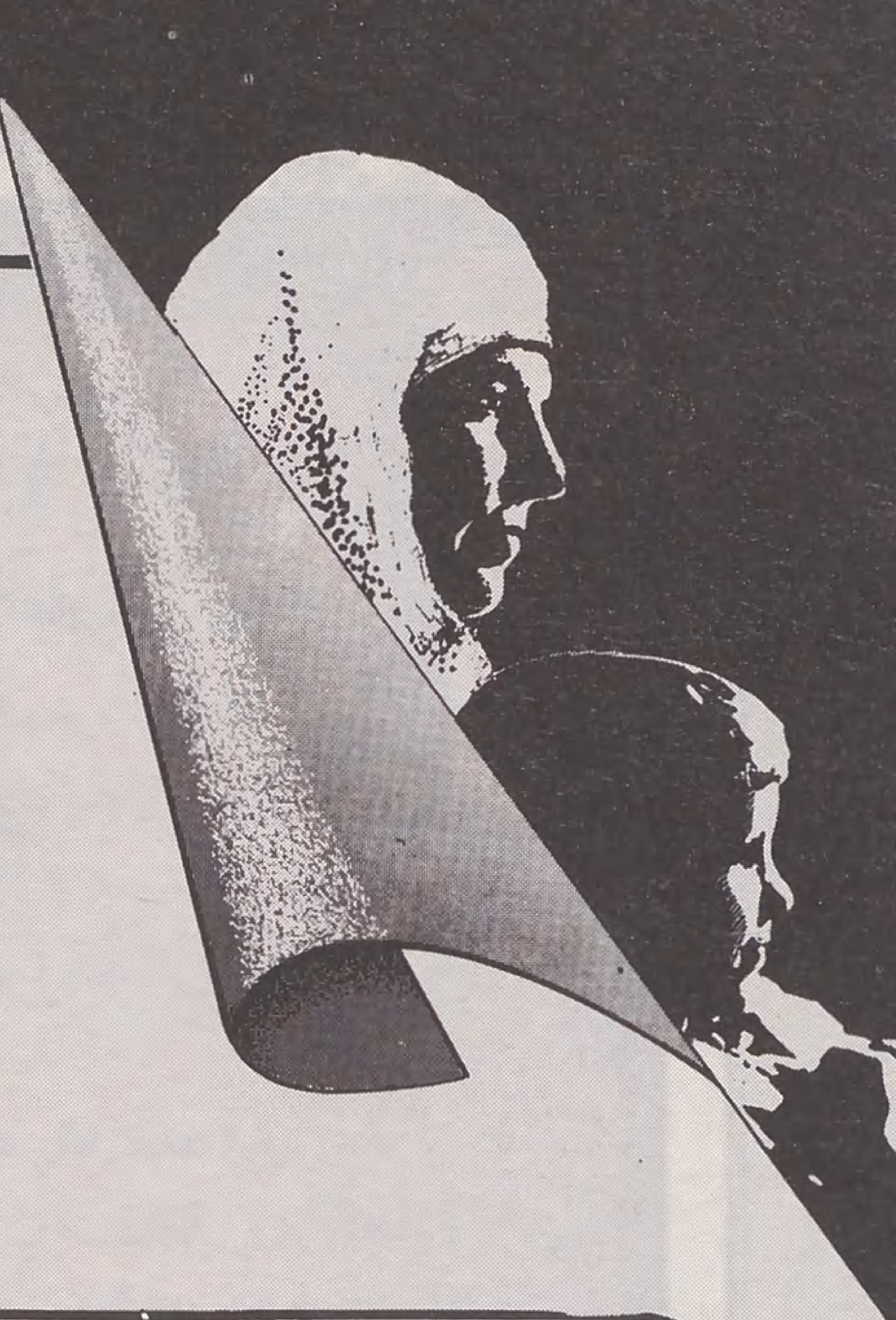

من قضايا الأسـرة

تحصين وقائي من الاضطرابات النفسية

●● من خلال مناقشات جرت في ندوة علمية - عقدت مؤخراً بباريس حول اسباب الاضطرابات النفسية العضوية والوظيفية - برز اتجاه يعتمد التفاعل والتأثير المتبادل بين الوراثة العضوية البيئية من الوسط الأسري وشبكة العلاقات الاجتماعية بصفة عامة ..

وقبل أن يدلي بوجهة نظره ، يشرح الدكتور **رشدي فكّار** - أحد المشاركين في الندوة من حاملي لواء هذا الاتجاه - بعض المفاهيم المتعلقة بالظاهرة ، بصفة عامة ، دون الخوض في التفاصيل العلمية المتخصصة .. فيقول :

من المسلم به حالياً أن نسبة المصابين باضطرابات نفسية ، صريحة أومقنعة ، قد ارتفعت حتى وصلت في بعض المدن الكبرى إلى **٤٥٪ من السكان** ، يترددون على العيادات النفسية بين آونة وأخرى ، بسبب القلق أو الأرق أو الشكوى من كل شيء ومن مختلف الأمراض ، دون مرض محدد ، مع ما يحاطون به من رفاهية ورخاء ماديين ..

وقد بدأت هذه الاضطرابات تشق طريقها إلى مدن المجتمعات الغنية بضوضائها وتلوث جوها ، وتعقد العلاقات وتداخلها ، وتعدد البنيات الاجتماعية المتواجهة ، وتوتر العواطف بل جفافها بعد أن تزيَّت بزي النفعية والمصلحية ، إلى جانب موجة التشكيك في أقدس معايير التوازن النفسي ، ونعني بذلك **العقيدة الإيمانية الخالدة ، التي تشيع الرضا والطمانينة في النفس ..**

وحول أبعاد المعاناة من هذه الاضطرابات ، يضيف **الدكتور فكار - الأستاذ بجامعة محمد الخامس بالمغرب** : انها قد تقف عند حد القلق والاكتئاب وعدم الشعور بالرضا ، مع التبصر والاستبصار بالمعاناة ، وحصرها وحصارها دون أن تنعكس بشكل ملموس عضوياً ، وقد تتجاوز حد « **العصاب** » فتتحول إلى اضطرابات عقلية بواسطة الانتكاس في طبيعة التنشئة .. وفي جميع الحالات تتفاعل العوامل الوراثية مع عوامل البيئة والوسط الأسري والاجتماعي وبدرجات مختلفة .

والآن ، **نعود إلى طرح قضية الأبناء فيما نحن بصدده ، وهو العامل الأسري الاجتماعي - بما فيه من تنشئة وتربية - في الاضطرابات النفسية** ... يقول **الدكتور فكار** : إذا وُجد العامل الأسري الاجتماعي في حالته الإيجابية - بما فيه من تنشئة سليمة وتربية واعية - فإن في إمكانه أن يحد من فاعلية الخلل السطحي في التكوين البيولوجي ، بل قد يتجه بصاحب المعاناة إلى مستوى الإبداع وإشعاع الشخصية ، وفي إمكان العامل نفسه أن يزكي هذا الخلل ويكثف من فاعليته ويضاعف من حساسيته ، ويدفع بصاحبه إلى « العصاب » الحاد أو المزمن في شكل اضطرابات نفسية ، قد تنعكس على وظائف أجهزة الجسم وتؤثر في أعضائه ...

كما أن العامل الأسري الاجتماعي - سلبياً - بما فيه من تنشئة غير سوية وتربية غير واعية ، قد يؤهل الطفل الذي يتمتع بتكوين بيولوجي سليم للمعاناة والاضطرابات النفسية ...

من هنا تتضح اهمية العامل الأسري الاجتماعي واثره في بناء الشخصية - إيجابياً وسلبياً - على ضوء مدى التزامه بالقيم الروحية والمبادىء الأخلاقية والمثل المعنوية الملهمة للسلوك السوي ، والمتطلعة به إلى هدف رفيع وعناية سامية - أي إلى أننا - نحن البشر لم نخلق عبثاً لنستهلك ونُستهلك ، **وإنما جعلنا الله تعالى خلائف في الأرض ، نلتزم بالمعروف ونبتعد عن المنكر ، ونخشى الله سبحانه في كل فعل نقوم به ، ونحتكم إلى مبادئه السماوية الخالدة التي أوصى بها رسله وانبياؤه**

كلمـة

فليصـل رحمـه

■■ ما الذي تعنيه كلمة الأسـرة في المجتمـع الإسـلامي ؟ .. وكم تتسـع دائرتها ؟ وما هي طبيعة العلاقة التي يجب أن تـربط ذوي القربى بعضهم ببعض ؟ وكيف نستطيع أن نحافظ على صلة الرحم ؟

هذه الأسئلة ، نحن مطالبون اليوم - أكثر من أي وقت مضى ، وقبل فوات الأوان - بتعميق مفاهيم الإجابة عنها والتذكير بها للعودة بكيان الأسرة إلى الأصول الإسلامية ، بعد عملية الضياع المستمـرة تحـت وطـأة التضليـل العصري ..

وقد بدأ الغربيون يناقشون المسألة في مجتمعـاتهم ، التي أدت مسيـرتـهـا الصناعية إلى تدمير بنية الأسرة فيها ، بعد أن أصبحت تقتصر على الأب والأم وأطفالهما فحسب ..

وتقول كاتبـة الشؤون النسـائيـة والعـائلية في صحيفـة « أوبزيـرفـر » البريطانية : « عائلتي ضمن بيتي التي أعرف فيها أين يوجد السكر ومتى يأتى عامل النفايات .. وأين يوضع الـوعاء تحت المغسلة التي تسيل » .

أما عن العلاقة التي تربط بين هذا المحيط العـائلي ، فتحـددها عـلى هذا النحو : « المرأة تحتاج إلى رجل بجانبها يساعدها في تأمين احتياجات أطفالهما ، ويشاركها أعباء الحياة ، ويساندها في هذه الأيام التي لم تعد فيها العمات والخالات والأخوات الكبار على استعداد للمسـاعدة ، ولا أحـد يستطيع إعـادة عقارب الساعة إلى الوراء ، واسترداد الأيام التي كان تبادل المساعدة العائلية شائعاً فيها ... »

يقول رسول الله ﷺ : « من سرَّه أن يُبسط له في رزقه وينسـأ له في أثره ، فليصل رحمه » . ■■

عليهم السلام ، قبل أن نحتكم إلى المقاصات الدنيوية والمضاربات الزائلة ، وغرور الدنيا ومتاعها ...

ويضيف الدكتور فكار : إن هذا يدفعنا إلى الاهتمام بالعامل الأسري الاجتماعي ، والسعي لتدعيمه بإعادة النظر في وسائل تنشئة أطفالنا ـ رجال الغد ـ تنشئة سليمة ، وتربيتهم تربية إسلامية أصيلة واعية ، تزكي روح الحوار والتوازن والتفهم والتفاهم ، وتلزمهم بالمثل العليا ، التي من أجلها وفي ظلها يعيش الإنسان المسلم ، انطلاقاً من حب الله وخشيته ، والاحتكام ـ بحسن النية ـ إليه أولاً ، لنصل من ثم إلى أرضية للتعامل والسلوك الداعيين للعطاء والبر والإحسان والنزاهة والصدق والوفاء ، وتحمل المسؤولية عن قناعة واقتناع ، ولا نكتفي بمجرد النصائح ونقف عند حد المواعظ ، وإنما بإعطاء الأنموذج المحسوس والقدوة الملموسة من الأب والأم والجار ، إلى كل أعضاء المجتمع ، وأن يطابق قولنا فعلنا ، فلا نقول ما لا نفعل حتى لا نتعرض لمقت الله سبحانه ..

وفي هذا ـ كما يقول الدكتور فكار ـ خير تحصين وقائي من الاضطرابات النفسية ، وأفضل ضمان للحماية منها ، واكتساب المناعة اللازمة لعدم الإصابة بها ، خصوصاً بالنسبة لأجيال الأمة ، التي نعلق عليها أكبر الآمال في بناء أمتنا العربية المسلمة .. لتكون كما كانت : خير أمة أخرجت للناس ●●

مع رسائلكن

■■ مجموعة كبيرة من رسائل الأخوات وردت تحمل الشكاوى المريرة ـ من الأخت ليلى الطرابلسي والأخت ا.ج. والأخت ق.ب والأخت م.م . ـ وغيرهن يصفن فيها ما تتعرض له الطالبات من قسر على نزع الحجاب عند دخولهن المعاهد والمدارس ، بقرارات من مديريها ، الأمر الذي يتناقض مع ما يقره الدستور من حرية اللباس والمعتقد ... ويتساءلن : **هل يعرقل اللباس المحتشم تقدم العلم ؟!!!..**

ثم يسألن : ما حكم الشرع بالنسبة للفتاة التي تضطر إلى نزع الحجاب داخل المعهد وتضعه خارجه ؟..

●● « الأمــة » : على ضوء الواقع المؤلم والظروف غير الطبيعية هذه ، لا نجد بدّاً من بيان حكم الضرورة الملجئة في الشريعة الإسلامية ..

إن معنى الضرورة : هو الحالة التي تلجىء المكلّف إلى ترك الواجب أو فعل ما هو ممنوع ـ شرعاً ـ وهذه الضرورة الملجئة قد تأتي عن فعل إنسان ، كما يحدث في حالات الإكراه .. وسواء أكانت من فعل البشر أو القدر فإنها تلجىء المسلم إلى مخالفة الأحكام الشرعية ـ في الفعل أو الترك ـ بغرض الحفاظ على الدين أو الحياة أو المال أو العرض أو النسل ، ومن ضوابط الضرورة :

- **أن توصد أمام المضطر كل الأبواب فلا يجد مخرجاً إلا أن يخالف أحكام الشريعة ، ويتعين عليه ذلك .**
- **ألّا تجر المخالفة الشرعية إلى الكبائر : مثل القتل والزنا وقبول الكفر والرضا به .**
- **أن يكون الاقتصار ـ عندما تلجىء الضرورة ـ على الحد الأدنى ، ولا يتمادى المرء في استحلال الحرام أو التفريط في الواجبات بحجة الاضطرار .**
- **أن تكون حاجة الضرورة واقعة متحققة تهدد فعلاً دين المسلم أو حياته ... إلخ ، وليست ظناً أو وهماً يُخشى وقوعه .. نسأل الله تعالى الهداية والرشد ..**

وبعـد ... فالدولة والمعاهد والمدارس إن لم تكن حارسة للعقيدة والحشمة ، وهي مهمتها الرئيسة ، فلا أقل من أن تكون محايدة في مثل هذه المسائل ، وأن تخلّي بين الناس واختياراتهم ، لا أن تطارد الفضيلة تحت شتى الشعارات والعناوين التي قد لا يكون لها أصل ، في الوقت الذي أصبحت فيه حرية الإنسان في اختيار الزي الذي يناسبه من الحريات الشخصية المسلَّم بها ... ■■

مفكرة

التحكم في تسويق أغذية الأطفال

●● يشهد مطلع العام القادم مؤتمراً دولياً تعقده في زيمبابوي منظمة الصحة العالمية في إطار تصعيد قضية تغذية الطفل إلى المستوى الدولي .

فالمنظمة تعمل من جانبها على إقناع دول العالم الثالث بإصدار قانون لتنظيم تسويق الأغذية البديلة للبن الأم ، بينما تحاول الشركات العالمية المنتجة منع إصدار هذا التشريع .. ويهدف المؤتمر إلى محاربة العمليات غير المشروعة في تسويق أغذية الأطفال ..

ومن أسباب تصاعد الخلاف استخدام بعض المنتجين لأساليب ترويج دعائية غير علمية ولا دقيقة ، لإقناع الأمهات الساذجات بأن مكونات هذه الأغذية هي أحدث طريقة لنمو الأطفال ، واللجوء إلى توفير عينات مجانية في العيادات المتخصصة بالإشراف على الأم الحامل ..

وقد حصلت منظمة الصحة العالمية على مساندة كبيرة لحمايتها من مجموعات المستهلكين والخبراء الدوليين في صحة الطفل ، الذين يؤيدون فكرة أن لبن الأم هو الأفضل ، خاصة للأطفال الصغار جداً ، حيث تتوافر لهم المناعة الطبيعية الناتجة عن الرضاعة الطبيعية ، ولا تتوافر في الأغذية البديلة ، التي كثيراً ما تخلط بماء ملوَّث أو توضع في أوعية غير نظيفة ، مما يسبب أمراضاً معوية خطيرة ، يتعرض لها أكثر من عشرة ملايين طفل سنوياً في الدول النامية ـ حسب تقديرات اليونيسيف ـ وغالباً ما تكون مميتة ...

ومن المعروف أن عشرين دولة فقط من مائة وسبع وخمسين دولة ـ عضواً في منظمة الصحة العالمية ـ اتخذت إجراءات فعالة للتحكم في عمليات تسويق أغذية الأطفال ●●

بقلم : محمد رشدي عبيد عقراوي

معجزة القيادة النبوية

شخصية الرسول ﷺ القيادية وأبعاد النبوة فيها

[١] القادة يُصنعون .. أكثر مما يولدون

يقول مونتغمري : « إن القادة يُصنعون أكثر مما يولدون »[١] ويقول أيضاً : « إن القادة العسكريين العظام في التاريخ كانوا قلائل على العموم ، وكان يقتضي نشوب حربٍ لظهور هؤلاء ، وقد برهن بعضهم على عظمة بعد تدريب قليل جداً ، وكان من ظواهر التاريخ العجيبة على مر العصور أن الحوادث هي التي خلقت الرجال .. لم يكن للعمر غير تاثير قليل ، فقد جاءت الفرصة مبكرة لفريق منهم ومتاخرة للآخرين »[٢] .

إذن فالقيادة تتطلب صفات فطرية ومواهب موروثة ، والأحداث المثيرة هي التي تصنّع تلك الصفات وتترجمها وتشحذ هاتيك المواهب وتحفزها ، أي أن وقوع حربٍ ما كان كفيلاً بإيقاظ مواهب القائد ودفق لأداء دوره القيادي .. ولكن حالة محمد القائد النبي ﷺ تميزت عن أحوال القادة ، فمما لا شك فيه أن محمداً كان ـ وفي نظر مونتغمري أيضاً ـ قائداً عظيماً بل كان أعظم قائد عرفه التاريخ بمفهوم القيادة الشامل والأخلاقي ، وأنه كان يملك مواهب قيادية حقيقية موروثة لولاها لما استحق مقام القيادة ولما نجح فيها ، لكننا نلاحظ أن الحوادث العرضية الضاغطة لم تصنعه وتضعه في مقامه المحمود ، إنما وضعه الله تعالى بتوقيت شاءه وأبرزه إبرازاً خصوصياً فحين وقعت حرب (الفجار) بين قبيلة قريش التي ينتمي إليها الرسول ﷺ ،

ويفخر بها ، ويغار على مقدساتها ، وبين قبيلة عربية أخرى مغيرة عليها ، لم يشارك الرسول فيها إلَّا جندياً ، فلماذا لم تظهر مواهبه القيادية العسكرية التي لا شك في توفرها فيه ، مع ان عمره كان **عشرين سنة** ، حيث فتوة الشباب وحماسها اللاهب ، وقد برز من الجانب **القريشي** قادة صغار وتشكلت للدفاع قيادة عامة ، وكان بإمكانه أن يرضي نزوعه القيادي من خلالها ؟ .. ولماذا لم تظهر قيادته عليه السلام بعد احتكاك المعارضة به وبأصحابه في **مكة** وقيامها بالأعمال الاستفزازية والعدوانية ضدهم ، إنما ظهرت في سن متأخرة جداً ، أي عندما كان عمره (٥٣) **سنة** ، وكأروع وأنجح وأقوى ما تكون القيادات ، وبدون أي تدريب سابق بعد نزول الأمر القرآني عليه برد العدوان ؟.. انه التوقيت الرباني الصارم الذي حدد له ساعة القيادة الفعلية ، وإنها الإرادة الربانية التي كفته عن ممارسة أي عمل عسكري أو قيادة تشكيلات سياسية أو حربية ، أو إثارة

معجزة القيادة النبوية

مبارزات عمل عسكري ، أو المنافسة على أمور زعامية أو قيادية ، مع ان المواهب العظيمة تتفجر منذ الصغر ثم تصقل وتنمى بتجارب الشباب ، ثم يبحث صاحبها بإلحاحٍ عن المجالات التي يبرزها فيها ان لم نقل يصنعها وينميها ، بالاحتكاك المستمر ، والإثارة الدائمة للعناصر البشرية التي يتعامل معها في حياته ، ليحقق بها أو على حسابها طموحاته ومواهبه العسكرية أو السياسية .. **فنابليون** ـ على سبيل المثال ـ الذي أصبح أعظم قائد عسكري ، هل قهر **شمالي إيطاليا سنة ١٧٩٦م** وعمره **(٢٧) سنة** دون تدريب سابق ؟ لا .. لقد اندفع منذ شبابه إلى الكلية الحربية وتخرج منها ضابطاً في المدفعية ، ثم استفاد من النظريات العسكرية المعاصرة له وطبقها ، بعدها شارك في **الثورة الفرنسية** ، ثم ترفع إلى رتبة **لواء سنة ١٧٩٤م** وعمره **(٢٥) سنة** ، وفي **سنة ١٧٩٥م** أخضع جماعة من الغوغاء الثائرين في **باريس** .. وأخيراً عهدت إليه **قيادة الجيش الفرنسي في إيطاليا** .. وكذلك فعل **هتلر** ، **وديغول** ، **وتيتو** ، **وستالين** ، **وتشرشل** ، **ومونتغمري** ، وغيرهم بل حتى **جنكيزخان** ، قد تعلم مهنة الحرب واكتسب مهاراته العظيمة فيها من مشاركته في الحروب القبلية التي قضى فيها **(٤٠) سنة** من عمره ، ومن سن **(١٣) إلى (٥٣) سنة** ، ولم يكن اجتياحه العسكري للعالم المعمور عملاً عفوياً أولياً فجائياً .

[٢] وحشية القادة .. ورحمة القيادة النبوية :

إن القادة لم ينفكوا عن الوحشية وإشاعة الدَّمار في البلاد التي يفتحونها أو يخضعونها أو (يحضرونها !) ، **فجنكيزخان** مثلاً **اهلك (١٨) مليوناً في الصين وحدها** ، ثم يصفه قائدٌ عسكري يتحلى بفضائل النصرانية ويتبجح بها : « **يمكن القول ان وحشيته كانت منطقية ، فقد كانت تستهدف اضعاف إرادة العدو على القتال وإثارة الحماس في افراد قبائله القساة الوحشيين في الوقت نفسه .. إنني اضع هذا القائد المغولي جنكيزخان في الصف الأمامي للجنود العظام ، واعدّه قائداً عسكرياً في أعلى طراز**[٣] » .

والفضائل لا مكان لها في قاموس القيادة الأرضية ، يقول تشرشل : « **في الوقت الذي تلتهب فيه الحرب الكونية حولنا جميعاً ، كان من العبث أن يتحدث الإنسان عن الأخلاق ويجهر بحديثه**[٤] » ، وهو الذي قال في معرض الدفاع عن استعمال **القنبلة الذرية** التي قتلت أكثر من (٣٠٠) الف في هيروشيما و (٧٣٨٨٤) إنسان في ناغازاكي : « **بدا لنا أن تجنب مذبحة هائلة لا حدود لها ، وأن الوصول بالحرب إلى النهاية ، وبالعالم إلى السلام ! وأن مدّ يد الشفاء إلى شعوبه المعذبة عن طريق عرضٍ لقوة طاغية كل هذا لا يمكن إلا ببعضِ انفجارات كلها أمور جاءت بعد هذه الأخطار والمتاعب كمعجزة من معجزات الإنقاذ !**[٥] » ، فإذا كان قتل الآلاف من المدنيين الأبرياء بالجملة معجزة ، فما أتفهها من معجزةٍ بل وما ارهبها !!

أما معاملة المنتصرين من القادة للأسرى ، فاقرأ عنها هذا الأنموذج من معاملة الألمان لأسرى الحرب : « **كانوا يموتون بمئات الآلاف موتاً بطيئاً بسبب الجوع والأمراض ، وقد اقترح المارشال كيتال أن يوسم الأسرى بالحديد المحمي ، كما أوصى المارشال فون مانستين بعدم تقديم أي نوعٍ من الطعام إلى الأسرى لأن هذا التصرف في رأيه شعورٌ إنساني منحط**[٦] » .

أما قادة الدول المقهورة في الحرب في رأي **تشرشل** المتحضر : « **يبدو أن المبادىء الأخلاقية للحضارة الحديثة تقضي بان يعدم المنتصرون قادة الدول المقهورة في الحرب**[٧] » .

فماذا كان موقف **النبي القائد** ﷺ في ملابسات الحرب وآثارها ؟

لقد كان **النبي** ﷺ **أبعد الناس عن إرادة سفك دماء الأبرياء ، واقربهم إلى اللين والعفو والرحمة** ، حتى في أشد حالات الغضب وأوج الانتصارات العسكرية .. وكشاهد على ما نقول : « **هو ان عدد المقتولين في الفريقين المتقاتلين (المسلم والكافر) ، في جميع الغزوات والسرايا والمناوشات التي ابتدت من السنة الثانية للهجرة ودامت إلى السنة التاسعة (١٠١٨م) الف وثماني عشرة نفساً فقط**[٨] » .

أما موقفه من الأسرى ، فحين جاء النبي **كان استرقاق البشر الذين يؤسرون في المعارك أمراً طبيعياً في العالم كله ، حتى صار الرق اساساً من اسس بناء المجتمعات النفسي والاجتماعي والاقتصادي بل الحضاري** ، ولم يفكر أحدٌ يوماً في إزالة هذا الحيف عن أسرى الحرب ، بل حتى أولئك الأسرى كانوا يستسيغون أو يتقبلون ما ينزل بهم من ألوان الإهانة والإذلال ، ولا يفكرون في إزالتها إلَّا قليلاً ، لقد كانت الأعراف الدولية في حينه تبيح التصرف في حياتهم وفق أهواء المنتصرين ، تبنى بهم الأهرامات ، أو يقتلون كالعقارب والحيَّات ، أو يلقون طعاماً للأسود والحيوانات المفترسة ، ليتمتع القادة والعظام برؤية معاناتهم لآلامهم ووخز جراحاتهم ، أو يُحرقون أحياء .. **فأتى النبي بقانون العتق ليصفّي هذا الوضع الاجتماعي المنفر على مراحل تدريجية ، وبتشريعات مفصلة ، وتوجيه دائم** ، ولما كان العالم آنذاك لا يستجيب لقراراته وقوانينه ، ولا يعامله بالمثل في حروبه المشروعة والعادلة والهادفة لإزالة قواعد الطغيان ، فإنه اضطر إلى السير وفق ذلك المفهوم العالمي للأسر والأسارى ، **أي في عدم إطلاق سراحهم بدون مقابل** ، ولكنه أصدر تعليمات تقدمية سابقة للزمن في معاملة الأسرى ، فاعتبرهم **أولاً إخوة للجنود المنتصرين من المسلمين في الإنسانية** .

أما **قادة الجيش المقهور** فماذا فعل **النبي القائد بهم** ؟ لقد دخل **مكة** ظافراً ورأى زعماء **قريش** الذين أوقفوا حياتهم على محاربته ، **فماذا صنع بهم** ؟ .. ألقى القبض عليهم ؟ ، أعدمهم ؟ أحرقهم ؟ ، أهان كرامتهم ؟ ، حاكمهم كمجرمي حرب ؟ ، لا ، انَّ **أبا سفيان** كان اكبر رؤوس المعارضة وأعلى المراتب العسكرية المعادية له ، فماذا صنع به ، لقد قال فيه : « **من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**[١٠] » ، الدار التي كانت المقر الحربي لقادة الحرب في مكة صارت دار الكرامة والعفو ، من دخلها كان آمناً على نفسه وماله مهما ارتكب من جرائم حرب .

[٣] التهور من شيم القادة :

يغلب على القادة طابع الانفعال السريع ، والتهور الشديد ، وقد يكون بعض ذلك طبيعياً ومفيداً بحكم ظروف المعارك التي تقتضي اتخاذ القرارات العاجلة وتنفيذها وفرضها على المقاتلين ، ولمكافحة عوامل السلبية والانهزام والتردد في بعض النفوس الهشة ، والعقليات المتحسبة اكثر من اللازم لمخاطر العمليات القتالية ، أو القلوب الماردة العنيدة السريعة العصيان في صفوف الجيش .. ويندر أن

تجد قائداً يتحلى بمطلق ضبط النفس في جميع المواقف الحرجة والأليمة والمثيرة ، فمثلاً « **كان ديغول خلال الحرب سريع الغضب والانفعال في الغالب ، وكذلك كان اناس كثيرون غيره** » أي : من القادة ،

وكان تشرشل : « **قليل الصبر ، وقد يكون عديم التحمل ، وشكوكاً أيضاً**[١١] » . وكان (**الان بروك**) قائد **الجيش البريطاني في** الحرب الهتلرية : « **سريع الغضب ، وعندما يثور حقاً ويهاجمك فإنه يحمل عليك حملة شعواء تترك أثرها فيك**[٢١] » ،

فما بالك بغير هؤلاء من القادة التأريخيين الذين كانوا يجوسون خلال الديار أو المعاصرين وصنائعهم وطبائعهم مشهورة .

أما **النبي القائد** ﷺ فرغم جهاده النفسي في تربية المؤمنين ، ومعاناته في تلقي الوحي من ربّ العالمين ، وصبره على استفزاز المعارضين في **مكة طيلة ثلاث عشرة سنة** ، ورغم قيادته المباشرة وغير المباشرة لمجموعة ضخمة من المعارك والسرايا ، ومتاعبه المستمرة في تنظيم هيكل الدولة الإسلامية وبنائها الداخلي في المدينة ، رغم ذلك ودون أن يحصل خلال تلك المدة الطويلة على إجازة خاصة ، أو يتمتع أثناءها بجولة سياحية ، أو نزهة استجمامية ، أو سفرة خارجية ، فقد **بقي محافظاً على رباطة جأشه ، وسعة صدره ، وجميل صبره في معاملة أمناء سره ، ووزراء حربه ، ومستشاري سلمه ، ومرؤوسيه الصغار وجنوده** ، بل **حتى مع العناصر التي لم تتمتع بحسن النية ونظافة المقصد من اتباعه** ، مع أنه كان متمكناً منهم ، قادراً على إنزال الأذى بهم ، وصفه أبو هالة بقوله : « **وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء**[١٤] » ، ووصفه بطل الحرب **علي رضي الله عنه** بأنه كان : « **أوسع الناس صدراً**[١٤] » .. يأتيه جندي بسيط بعد انتهاء إحدى المعارك فيقول له بلهجة آمرة قاسية « **اعدل** » فلا يزيد القائد العام على قوله : « **ويلك .. ومن يعدل إن لم أعدل ، لقد خبت وخسرت ، إذا لم أعدل فمن يعدل ؟**[١٥] » ، وكأنه يعتذر لصديق له حميم ، ولمزيد من الاطلاع على حلمه انظر شهادات القريبين منه في كتب السيرة والحديث ، فلو استطردنا في ذكر الأمثلة لطال بنا المقام ، وحسبنا الوصف القرآني له : ﴿ **وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ ، (آل عمران : ١٥٩) فعلامة حلمه الكامل أن لم يحدث تمردٌ عليه من أحد قواده ، ولم ينقم عليه أحد من مساعديه الأقربين ، ولم ينتقده أحد وزرائه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، ولم يختلف المسلمون في كمال أخلاقه وعدم انتصاره لنفسه حتى أمام أقل الرتب في أفراد جنده ، مع كثرة المواضيع التي اختلفوا فيها بعده .

نعم .. لقد كان عليه الصلاة والسلام دائماً وفي جميع المواقف : « **أكثر الناس تبسماً ، واطيبهم نفساً ، ما لم ينزل عليه القرآن ، أو يعظ ، أو يخطب**[١٦] » ، كما كان إذا لم يعجبه تصرف فردي أو فئوي يصعد على منبر الخطابة ليقول مثل هذه العبارة : « **ما بال أقوام يصنعون كذا ، أو يقولون : كذا**[١٧] » ، **ولا يلجأ إلى التعنيف والتهديد بالعقوبات** الانضباطية ، **ومواقفه الكريمة من المنافقين حتى بعد انكشاف أمرهم** ، وظهور مخططات مكرهم ، وأثرهم السلبي في معنويات المقاتلين في معنويات المقاتلين في الأجواء الجهادية ، ومحاولاتهم الآثمة لتخريب البنية الروحية للمؤمنين وتمزيق البناء العضوي المتلاحم لمجتمعهم مشهورة كانت .. **تلك المواقف الكريمة له عليه السلام من هذا الطابور الخطر عفواً وصفحاً ، بل وحتى استغفاراً لزعيمهم بعد موته إضافة إلى إحسانه إليه ما دام بين أظهر المؤمنين ، ومن المحسوبين على معسكرهم !!**

وبعد : **فلا يسعنا هنا إلا أن نقول : إنها النبوة ، وإن بعض المقارنات التي أتينا على ذكرها ليست إلا من قبيل إظهار صورة القيادة المتميزة للنبي الكريم ﷺ وصحبه الكرام ، إذا ما قورنت بأعظم قادة الأرض في القديم والحديث ليقبس منها القادة والزعماء ويقتدون بها .**

هوامش :

(١ - ٢) السبيل إلى القيادة (الماريشال مونتغمري) ، ترجمة العميد حسن مصطفى ، دار الطليعة - بيروت ص١٣ - ٣١ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٤) مذكرات تشرشل (ترجمة خيري حماد) مكتبة المثنى - بغداد . ط٢ سنة ١٩٦٢م ، جـ٢ ص٧١٦ .

(٥) نفس المصدر ، جـ٢ ص١٠٨٢ .

(٦) الحرب العالمية الثانية ، رمضان لاوند ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ سنة ١٩٧٧م ص١٥١ - ١٥٢ .

(٧) مذكرات تشرشل جـ٢ ص١٠٨١ .

(٨) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (الندوي) ، دار الكتاب العربي ، ط ظ سنة ١٩٥٦م ص٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٩) متفق عليه (رياض الصالحين للنووي) ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، باب فضل الإحسان إلى الملوك ص٤٨٨ .

(١٠) نور اليقين للخضري ، المطبهة الأزهرية بمصر ، ط٢٣ سنة ١٩٦٧م ص٢٢٢ .

(١١) السبيل إلى القيادة ص١٢٠ .

(١٢) نفس المصدر ص ١٤٢ .

(١٣) نور اليقين ص ٢٨٩ .

(١٤) ص ٢٨٩ ايضاً .

(١٥) حياة الصحابة ، الكاند هلوي ، دار النصر بالقاهرة سنة ١٩٦٩م جـ٢ ص٦٠١ .

(١٦) نور اليقين ص ٢٩٠ .

(١٧) ص ٢٨٨ نفس المصدر .

مناجاة

يَارَبِّ مَاذا أَسْتَطيعُ صَنيعَهُ إنْ لَمْ تُعِنِّي
هَـٰذي دُروبِي مُدْلَهِمّاتٌ فَهَبْني النّورَ هَبْني
وَذُنوبُ عَبْدِكَ لاتَكُفُّ .. كَأَنَّهَا حَبْلُ التَّمَنِّي
إنْ أَفْقَرَتْني في الحِسابِ فَعَفْوُكَ الفَيّاضُ يُغْني
فَاْغْفِرْ فَما زَلَلي لإيمانٍ ضَعيفٍ أَوْلِظَنِّ

• • •

مَاذا جَنَىٰ مَنْ شَكَّ فِيكَ سِوَىٰ الهيامِ بِكُلِّ رُكْنِ
آمَنْتُ فيكَ فَلاذَ قَلْبي ٱلْمُسْتَجيرُ بِخَيْرِ أَمْنِ
إنْ لا أَراكَ بِناظِري فَبِعَيْنِ قَلْبٍ مُطْمَئِنِّ

• • •

يَارَبِّ صُنْعُكَ كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ خَيْرٍ وَيُمْنِ
وَجَميعُ مَا في الدَّهْرِ مِنْ حُبٍّ وَإِشْرَاقٍ وَحُسْنِ
بَلْ أَنْتَ فَوقَ الوَصْفِ مَهْما أَشْرَقَتْ شَطَحاتُ فَنِّي

• • •

شعر : شهاب غانم

بريد الأمة

●● لم يعد مبدأ مشاركة الإخوة القراء بالنصيحة المفيدة والكلمة الطيبة ، والفكرة الناضجة .. موضوع سؤال أو مناقشة .. فقد تجاوزوا هذه المرحلة إلى صياغة المواد التي يبعثون بها في القوالب الصحفية المطروحة على صفحات « الأمـة » .. الأمر الذي يحقق واحداً من أهم أهدافنا ـ وليس أدل على ذلك من تخصيص بعض الأبواب ـ لهذه المواد .. منها ـ على سبيل المثال ـ (بطاقة من قارىء) و (بأقلام القراء) و (أقلام شابة) و(خاطرة) في بعض الأحيان.. وقد لايرى بعض الإخوة القراء إنتاجهم منشوراً ، ولكنهم ـ بالتأكيد ـ يلمسون أثره من خلال خطوة متطورة .. أو فكرة .. تتبناها « الأمـة » ●●

بأقلام القراء

■■ من ألمانيا الغربية ـ وردت رسالة بتوقيع ـ طالب مسلم ـ تتناول أحوال بعض الطلبة المسلمين ، وما يتعرضون له من ضغوط المؤسسات التنصيرية ..

[... من المؤلم أن نجد الظروف المادية الصعبة التي تمر ببعض الطلبة المسلمين في ألمانيا قد تلجئهم إلى طلب المساعدة من الكنائس أو من مؤسسات أخرى لا تختلف في أهدافها عن الكنيسة في إبعاد الشباب المسلم عن إسلامه وجره للاندماج في المجتمع الأوروبي ! فيرضى بعضهم أن يُعَمَّد في الكنيسـة ـ ظـاهـريـاً ـ تحت غطـاء « الاندماج » ..

هـذا ، ويرد استعمال كلمة اندماج « Integration » كثيراً في الصحف وعلى ألسنة الناس .. ولا شك أن المقصود بها تخلي المسلم عن مبادئه وسلوكه وخلقه ..

ولكن هناك فئة من الشباب تأبى كل ذلك ، وهم قليلون جداً .. فيلجأون في ساعات الضيق إلى إخـوانهم لطلب المساعـدة ، ويصبرون إلى أن يشاء الله ..] .

ثم يتساءل الأخ صاحب الرسالة ـ الذي يفضل عدم ذكر اسمه : ألا توجد لدى المسلمين مؤسسات خيرية تساعد الطلبة المسلمين على تحصيل دراساتهم ، فتقرضهم قرضاً حسناً في الظروف الصعبة ، وبالتالي تنقذهم من الاستغلال وتحفظ عليهم دينهم وكرامتهم ..

رسـالة

■■ **الأخ أبو جهاد ، من تونس ، أرسل بملاحظاته حول كتاب الأمة الثاني ، وبعض ما جاء في حوار الأمة مع الشيخ الشاذلي النيفر .. فيقول :**

[السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ...

يعجز القلم عن التعبير عما يجيش في قلبي من مشاعر الحب والتقدير « **للأمة** » ، وللدور الكبير الذي تقوم به لنشر الوعي الإسلامي .. حتى إنها استطاعت أن تصدر الكتب الدورية .. فـ « **الأمة** » بحق مدرسة ..

وتعلقاً مني بها ، أجدني مدفوعاً لإبداء بعض الملاحظات ، التي لايمكن بحال أن تنال من قدرها عندي وعند جميع المسلمين بفضل الله ..

● كان كتاب « **الأمة** » الثاني : « الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف » مفيداً جداً ، وقد أفادني كثيراً ـ والحمد لله ـ في تصحيح بعض مفاهيمي الخاطئة حول قضية التكفير ، غير أنني أجد الدكتور يوسف القرضاوي ـ سامحه الله ـ يبالغ في التيسير حتى وصل الأمر فيما كُتب تحت عنوان « **تقدير ظروف الناس وأعذارهم** » إلى ما يشبه المبررات للمتقاعسين عن الدعوة ، وضعاف النفوس والجبناء ..

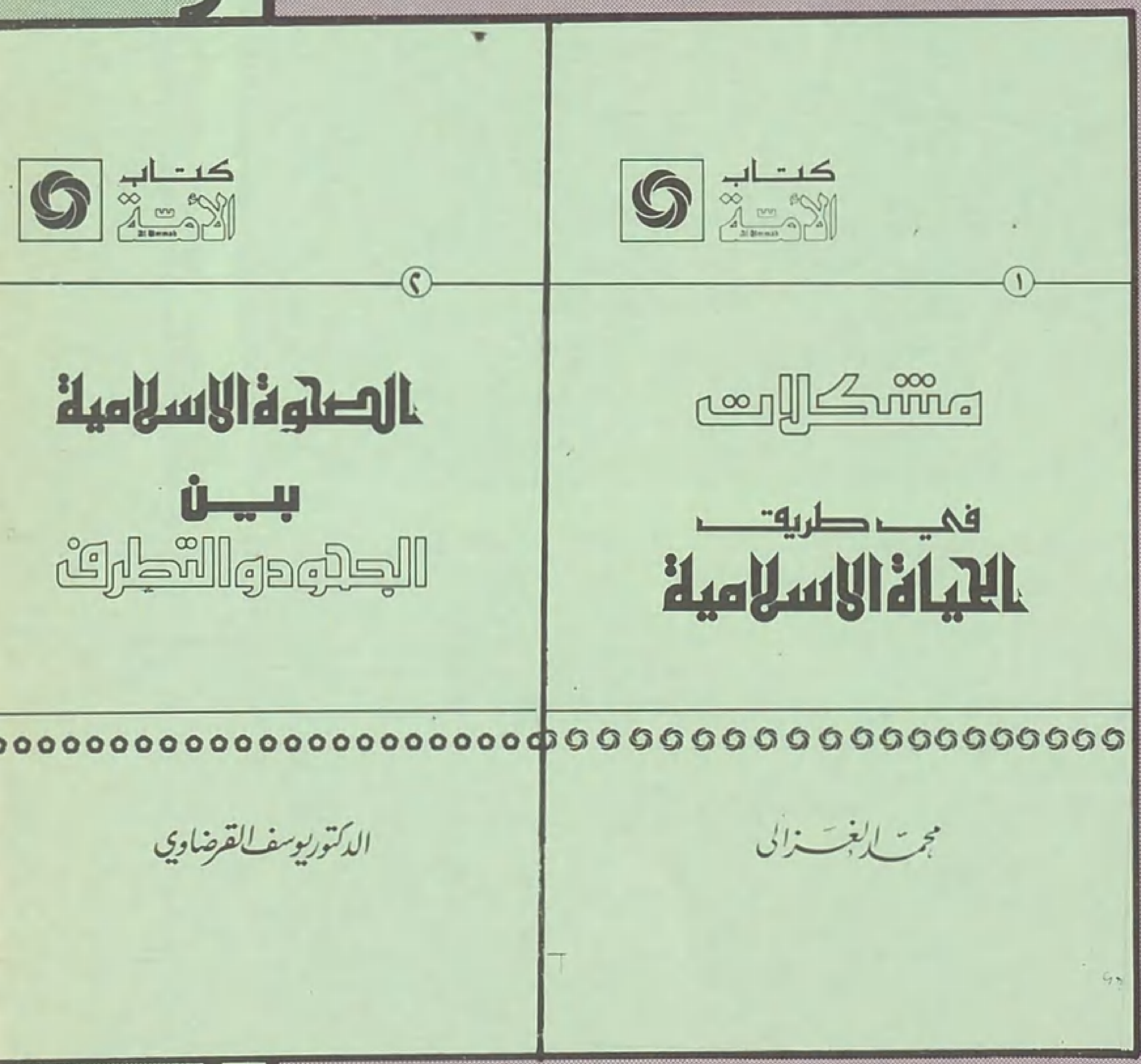

● **وعندي ملاحظة أود أن أبديها حول ما نشر بالعدد الحادي والعشرين ، فقد ذكر الشيخ الشاذلي النيفر ـ خلال الحوار الذي جرى معه ـ أنه يمثل الكتلة الزيتونية في البرلمان التونسي .. وأنها حركة إسلامية سياسية ..**

والـذي نعرفـه أنه لا يوجد ـ فيما نعلم ـ كتلة زيتونية داخل مجلس النواب ...

نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ..] .

أصداء

●● **إن كل الأصداء التي تتردد في رسائلكم تحتل مساحتها المناسبة من الاهتمام .. فالأصداء ليست تسجيلاً لانطباعات معينة بقدر ما هي إضافة جديدة زاخرة بالمعاني والأفكار ●●**

● **يقول الأخ الطاهر مجبر ـ من الجزائر ـ في رسالته :**

[السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

أود أن أعبر لأسرة « **الأمـة** » عن بالغ الشكر والتقدير ، جزاهم الله خيراً عن الإسلام والمسلمين ..

إن « **الأمة** » بفضل الله تصلني بانتظام وأطالعها صفحة صفحة ، حتى إذا فرغت منها أرسلتها إلى الإخوة المسلمين هنا ليطالعوها .. وهذا أسلوب نتبعه حتى تعم الفائدة بإذن الله .. أما بالنسبة لكتابي « **الأمـة** » الأول والثاني .. فقد فتحا

مقترحات

● **ضمن رسالة عتب رقيقة .. يقول الأخ ناصر سيف محمد من سلطنة عمان :**

[أنا من قراء « **الأمة** » منذ صدورها ، وقد أرسلت عدة مقترحات ، ولكن لم أجد على صفحات « **بريد الأمة** » إشارة إليها ، أنا لست عاتباً ، لأنني أعرف جيداً ظروف العمل الصحفي ، وسأظل بإذن الله وفياً « **للأمة** » ..

إنني اقتـــــرح :

— إجراء مقابلات مع علماء المسلمين في العالم وخاصة في دول الخليج ، وأن تخصصوا لها بعض الصفحات .

— إعداد هدية آخر العام ، بحيث تتضمن تقويماً بالسنة الهجرية وآخر بالسنة الميلادية ، يحتفظ به الإخوة القراء طوال العام .

— أن تكون الهدية في المناسبات المختلفة عبارة عن كتيب يتضمن معلومات لتغطية هذه المناسبات من الناحية العلمية والتاريخية والفقهية ..

● **ويقترح الأخ أحمد أمين سعيد ـ من طنطا بجمهورية مصر العربية :**

— نشر معلومات عن صحابة رسول الله ﷺ ، بحيث يتضمن كل عدد تحقيقاً حول شخصية فذة ..

— إعادة باب « **من أعلامنا في الطب** » الذي استفدنا كثيراً من نشره بالعددين السادس والسابع ..

— زيادة عدد النسخ المخصصة للتوزيع في مصر ، لأننا هنا نتطلع إلى اقتنائها بعد مشقة في مطلع كل شهر ، فهي بحق المجلة الإسلامية الوحيدة التي تليق بمكان الصدارة في المكتبة الإسلامية .

● **ويقترح الأخ شمس الدين رمضان ـ من السودان ـ في رسالته :**

— تخصيص بعض الصفحات لطرح مشاكل القراء وإمكانية علاجها من خلال رؤية إسلامية .

— تنويع أسئلة المسابقة .

● **ويقترح الأخ م.ع من المغرب** ، إضافة ركن للإعلان عن الوظائف التي ترغب المؤسسات الإسلامية ـ في أي مكان في العالم ـ شغلها بكفاءات مسلمة موثوق في دينها ، وفي هذا تحقيق لمبدأ التكامل والتآزر بين المسلمين ..

● **ويرى الأخ عاطف حسين محمد ـ من القاهرة ـ جمهورية مصر العربية** ، ان يخصص باب تحت عنوان [**كيف تعمل للإسلام**] أو [**كيف تخدم امتك الإسلامية**] ، بحيث يتلقى المسلمون مقترحات عملية مفيدة في هذا المجال ، ويتم عرضها عرضاً منهجياً ، بحيث تحدد طريق العمل الإسلامي أمام المسلمين ..

● **ويقترح الأخ أحمد مخيمر ـ من الدمام ـ بالمملكة العربية السعودية ..**

— زيادة الصفحات المخصصة لباب « **الأسرة المسلمة** » وزيادة الاهتمام بموضوعاتها حيث لاحظنا نقص المادة بالأعداد الأخيرة عنها في السنة الأولى .

— استحداث باب جديد للطفل المسلم ، ولست أول من يطالبكم بهذا الباب ، ولن أكون آخرهم ، خصوصاً وانكم اوضحتم مراراً خطورة أثر الغزو على أطفالنا ، فيجب أن تكونوا أول من يقدم البديل ..

— زيادة أعداد النسخ المخصصة للتوزيع في المملكة السعودية من « **كتاب الأمة** » ومن « **مجلة الأمة** » أيضاً ، ويااليتكم تعيدون طبع الكتاب الأول والثاني مرة أخرى .. وصدق أخي الذي سبق أن قال على صفحات البريد : إن ما تطبعونه ـ على كثرته ـ لا يكفي مصر وحدها ..

أصداء

أمامي آفاقاً كبيرة من العلم والمعرفة ، كنت اجهلها نظراً لقلة العلماء بيننا ، وندرة الكتب ذات المستوى الرفيع .. وقد التقيت بالشيخ الغزالي وكذا بالدكتور القرضاوي خلال انعقاد الملتقى السادس عشر للفكر الإسلامي بتلمسان ـ بالجزائر .. وشكرت لهما عملهما هذا الجيد ، الذي كانت له أصداء طيبة ، ولا تزال فوائده ونتائجه تظهر مع الأيام ، ونأمل ان تصدر « **الأمة** » أمثال هذين الكتابين ..] .

● ومن الجزائر — أرسل الأخ **عاشور شامر الهامر** — ولاية المسيلة — يقول :

[أما بعد .. فقد حيرني كثيراً تأخر وصول مجلة « **الأمة** » ، **ولا ادري سبباً لذلك ، وكل ما اعرفه هو ان الشباب الذي بدأ ينضج يترقب وصول « الأمة »** ليتعلم أمور دينه من خلال ما تنشره هذه المجلة الفتية من مواضيع مفيدة ورائعة إلى حد بعيد .. وعليكم أن تطلقوها لتضيء كل أرجاء العالم الاسلامي ..

إن أعجب ما في « **الأمة** » ، **حديقتها** التي تزخر بالعبر والأقوال ، التي لو طبقها المسلم — **على هدي من الكتاب والسنة** — لأصبح سعيداً هانئاً .. وأذكر على سبيل المثال ما نشر في حديقة العدد الرابع من أقوال امرأة تصف زوجها فتقول : « **والله لقد كان ضاحكاً إذا دخل .. صامتاً إذا خرج ، آكلاً ما وجد ، غير سائل عما فقد** » ..]

هذا ما يفعلونه ، فماذا فعل المسلمون للتصدي لهذا الهجوم ؟!] .

● **وضمن مجموعة كبيرة من الرسائل التي تتردد « الأصداء » فيها حول « كتاب الأمة » الثاني — والتي نتابع نشر بعضها بإذن الله — كانت رسالة الأخ جديبي المداني من الجزائر — المسيلة ، التي يقول فيها :**

[... وكتاب الأمة الثاني « الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف » للدكتور يوسف القرضاوي ، هو بحق دراسة دقيقة ورائعة وشاملة لقضية ما يسمى بالتطرف

ردود خاصة

■ **الاخ محمد يوسف محمد الحساني - جمهورية اليمن الشمالية ..**

●● [تم تعديل العنوان حسب طلبكم .. وأرسلت جائزة المسابقة على العنوان الجديد ..] .

■ **الإخوة اعضاء الجماعة الإسلامية في بلجيكا ..**

●● [لا يزال طلب « **الأمة** » قائماً ، ويمكنكم عرض إمكاناتكم المتاحة ..] .

■ **الاخ سامي عنتر عبد العزيز - جمهورية مصر العربية ..**

●● [يمكنكم الحصول على بعض أعداد « **الأمة** » بريدياً ..] .

■ **الاخ حمدي ج.ح.ع - من الدوحة - دولة قطر ..**

●● [لم يكن نشر رسالة الأخت المسلمة في « **باب الأسرة** » إلا للتذكير فقط بقضية الضوابط والتدابير الشرعية - التي تضمن استمرارية الحياة الزوجية في جو من الألفة والمودة والرحمة المتبادلة ، والتي يتبعها الشباب المسلم على الرغم مما يشهده عصرنا الحاضر من انقلاب في الموازين ، وتعطيل لموجبات الشرع ..] .

■ **الإخوة الذين يطلبون معرفة عنوان الشيخ يوسف القرضاوي :**

●● دولة قطر — الدوحة

جامعة قطر - كلية الشريعة

الديني التي أتُخذت ستاراً لضرب الحركات الاسلامية ، وكأنما الحركات الحزبية والإقليمية والشيوعية المنتشرة في العالم الاسلامي بعيدة عن التطرف والعنف !.. والأخ عمر عبيد حسنة تناول هذا الامر في « التقديم للكتاب » حيث أوضح أن مصطلح « التطرف » استخدم أول ما استخدم في اسرائيل لتدمير الحركة الاسلامية ، وكيف اننا استوردناه من خلف السهوب ومن وراء البحار .

واقترح على الإخوة من الشباب أن يهتموا بهذا الكتاب القيم ، وأن يدرسوه جيداً ، لأنه أروع مصدر طالعته في «فقه الدعوة» حديثاً ، أحسبه كذلك ولا ازكي على الله أحداً]

واحة الإخاء

■■ **تحت هذه الفقرة من « بريد الأمة » .. ولدت افكار جديدة ، وظهرت اقلام شابة ، حيث يبدأ الإخوة القراء بعرض محاولات المشاركة من خلال رسائلهم في « واحة الإخاء ■■**

○ **يقول الأخ علي رباحي - من الجزائر العاصمة :**

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد .

إنكم - والله - لتستحقون الشكر على ما قدمتموه - خلال عامين - وتقدمونه بإذن الله على صفحات « **الأمة** » من العلم النافع ، والقضايا الإسلامية التي تساهم - بجدارة - في صياغة وعي أبناء « **الأمة** » ..

.. **إن مجلتنا « الأمة »** تتمتع بشهرة واسعة في كل مكان أذهب إليه في الجزائر ، خصوصاً بين أبناء الحي الذي أسكن فيه ، الذين يتلهفون ويواظبون على قراءتها ..

.. وأود أن أعبر لكم عن مشاعري - بصدق - فأنا أعتبر نفسي من أبناء « **الأمة** » المجلة ، التي لا تزال - بفضل الله - تزخر بالعطاء الإسلامي ، فكراً وعقلاً ووجداناً .. وأمنيتي أن يوفقني الله إلى أن أشارك في طرح الأفكار التي تحظى بالقبول ..] .

○ **وأرسل الأخ محروس محروس عبد السلام - من الإسكندرية - جمهورية مصر العربية يقول :**

[.. تحية من عند الله مباركة طيبة .. فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .. وبعد .

للمرة الثانية - بكل فخر واعتزاز - أبعث إليكم مهنئاً ومحيياً ، سائلاً الحق تبارك وتعالى لكم تمام السداد والتوفيق في سبيل النهوض والرقي ، والسمو بصحافتنا الإسلامية .. والحق أقول ، إن « **الأمة** » في الوقت الحاضر تمثل بالنسبة للمسلمين في شتى أنحاء بقاع الأرض - على اختلاف قاراتها - المرجع الصادق ، والمصدر الغني بشؤون المسلمين في العالم ..

مع فائق تقديري ، أدعو الله أن يجزيكم خير الجزاء ..] .

○ **ويقول الأخ خالد عبد الله - من الأردن - في رسالته :**

[... أود أن أشكر جميع المساهمين في تأسيس هذا الصرح العظيم « الأمة » ، فهي بحق زاخرة بصنوف المعرفة والعلوم الاسلامية ..

إنني أتابع بشغف كل ما تنشره « الأمة » وخاصة الاستطلاعات المصورة فإنها تسترعي الاهتمام وتستحق التقدير .. أسأل الله العلي القدير أن يسدد خطاكم]

○ **ومن الاخ حمزة المدني ، أمين المكتبة الاسلامية بولاية كيرالا بالهند جاءت رسالة تهنئة وتقدير باسمه وباسم الإخوة معلمي اللغة العربية في المعاهد الحكومية بكيرالا .. يقول فيها :**

[.. إن أعضاء المكتبة وروادها من معلمي اللغة العربية يستفيدون من « **الأمة** » فائدة كبيرة ، لما تتضمنه من الموضوعات القيمة التي تعالج مختلف القضايا الاسلامية بأسلوب رصين ..

لقد اطلعنا على كثير من المجلات العربية الاسلامية ، فوجدنا أن « **الأمة** » فريدة في بابها فهي بحق مجلة الأمة الاسلامية ..

فإلى أسرة « الأمة » نهدي التهاني والتحية من أعماق قلوبنا ، ونسأل الله أن يبارك جهدكم]

○ **ومن القصيم - بريدة - بالمملكة العربية السعودية ، أرسل الأخ عبد الرحمن بن صالح العوميس يقول :**

[... لا يسعني إلا أن أشكر لكم جهودكم المخلصة بإصدار كتاب « **مشكلات في طريق الحياة الإسلامية** » لأن فيه من المعلومات القيمة والرؤية الصائبة ما يصلح به أحوال المسلمين ، وخاصة الشباب الذين هم في حاجة إلى مثل هذا الكتاب لينير الطريق أمامهم] .

القمـــة الخليجيـــة .. والعمـــل الجمـــاعي ...

■■ على مدى ثلاثة أيام ، ٢٣ ـ ٢٥ محرم ١٤٠٣هـ عقدت الدورة الثالثة للمجلس الأعلى للتعاون الخليجي اجتماعاتها في المنامة ـ عاصمة دولة البحرين ـ استعرضت خلالها الروابط السياسية والاقتصادية بين الدول الأعضاء ، والوضع الأمني في منطقة الخليج على ضوء الأحداث الجارية ..

ويشير البيان الختامي الذي صدر في ختام أعمال الدورة إلى أنه قد تم حث أجهزة مجلس التعاون ولجانه للمضي نحو المرحلة التالية من العمل الجماعي واتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ برنامج التعاون المتفق عليه ، تحقيقاً لنصوص وروح المبادىء التي تضمنها النظام الأساسي من تقوية وتوثيق الأواصر ..

هـذا ، وقد تم في هذا المجال تحقيق خطوتين عمليتين أسفرت عنهما أعمال الدورة ، هما :

- إعلان بدء تنفيذ المرحلة الأولى من الاتفاقية الاقتصادية الخليجية الموحدة ، بدءاً من غرة جمادى الأولى من السنة الهجرية الحالية ١٤٠٣هـ ، وهي الاتفاقية التي تكفل ـ بإذن الله ـ تحقيق التكامل الاقتصادي ..
- أما الخطوة الثانية ، فهي الموافقة على إنشاء مؤسسة الخليج للاستثمار ، التي تعتبر مرحلة هامة على طريق استعادة رأس المال العربي من خارج العالم الإسلامي ..

ويبقى الأمـل أن تلتزم المؤسسة النظام الاقتصادي الاسلامي لتحقيق الاستقلال الاقتصادي .

وحول قضية فلسطين ـ القضية الإسلامية العربية الأولى ـ أكد البيان الختامي على أنه لا سبيل إلى تحقيق سلام إلا بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك القدس الشريف ، وإزالة جميع المستعمرات الصهيونية ، كما طالب بانسحاب إسرائيل الفوري وغير المشروط من جميع الأراضي اللبنانية ..

وقرر المؤتمر أن تعقد الدورة الرابعة ـ بإذن الله ـ في دولة قطر في شهر صفر من العام الهجري القادم ـ ١٤٠٤هـ (نوفمبر ١٩٨٣م) ■■

صراعات حول خلافة بابراك كارمل ، واستراتيجية الحصار الصحي ..

□□ **الشتاء الثالث في كابول سيكون قارساً أيضاً هذا العام بالنسبة للجنود السوفييت بعد مرور حوالي ثلاث سنوات على دخول تسعين ألفاً منهم أفغانستان** ، بينما لا تزال الحرب ـ التي خفت حدتها إعلامياً ـ مستمرة في معظم مناطق البلاد بين المجاهدين المسلمين والجنود السوفييت ، والجيش النظامي الأفغاني .

معظم المدن شهدت مؤخراً عمليات عسكرية تؤكد مدى ثبات المجاهدين ، وتصور مدى التحدي في مواجهة الوضع المهتز لحكومة **بابراك كارمل** ، رغم استناده إلى الدروع السوفييتية ..

فعلى الصعيد الداخلي ، تفيد التقارير الواردة من العاصمة **كابول** أن محاولة كارمل للسيطرة على زمام الأمور في الجيش ـ مباشرة ـ قد كثفت الخلافات بين الحزبين الحاكمين « **خلق وبرشم** » ، وتقول مصادر **وكالة الأنباء الأفغانية** : إن الضباط السابقين يطالبون بتسليم السلطة لهم ،

وهؤلاء الضباط يدعمهم وزير المواصلات العقيد « **أسلم وطن جار** » ، الذي يعتبر من أبرز الشخصيات في الانقلاب الشيوعي عام ١٩٧٨م .. ولـذلك يتـوقع المـراقبون أن يتعرض كارمل للمصير نفسه الذي تعرض له **نور تراقي** حينما قضى عليه **حفيظ الله أمين** في القصر الرئاسي بمساعدة وتأييد الجيش ، ولهذا فإن الإدارة الأفغانية تبالغ في اتخاذ الاجراءات لحماية كارمل بمضاعفة عدد الدبابات أمام القصر .. كما أعدت ترتيبات لإيقاف أي اشتباكات محتملة داخل القصر بين أنصار الحزبين (**خلق وبرشم**) ، وقد سبق بالفعل أن وقعت ـ مؤخراً ـ محاولة لاغتيال وزير الدفاع الجنرال **محمد رفيع** في مطار « **با غرام** » العسكري ، أعدم على إثرها أحد الضباط من حزب خلق رمياً بالرصاص دون محاكمة ، بينما استدعت موسكو الجنرال في محاولة للتخفيف من حدة التوتر بين المجموعتين ، وتم تعيين الجنرال **عبد القادر** ـ من سلاح الطيران ، ومن حزب برشم ـ وزيراً للدفاع بصورة مؤكدة ، ولكنه فشل بدوره في إقناع ضباط حزب « خلق » بصلاحية رئاسة كارمل وإزالة

الخلافات بين الضباط من كلا الحزبين .

هـذا ، وتتردد شائعات في الأوساط السياسية في مدينة « **قندهار** » ـ ثاني أكبر المدن الأفغانية ـ بأن السوفييت سيعينون ـ ظاهر أفق ـ أحد القادة الشيوعيين في المدينة ، رئيساً للجمهورية بعد عزل كارمل عن الرئاسة وإقصائه ، ويؤكد ذلك ما قامت به الأوساط السياسية بالمدينة من إزالة جميع صور كارمل من المكاتب الإدارية الرسمية ..

والمرشح الجديد للرئاسة ـ **ظاهر أفق** ـ كان من الأعضاء البارزين في حزب « **خلق** » الموالي للاتحاد السوفييتي ، واستقال قبل عشر سنوات بسبب خلافاته مع **نور تراقي وكارمل** ..

ومن المعروف ـ في الأوساط السياسية ـ أن أسباب هذه الخلافات ترجع إلى اتهامات وجهها إلى تراقي باختلاس كميات هائلة من السكر عندما كان مديراً لمصنع « بغلان » للسكر ، وأنه ـ أي تراقي ـ قبل منصب الملحق العسكري لظاهر شاه في أمريكا عام ١٩٧٢م .. إلى جانب أن ظاهر أفق كان لا يميل إلى تعيين تراقي نائباً لرئيس

○ المجاهدون يصدون الهجوم على بانشير للمرة السادسة ○

○ نور تراقي ○

○ حفيظ الله امين ○

○ بابراك كارمل ○

حزب خلق لكونه ابن أحد الجنرالات في عهد ظاهر شاه ، ولذلك فقد انفصل « ظاهر افق » وشكل حزباً سرياً باسم « ملي ديمقراطك » ، وكان أعضاؤه معروفين في البلاد باسم « الانتقاديين » ..

وتفيد التقارير أنه بعد فشل الاتحاد السوفييتي في إزالة الخلافات بين الحزبين فإنه على اتصال دائم مع « ظاهر أفق » ..

هـذا في الوقت الذي فقد فيه كارمل ثقة حزبه ، حيث يسعون إلى عزله وتعيين « سلطان لي كشت مند » نائب رئيس الحزب رئيساً للبلاد .. بينما وصلت طموحات مجموعة خلق إلى تعيين رئيسهم أسد الله سرور للمنصب نفسه ..

وعلى الصعيد العسكري يحاول الاتحاد السوفييتي جهده في تنفيذ استراتيجية جديدة تهدف إلى إضعاف القواعد الخلفية للمجاهدين ، وذلك بإخلاء المناطق المتاخمة للعاصمة كابول ، حيث جرت عمليات قصف القرى الواقعة على مدى حوالي ثلاثين كيلومتراً ، لتنفيذ استراتيجية الحصار الصحي ، كما يسميها الجيش السوفييتي ..

ويفسر المراقبون الهجوم الحالي حول العاصمة بأنه تعبير عن رغبة القيادة السوفييتية في فك الحصار الذي يفرضه المجاهدون ، ويضيق عليهم الخناق في كابول شيئاً فشيئاً ..

ومن ناحية أخرى كشف المجاهد برهان الدين رباني النقاب عن الأسلوب المتطور الذي يطبقه المجاهدون بتشكيل هجمات عسكرية ناجحة داخل حدود السوفييت خاصة في طاكجستان وأزبكستان لاستنزاف طاقاته .. وأضاف رباني في تصريحه الذي أدلى به لمراسل وكالة الأنباء القطرية في الرياض : « إن من أعظم معاركنا أمام الجيش الأحمر فشله الذريع في دخول « بانشير » ، وهي واحدة من اهم قلاعنا ، وقد حشد لهذه المعركة عشرين الف جندي والف دبابة ومائة طائرة ، ولم يستطع دخولها رغم طول حصاره لها » .

ومن المعروف أن هذه هي المرة السادسة التي تقوم فيها القوات السوفييتية بالهجوم على وادي بانشير ، وهو الموقع الاستراتيجي الذي يهدد بقطع المواصلات بين كابول والاتحاد السوفييتي ، ومما لا شك فيه أن القيادة السوفييتية قد سعت من وراء هذا الهجوم ـ بالإضافة إلى الأهمية الاستراتيجية ـ نحو عامل نفسي يمهد إلى رفع الروح المعنوية بين صفوف جنودها ..

وفي مجال ربط أفغانستان مع الاتحاد السوفييتي ، بدأ السوفييت عملية إنشاء سكك حديدية تبدأ من محافظة « **هرات** » ، كما تم بناء جسر كبير من طابقين على نهر « **آمو** » ، خصص أعلاه للقطار بينما الجزء الأسفل لمرور السيارات .. □□

قراءة ثقافية

جامعة القرن الخامس عشر ...

□□ **مشروع جريء ، طرحه مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية بالأردن** ، غايته إنشاء جامعة إسلامية عامة باسم **« جامعة القرن الخامس عشر »** تقوم على : **الشمول والتكامل** بحيث تستوعب جميع العلوم التي تدرس في جامعات العالم العلمية العريقة .

● تنشأ على أرض الدولة المسلمة التي تقدم تسهيلات أكثر .

● تستوعب مائتي ألف طالب ..

ويؤكد المشروع على أن تمويل الجامعة المقترحة لن يكون عبئاً على الدولة الممولة ، ولكنه سيعود عليها بالربح المادي ، عندما يبدأ تحصيل الرسوم من المنتسبين إلى الجامعة ..

ويبين كذلك أن الكادر الوظيفي والتدريسي اللازم للجامعة متوفر من الكادر المسلم الذي يملأ جامعات الغرب ..

ويركز المشروع على بعض الفوائد التي يمكن للأمة أن تجنيها من الجامعة المقترحة ، وفي مقدمتها :

● الحفاظ على أخلاق الطلبة ، وسلامة معتقداتهم ، ودرء المفاسد الوافدة عنهم ..

● توفير العملة الصعبة التي ينفقها الطلبة المسلمون في الجامعات الأجنبية .. □□

« الإسلام اليوم » ...

□□ عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (**أسيسكو**) تصدر - قريباً - مجلة إسلامية جديدة بعنوان [**الإسلام اليوم**] ، بثلاث لغات ، هي : العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، وتعتمد منهج التكامل بين الأصالة والمعاصرة في سبيل بناء المستقبل ..

هذا ، ومن المعروف أن المنظمة هيئة دولية تعمل تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي ، بهدف تقوية التعاون بين الدول الأعضاء في ميادين الثقافة والبحث العلمي ، وجعل الثقافة الإسلامية محور مناهج التعليم في جميع مراحله ومستوياته ، ودعم الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وحماية استقلال الفكر الإسلامي من عوامل الغزو الثقافي والمسخ والتشويه ، وتطوير العلوم التطبيقية ، واستخدام التقنية المتطورة في إطار القيم والمثل العليا الإسلامية الثابتة ، وصيانة معالم الحضارة الإسلامية وخصائصها المتميزة .. □□

مهمة حربية في ألبانيا المحتلة ...

□□ أثار عرض مسرحية « **الوطني** » ، - للكاتب الإسرائيلي « **هانوخ ليفين** » على مسرح « **زيديك** » بتل أبيب - جدلاً عنيفاً في الأوساط السياسية في إسرائيل ، وصرحت دوائر البوليس بأنها ستوجه اتهامات ضد عرض المسرحية ، ليس لأسباب سياسية بل لأنها تهاجم **القيم اليهودية الأساسية** ، الأمر الذي

تصريحات وأقوال

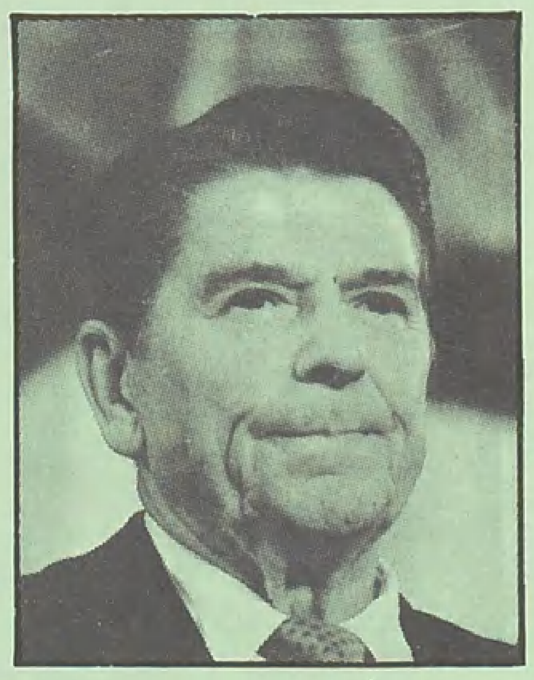

■ حكومة الرئيس ريجان لم تهدد بتخفيض المعونة الاقتصادية لإسرائيل احتجاجاً على قرارها بالمضي في بناء المستوطنات .. ولم يحدث في أي من اجتماعاتي مع أي مسؤول في وزارة الخارجية أن قيل شيء يمكن تفسيره ، ولو من بعيد ، على أنه تفكير بأية وسيلة في استخدام المعونة الاقتصادية الأمريكية لإسرائيل كأداة سياسية .

(موشى أرنيز - السفير الإسرائيلي في واشنطن)

■ مع حلول عام ١٩٨٥م ، فإن سبعة وثلاثين مشروعاً استيطانياً جديداً سيكتمل لتوطين ثمانين ألف يهودي في الضفة الغربية ، وإن مائة ألف يهودي سيستوطنون مائة وستين مستوطنة في عام ١٩٨٧م .. إننا لا نعمل مع أو ضد خطط الرئيس الأمريكي .. نحن فقط نعمل وفق خططنا .

(ميخائيل ديكل - وزير الزراعة الإسرائيلي ، ورئيس إحدى لجان إنشاء المستوطنات)

■ ٦٣ ألف لاجيء فلسطيني في جنوبي لبنان و ٩٥٠٠ آخرون في مناطق أخرى من البلاد بلا مأوى في الوقت الحاضر حيث هطلت بشدة أول أمطار الشتاء .. وعمليات الإغاثة متأخرة عن موعدها ، ليس بسبب موقف الجانب الإسرائيلي ، ولكن لأن السلطات اللبنانية تود أن ترى اللاجئين وهم يذهبون إلى مكان آخر .

(من تقرير وكالة غوث اللاجئين)

يعد انتهاكاً للقانون .. وبالفعل ، قام البوليس باستجواب اثنين من مديري المسرح ووجه إليهم تحذيراً من استمرار العرض ..

وكان **يوسف بورج** ـ وزير الداخلية وزعيم الحزب الديني الوطني في الائتلاف الحكومي ـ قد انتقد بشدة أعضاء « **الكنيست** » الذين حضروا عرضاً للمسرحية خارج المسرح بعد صدور قرار مجلس الرقابة بحظرها .. وقال : « **إنكم تبصقون في وجه القانون** » ، وتدور أحداث المسرحية حول **شاب إسرائيلي « وطني » يشتري قطعة أرض بالضفة الغربية ـ كأحسن مشروع استثماري ـ من البائع ، وهو أحد أعضاء جماعة « جوش أيمونيم » اليهودية المتطرفة التي تتمسك بالمستوطنات .. وفي نهاية المسرحية ، يُقتل « الوطني » برصاصة في ظهره ، بينما يقوم بتنفيذ مهمة حربية إسرائيلية لاحتلال ألبانيا (البعيدة)** ..

● مهمة حربية في البانيا المحتلة ●

وفي السماء يحاول « الوطني » إزاحة « الرب » عن عرشه ، ويقول :

[هذا الكرسي لي لأنني أحتلـه] ...

ويكشف العرض الوجه الحقيقي للصهيونية من خلال المشاهد .. منها مشهد يصور مجلس الحاخامات ، وهو يعقد صفقات تجارية مع عصابات المافيا ، ويبيع لحم الكلاب وكأنه « **الكوشير** » : اللحم المباح في العقيدة اليهودية .. ومنها المشهد الذي يصور تعذيب طفل عربي بحرق أطرافه بلهب « **شمعدان المعبد** » .. ◻◻

التعبير بالصورة

قساوسة الكنيسة الشرقية « الأرثوذكس » في خشوع أمام جسد بريجنيف !!

الجامعات الإسلامية .. التجربة والنتائج

◻◻ في إطار المواسم الثقافية الإسلامية التي تقيمها ـ سنوياً ـ **رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر** .. بدأ الموسم الثقافي الخامس ـ في منتصف الشهر الماضي ـ بمناقشة بعض جوانب « **من قضايا الجامعات في العالم الإسلامي** » في محاضرة ألقاها **مدير جامعة قطر** ، تناول فيها المنطلقات التي حدد من خلالها موضوع المناقشة على ضوء العنوان المطروح ، خاصة في مجال التعريف بمفهوم العالم الإسلامي المعاصر ، ومقومات استمراره بالعقل والفكر والعمل معاً ، ومسؤولية الأمة الإسلامية في بناء المستقبل ، انطلاقاً من نقطة البدء ، وهي أرض الواقع الحاضر ، ودور جامعات العالم الإسلامي في هذا المجال ، وذلك . بعد عرض لأوجه التشابه والاختلاف بينها وبين جامعات العالم غير الإسلامي ، على أساس طبيعة المجتمع الذي تقوم فيه كل منها ودرجة التفاعل الناشيء عن حاجات هذا المجتمع .. موضحاً قضية ارتباط جامعات العالم الإسلامي بمدلولات : التطور والتنمية والتقدم والتحديث والتغريب ، ومدى تأثيرها على طبيعة المؤسسة التعليمية وأهدافها ، وأسلوب عملها ، ووسائل تعاملها ، ودرجة تفاعلها مع المجتمع ، ومواكبتها لحركته المستمرة .. حيث أكّد على ضرورة تحدي الأنموذج الغربي ـ الذي قامت على أساسه الجامعات العصرية ـ ليس عن طريق الرفض والتوقف ، ولكن بتقديم البديل الإسلامي الذي يعتبر بالدرجة الأولى قضية فكرية ، ثم أوضح أنه ما لم يقم الفكر الإسلامي على أرضية خصبة تحتوي كل العناصر القادرة على إحداث التطوير ، فإن المسيرة سوف تطول ، مشيراً إلى أن هذه العناصر تشمل المسجد ـ كمؤسسة تعليمية أولى وهامة ـ والبيت والتلفزيون والصحافة ، ومجموعة الأصدقاء .. إلى جانب الجامعة والمدرسة ..

ثم انتقل المحاضر إلى الحديث عن دور الجامعات الإسلامية وتطورها التاريخي منذ ظهورها في **العصر العباسي** ، والتجارب الحديثة التي تمارسها في **أندونيسيا والملايو ومصر** ، ومدى ما حققته من نتائج في المرحلة الحالية ، مؤكداً على أنه لا توجد نتائج نهائية في هذا المجال ، ثم عرض لتجربة « **جامعة قطر** » وما تتميز به من الوضوح الفكري منذ البداية ، وسواء استطاع هذا الفكر أن يصل إلى مواقع بعيدة في مجال التطبيق أم ظل قاصراً عن الوصول لبعضها ، فإن محوره قد بقي يدور حول علاقة المجتمع بالأفراد لتحقيق الانتماء والفائدة من كل ما يصل إليه العقل البشري .. ◻◻

أخبار قصيرة

○○ الجذور الفينيقية !!..

تحت هذا المسمى : « العمل المتبادل للمجلس اللبناني الإسرائيلي للصداقة والتنمية » .. تكونت مجموعة ذات نشاط كبير ، تضم من الجانب الإسرائيلي الكاتب أهارون أمير ، والصحفي جابرييل سيفروني وموشيه زئبار المدير السابق لبنك الدولة ، ومن الجانب الآخر الشاعرة مي المر ، ورجل القانون ريمون ملاط ، وعدد من الشخصيات التي تنتمي فكرياً إلى قطاع يرفض الطابع العربي للبنان لصالح ما يسمى بالجذور « الفينيقية » .. ○○

●● في الضفة الغربية، منحت سلطات الاحتلال « شركة مياه إسرائيل ـ ميكوروت » امتياز ضخ المياه من جميع الآبار ..

ومن المعروف أن سلطة المياه كانت ، ومنذ عام ١٩٦٧م ، تعمل بموجب القوانين السابقة للاحتلال وتحت إشراف الحاكم العسكري الذي لا يحق لـه إعطاء الامتيازات أو تغيير القوانين .. ●●

○○ عدد سكان جمهورية ازبكستان ـ إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي ـ ١٦ مليون و ٨٠٠ ألف نسمة ، يعيش خُمسهم في محافظة طشقند ..

من المعروف أن ازبكستان كانت بلاداً إسلامية قبل غزو الاتحاد السوفييتي لها وضمها إليه .. ومعظم سكانها من المسلمين ، ولذلك تقوم السلطات السوفييتية حالياً ببناء منطقة سكنية هناك ، كمستوطنات للروس .. ○○

○○ وزير التعليم البنغالي أعلن أنه تقرر تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية مادة إجبارية بعد أن كانت مادة اختيارية ، وذلك اعتباراً من يناير (كانون الثاني) المقبل بإذن الله ○○

●● جاء في تقرير للمؤتمر الدولي للتنمية والتجارة « **انتكاد** » حول هجرة الأدمغة من العالم الثالث أن قيمة الكفاءات التي هاجرت إلى أمريكا خلال عام واحد فقط (١٩٧٠م) ، بلغت حوالي بليون دولار .. وأن حوالي ٨٨٣ مليون دولار قد وفرتها أمريكا من ميزانية التعليم نتيجة قبولها مهندسين وأطباء من العالم الثالث ●●

○○ نشرت صحيفة « الاتحاد » التي تصدر في أبو ظبي ، بتاريخ ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٢م أن كتيبات تنصيرية توزع في الأماكن العامة بالعاصمة كالحدائق والشواطىء ، تحمل في طياتها أهدافاً مريبة ووسائل خبيثة ، مثل برامج المحاضرات والندوات التنصيرية التي تقام في الكنائس وموضوعاتها ، وكذلك حكايات أسطورية يسردها منصرون عن كيفية إقناعهم الآخرين بالإيمان بالمسيح كقوة خارقة لحمايتهم من الشر ○○

■ كتيبات تحمل وسائل تنصيرية.. وتوزع في الأماكن العامة بابو ظبي !! ■

أجهزة التصنت ... وثمن حماية الأسرار

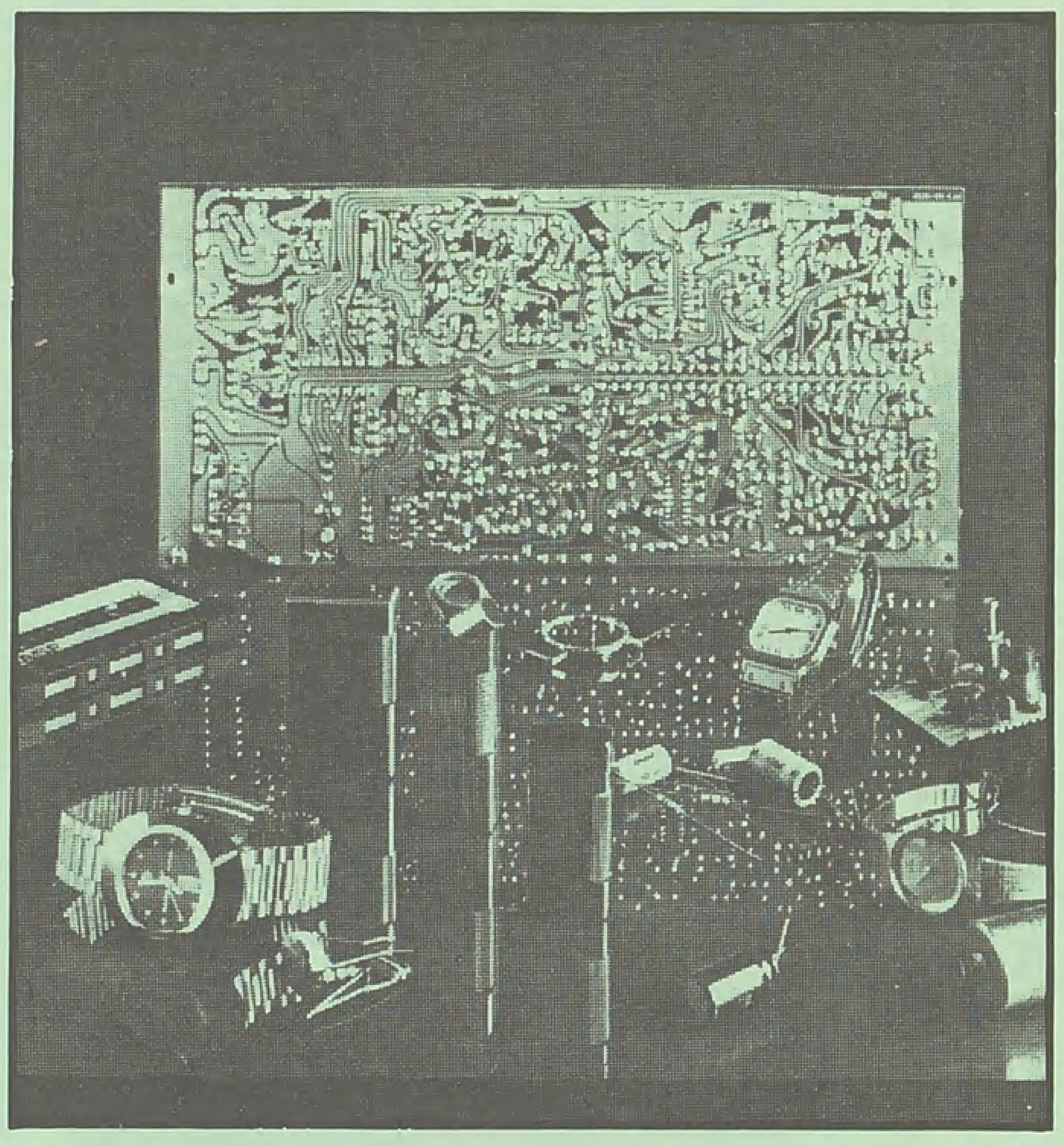

● مجموعة من سجلات « التجسس الفردي » التي أصبحت ملء أسواق أوروبا ●

■■ تشير تقديرات الخبراء الأمريكيين إلى أنه قد تم ـ بطريقة سرية ـ وضع حوالي مائة ألف جهاز للتصنت في عالم رجال الأعمال خلال السنوات الخمس الماضية .. ويقول خبير الاتصالات في وكالة المخابرات الأمريكية ـ سابقاً ـ ديفيد ووترز : إن التجسس الصناعي لم يكف عن التزايد ، وبالرغم من عدم شرعية صنع أو بيع أو حتى امتلاك أجهزة تصنت في الولايات المتحدة ، فمن السهولة الحصول عليها من منتجين أجانب ..

وتؤكد مجلة « **بيزنس ويك** » أن بعض الشركات في ألمانيا الاتحادية تصدر ما يقرب من خمسة عشر ألف جهاز تصنت سنوياً ، الأمر الذي حمل المؤسسات الأمريكية على أن تلجأ إلى خبراء لحماية أسرارها ، وهكذا تشهد صناعة أجهزة مكافحة أجهزة التصنت ازدهاراً واضحاً ..

وبالرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة ، فإن المبالغ التي تنفقها المؤسسات التجارية والصناعية الأمريكية تقدر بمئات الملايين من الدولارات ..

وقد حققت شركة توزيع معدات مكافحة التصنت ذات الكفاءة الحديثة رقم أعمال قيمته ثلاثون مليون دولار في العام الماضي ، وهناك حوالي خمسين حكومة في العالم من بين عملائها ..□□

في عالم الاقتصاد

جولة في السوق العالمية للسلاح ..

■■ **أصبحت منطقة الشرق الأوسط** ـ منذ ما يزيد عن عشر سنوات ـ **أكبر سوق للأسلحة في العالم الثالث** .. فقد جاء في تقرير صادر عن وزارة الخارجية الأمريكية مؤخراً ، أن ثلاثة أرباع الصفقات المبرمة مع الجهات الرئيسية المزودة للأسلحة كانت خاصة بهذه المنطقة ، وشملت أحدث الأنواع على اختلاف تفاصيل المواصفات الفنية الدقيقة ، كما أنها شملت أسلحة للقوات الثلاث الجوية ، والبحرية ، والبرية .

ويشير التقرير إلى أن منطقة الشرق الأوسط قد تلقت **٨٥٪ من الصواريخ (أرض ـ جو)** التي صدرت إلى العالم الثالث ، كما تلقت **٧٠٪ من الطائرات المدرعة ذات الوزن الخفيف والثقيل ، إلى جانب الطائرات النفاثة الأسرع من الصوت** .. وتلقت أيضاً **٥٠٪ من المدافع وزوارق الطوربيد ، وقوارب الدورية ، وطائرات حربية عمودية ، و ٤٠٪ من الطائرات المقاتلة خافتة الصوت ، و ٣٠٪ من السفن الحربية ، و ٢٥٪ من الغواصات** ..

وقد تضمن التقرير الذي صدر بعنوان : [نقل الأسلحة التقليدية إلى العالم الثالث ١٩٧٢ ـ ١٩٨١م] إحصاءات تبين أن الاتحاد السوفييتي فاز بنصيب أكبر من الولايات المتحدة في شحن تسعة أنواع من مجموعة تضم ١٢ نوعاً من الأسلحة إلى الشرق الأوسط .

وعلى سبيل المثال ، **صدَّر الاتحاد السوفييتي** ٤٨٪ من الدبابات والمدافع ذات الطلقات الآلية ، وذلك من مجموع ١٠٫٧٩٠ دبابة ومدفعاً صدرت إلى الشرق الأوسط خلال الأعوام ١٩٧٧ ـ ١٩٨١م ، بينما صدرت الولايات المتحدة ٢٣٪ ، وأوروبا الشرقية ١٨٪ ، وأوروبا الغربية ٨٪ ، والباقي من دول أخرى ..

وخلال الفترة نفسها ، صُدِّرت ٤٥ سفينة حربية ضخمة إلى الشرق الأوسط ، ٤٢٪ منها عن طريق الاتحاد السوفييتي ، و٢٤٪ من أوروبا الغربية ، و١٨٪ من أوروبا الشرقية ، و١٦٪ من الولايات المتحدة الأمريكية .

أما فيما يتعلق بالطائرات المقاتلة الأسرع من الصوت ، فقد صدرت منها إلى الشرق الأوسط ٢٢٥٠ طائرة خلال السنوات الخمس الماضية ، وكان ٦٥٪ منها من **الاتحاد السوفييتي** ، و ١٧٪ من **الولايات المتحدة** ، و ١٠٪ من أوروبا الغربية .. والباقي من دول أخرى مختلفة ..

ويشير التقرير إلى أن الولايات المتحدة قد تفوقت على الاتحاد السوفييتي في مجال تصدير المدرعات الخفيفة والطائرات المساندة لها إلى المنطقة .. وقد بلغ مجموع هذه المدرعات ١٧٠٢٠ ، وكان نصيب الولايات المتحدة منها ٤٢٪ ، ونصيب الاتحاد السوفييتي ٣٨٪ ، كما زودت الولايات المتحدة المنطقة بنسبة ٢٨٪ من مجموع الطائرات المساندة البالغ ١٠٣٠ طائرة بينما زوّدها الاتحاد السوفييتي بنسبة ١٠٪ فقط .

أما **أوروبا الغربية** فقد تفوقت على الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في تصدير نوع واحد من السلاح ، وهو السفن الحربية الصغيرة ، حيث صُدِّرت منها إلى المنطقة ١٢٩ سفينة خلال السنوات الخمس الماضية ، وكان نصيب أوروبا الغربية ٦٣٪ ، بينما كان نصيب كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ٨٪ فقط .

هذا ، وقد تناولت صحيفة « **وول ستريت جورنال** » قضية سوق السلاح في مقال لها بعنوان : « **الحروب الشهية** » جاء فيه : إنه منذ الحرب العالمية الثانية اشتعلت نيران ما يقرب من ثلاث عشرة حرباً ، ذات درجات متفاوتة من حيث الحدة ،

○ لا عودة إلى الأسلحة البسيطة ○

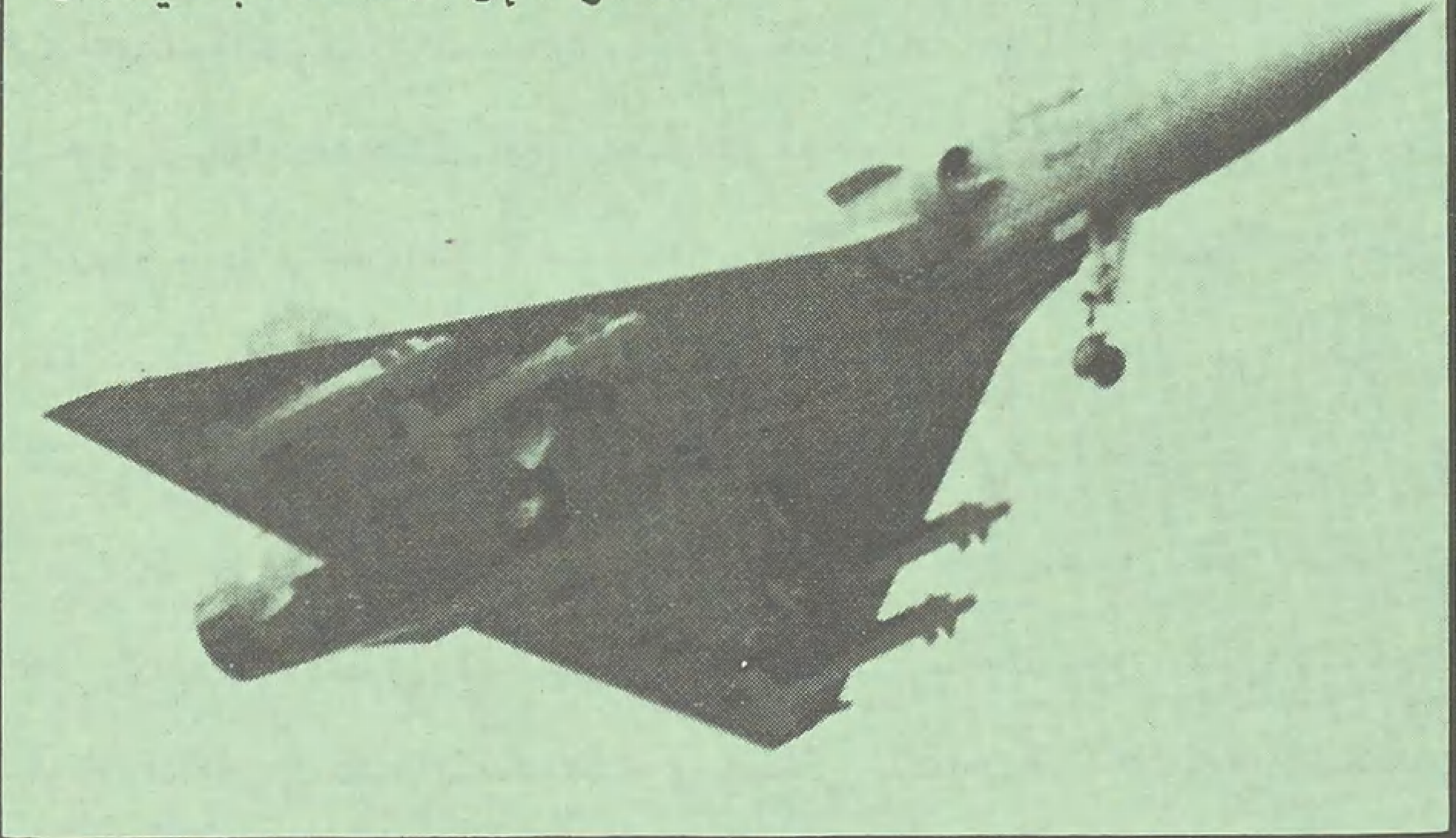

وقد كان للدول النامية نصيب الأسد في هذه الحروب ، حيث انفردت وحدها بحوالي ٩٥٪ منها ، ولم تدخل بالفعل أي من الدولتين الكبيرتين ساحات هذه الحروب بصفة مباشرة ، حيث كانت بالنسبة لها حروباً توكيلية ..

وتضيف الصحيفة أن دول العالم الثالث كانت ـ منذ سنوات قليلة ماضية ـ تمثل بالنسبة للدول الكبرى مجرد « **مقلب للنفايات** » من الأسلحة والذخيرة رديئة النوع ، أما اليوم فقد تغيرت الصورة وأصبحت ساحات القتال معارض يتم فيها عرض أحدث ما توصل إليه تجار السلاح من أسلحة متقدمة في التدمير ..

وتشير الصحيفة إلى أنه من المتوقع أن تتضاعف مبيعات الأسلحة الأمريكية للدول الأجنبية هذا العام ، وذلك من ١٥ بليون دولار إلى ٣٠ بليون دولار .

ومن المعروف أن المعونة الأمريكية لإسرائيل للعام الحالي ١٩٨٢م ، بلغت ٢٫٢ بليون دولار ، منها ١٫٤ بليون دولار في شكل عون عسكري كمبيعات أو ائتمانات حكومية ، و ٨٠٦ بلايين كعون اقتصادي .. ■■

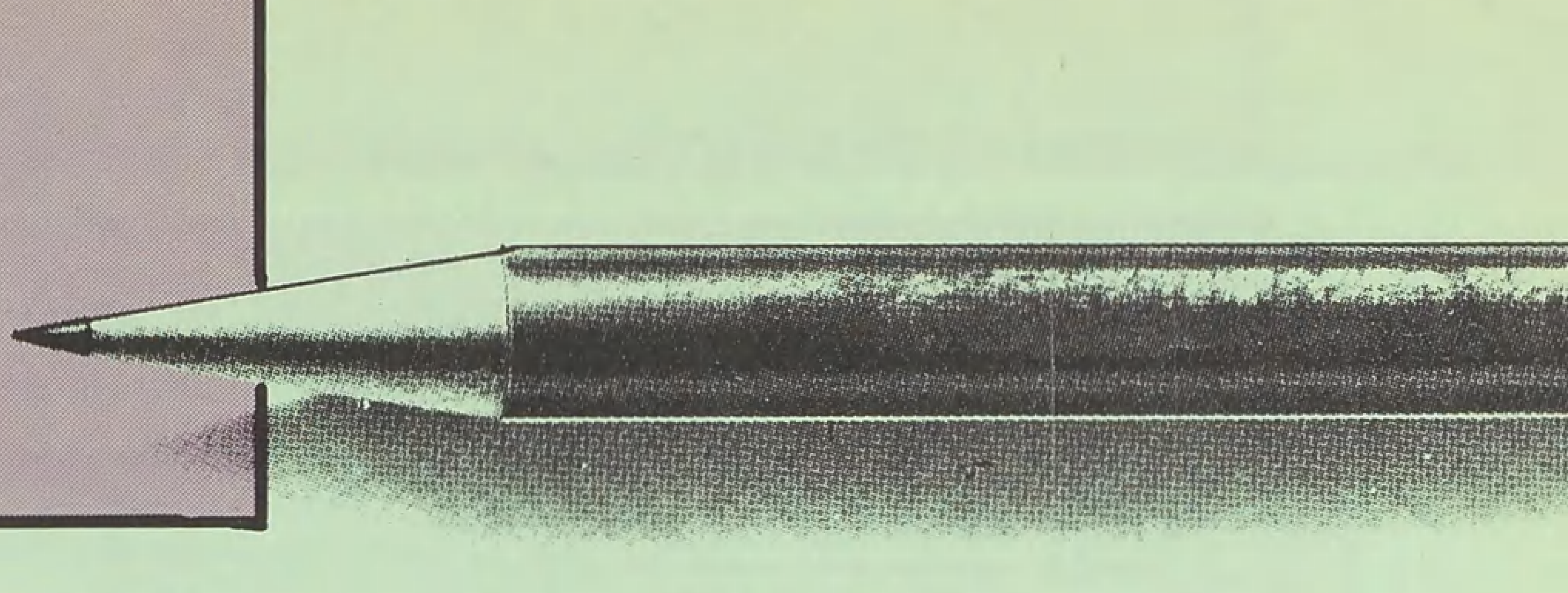

من مفكرة القرن الرابع عشر الهجري ..

■■ يعتقد بعض المؤرخين أن انتشار التعليم بدأ يتسع اتساعاً كبيراً بسبب عوامل رئيسة ثلاثة هي :
- الإدارة المصرية - على عهد محمد علي وابنه إبراهيم - وخطتها في إنشاء المدارس الحكومية .
- البعثات التنصيرية الأجنبية الفرنسية والأمريكية .
- رجال الكهنوت من أهل البلاد الذين أثارت فيهم البعثات التنصيرية النزعة إلى الخير !!

البعثات التعليمية ..

بالنسبة **للعامل الأول** يقول « **جورج أنطونيوس** » في كتابه « **يقظة العرب** » :

أراد نظام **محمد علي** وابنه إبراهيم باشا (أن تكون المدرسة وسيلة تخدم أهدافه السياسية ومطالبه العسكرية ، وكان **- أي إبراهيم بن محمد علي -** يحرص على غرس بذور الوعي القومي العربي !! - وهو الألباني - حتى إن حرصه هذا فاق حرص أبيه على ذلك في مدارس مصر ... واستقدم مربياً فرنسياً ، هو **الدكتور أ . كلوت ، الذي اشتهر باسم كلوت باشا بك ، كان جراحاً فرنسياً قدم خدمات جليلة في مجال الصحة العامة والتعليم الطبي في مصر خلال حكم محمد علي** ، وكان مخلصاً غاية الإخلاص لسيده وللنهضة القومية في مصر !! وقد عني بأن يطبع الطلاب في المدارس العليا التي كان يديرها على الشعور الصحيح بالقومية العربية !! - وكان ذا مكانة مرموقة يعمل مع والده - من أجل أن يقدم له النصح فيما يتبع من أساليب لتحقيق أغراضه ...) .

ثم يقــول :

(... **فقد أثار تجنيد إبراهيم لأبناء المسلمين المخاوف في نفوس آبائهم ، ودفعهم ذلك إلى أن ينشئوا المدارس لتزاحم المدارس التي أنشأها إبراهيم ...**) ، ولم يقدم تفسيراً لخوف المسلمين من هذه المدارس التي أنشأها إبراهيم ...

أما عن **العامل الثاني** ، البعثات التنصيرية ، فيقول :

ويأتي في المقدمة (**المبشرون الأمريكان ، الذين كان لجهودهم أينع الثمرات بفضل ما كان يوجهها من أفكار ، وما كان يدفعها من حماسة ...**) ، ولم يوضح ما هي هذه الأفكار التي كانت توجه ، ولا سبب الحماسة التي كانت تدفع !!

ثم يقــول : (**وفي الوقت نفسه كان المنصّرون جادين في افتتاح المدارس في أنحاء متعددة من بلاد الشام ، وكانت أولى منشآتهم في بيروت والقدس وجبل لبنان ، وقد أقر الدكتور باورنج بتفوقهم في ميدان التعليم** ، فأشار في تقريره الذي رفعه إلى بالمرستون ، إلى المستوى العالي نسبياً الذي وصلوا إليه - مما جاء في التقرير المذكور : **وقد أتيحت لي الفرصة لرؤية كثير من شباب الشام الذين يتعلمون في مدرسة البعثة التنصيرية الأمريكية فوجدتهم يتفوقون على جميع أترابهم في الشام** ، فهم جميعهم يدرسون اللغة الانكليزية ... وقد أنشأ هؤلاء المنصرون في أزمان مختلفة عدة مدارس للبنات ... وكانت النتيجة أن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة من السكان النصارى في بيروت تفوق نسبتهم في أي بلد آخر من بلاد الشام - وتوجوا أعمالهم بإنشاء الكلية البروتستانتية السورية « **الجامعة الأمريكية الآن** » وكان أول رئيس لها **القس دانيال بليس** ، وعندما تقاعد خلفه ابنه **هوارد بليس** ...) إلى أن يقول :

(... **وبذلك كان لجهودهم أكبر الفضل فيما تميزت به الحركات الأولى للنهضة العربية من جيشان فكري** ...) ، ولم تكن البعثات التنصيرية الأخرى أقل نشاطاً من البعثة التنصيرية الأمريكية ، ويأتي في مقدمة هؤلاء : **اليسوعيون ، واللعازاريون ، الذين أنشؤوا مدرسة غزير « جامعة القديس يوسف » وكلية عين طوره** ...) .

وبعد ذلك يتحدث **أنطونيوس** عن الدور الذي أدَّاه « **اليازجي والبستاني** » وارتباطهما مع البعثة التنصيرية الأمريكية للعمل ، وكيف أسسا « **جمعية الآداب والعلوم** » التي كان من أعضائها إضافة إليهما : **إيلي سميث ، وكورنيلوس فان دايك** ، وعدة أعضاء آخرين من الأمريكيين ، وانتسب إليها رجل انكليزي كان يقيم في بلاد الشام هو

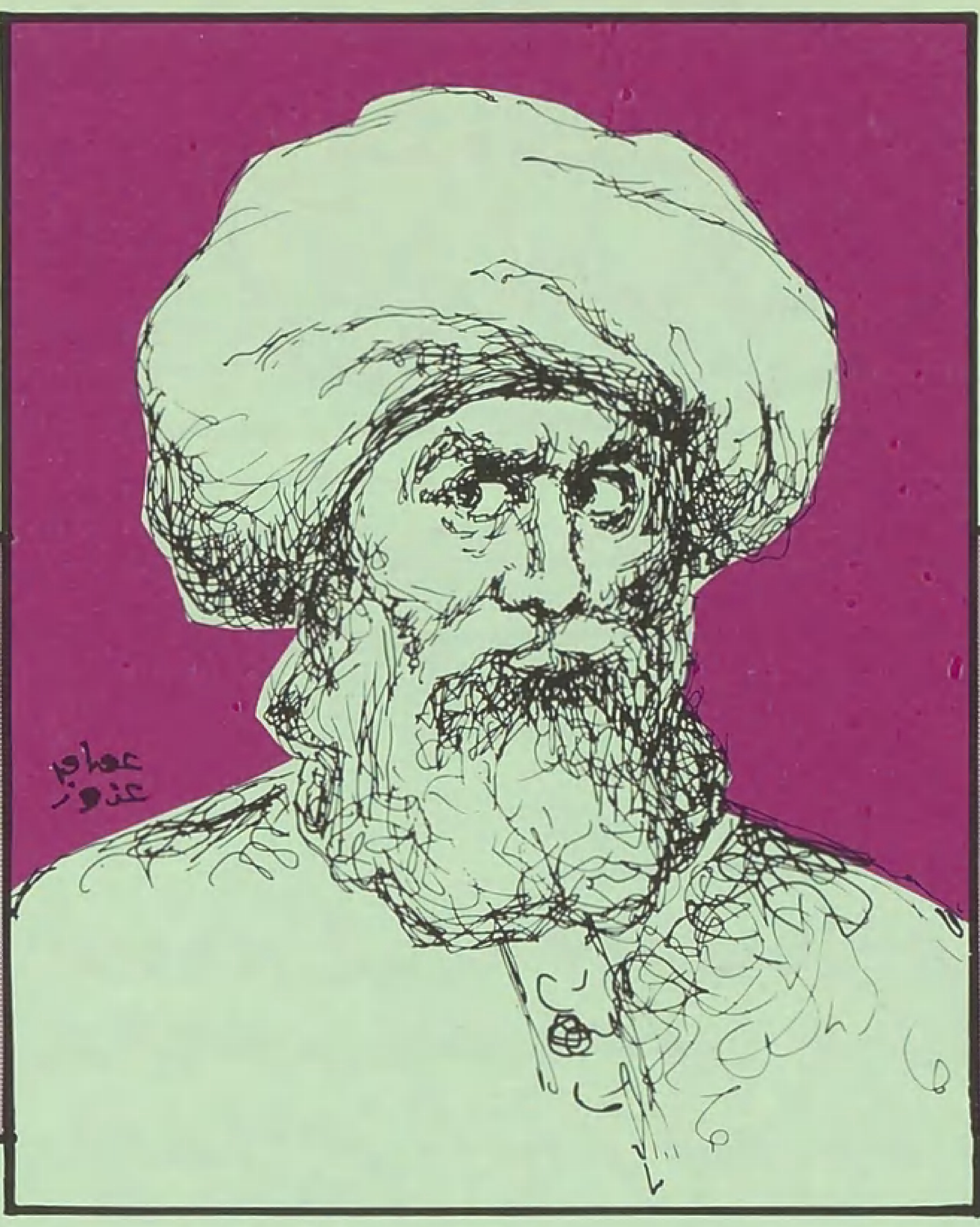

■ محمد علي باشا : المدرسة وسيلة لتحقيق الأهداف السياسية ■

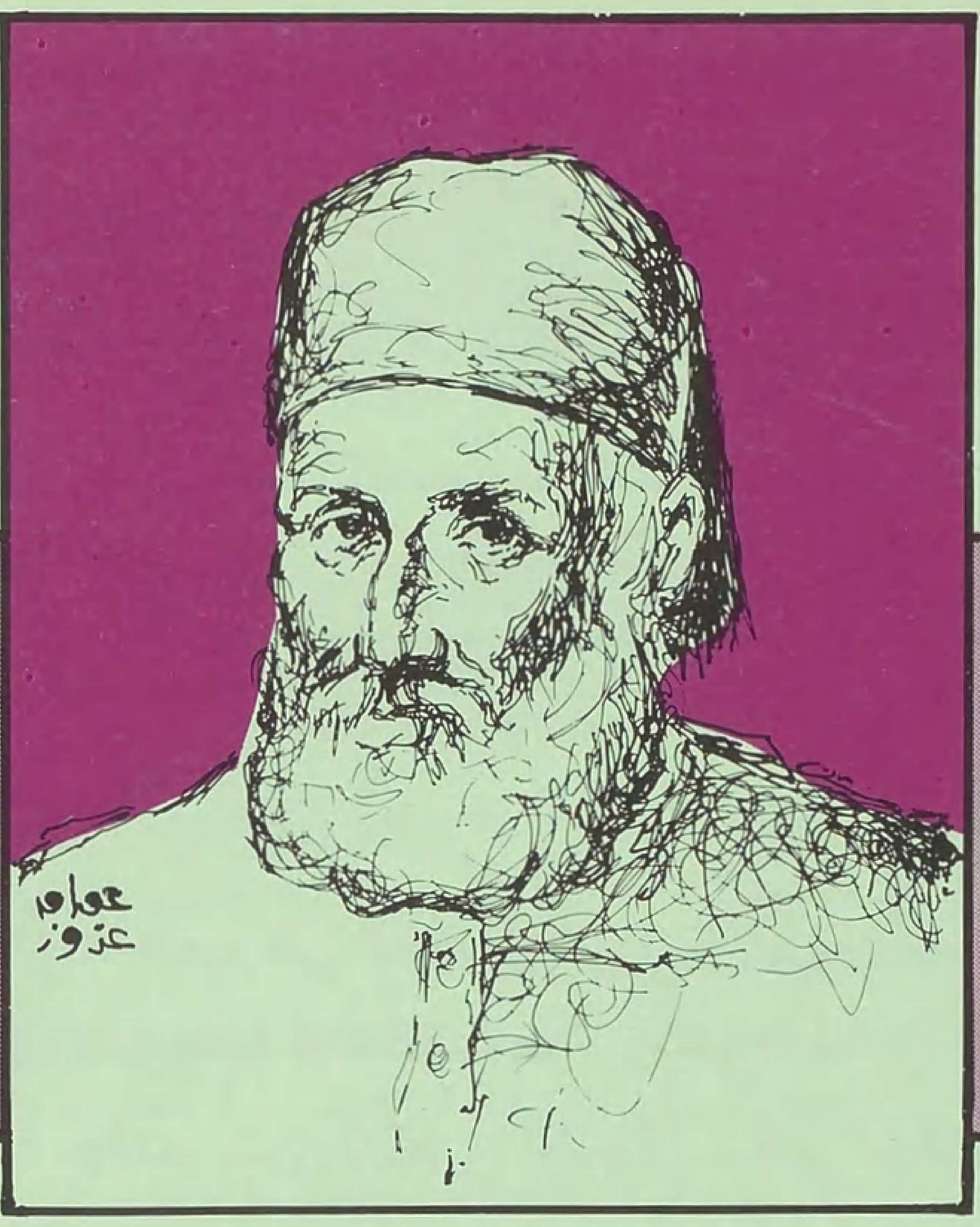

■ إبراهيم باشا : الباني يحرص على غرس بذور نزعة القومية العربية !؟ ■

والتضليل الثقافي

الكولونيل تشرشل ، ولم يمض عامان على تأسيسها حتى بلغ أعضاؤها خمسين عضواً من النصارى ...

وحذا اليسوعيون حذو الأمريكان في هذا المجال فأسسوا « **الجمعية الشرقية** » كان المحرك لها هو الأب النشيط « **هنري دوبرونير** » ، وكان أعضاؤها كسابقتها جميعاً من النصارى ... ثم حلت هاتان الجمعيتان لتحل محلهما جمعية ثالثة هي « **الجمعية العلمية السورية** » التي بلغ عدد أعضائها (١٥٠) **عضواً** من مختلف العقائد ... ويقول **أنطونيوس** : (يحق لنا أن نقول : **إن أول صوت ظهر لحركة العرب القومية كان في اجتماع سري عقده بعض أعضاء الجمعية العلمية السورية** ...) ثم يتابع ليقول : (**يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى سنة ١٨٧٥م حين ألّف خمسة شبان من الذين درسوا في الكلية البروتستانتية السورية ببيروت جمعية سرية ، وكانوا جميعاً نصارى ، استطاعوا أن يضموا إليها نحو اثنين وعشرين شخصاً ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية ، وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشام على صورتها التي عرفتها أوروبا ، فاستطاع مؤسسو الجمعية السرية أن يستميلوا إليهم المحفل الماسوني ويشركوه في أعمالهم** ..) ، ولو أنصف لقال عكس ذلك : إن المحفل الماسوني هو الذي استمال مؤسسي الجمعية وأشركهم في أعماله ...

وبعد ذلك يعود ليعترف بالآثار السيئة على البلاد لهذا التعليم الغربي فيقول : (**كان لانتشار التعليم الغربي آثار سيئة ، حيث لم تعد المعاهد مقصورة على ما كانت تنشئه فرنسة وأمريكة وبريطانية ، بل دخلت الميدان البعثات التنصيرية الروسية والإيطالية والألمانية ، وأضافت جهودها إلى جهود الدول التي سبقتها ، وكان هذا التنوع نفسه شراً جديداً** ، وذلك لأن بعض البعثات التنصيرية أصبحت أدوات للمطامع السياسية ، فاختلطت مساوىء المنافسة الدولية وشرورها بحسنات التعليم ونعمه ...

فكانت الحكومة الفرنسية ، لحرصها على تقوية نفوذها ، تقدم العون المالي إلى البعثات التنصيرية الفرنسية ، وتعاونت هذه البعثات مع رجال الدين من الموارنة والملكانيين ، وبذلت جميعها جهودها لتعليم الشباب الناشىء تعليماً يرمي إلى تكوين عقولهم على النمط الفرنسي ، وتوجيه أنظارهم وولائهم الفكري إلى فرنسة ...

أما الروس فكانت لهم بعثة تنصيرية وجمعية للتربية والتعليم ذات مال وافر وعن طريقهما كانوا يعلمون السكان العرب والأرثوذكس ، وكانوا يرمون إلى تحقيق الغايات الخفية نفسها ...

ثم يقول : (**فقد كان من الطبيعي أن تؤدي جهود المدارس والكليات الأجنبية إلى أن يتعلم الطلاب اللغة الأجنبية لكل معهد ، لكن الشيء المهم الذي حدث بمرور الزمن أن إتقان اللغة الأجنبية كان يزداد على حساب اللغة العربية ... وذلك يعود إلى أن بعض المعاهد ذات المرامي السياسية المقصودة كانت تعطي لغتها القومية عن عمد المكانة الأولى ... حتى إن الأمريكان الذين كانوا يتزعمون حركة إحياء تراث اللغة العربية !! اختاروا الطريق الأيسر ، وجعلوا اللغة الانكليزية لغة التدريس في الكلية السورية البروتستانتية ، ونشأ مع مرور الزمن جيل من المتعلمين أصبحوا يألفون اللغة الفرنسية ، أو الانكليزية ، أو الروسية أكثر مما يألفون لغتهم العربية** ...) .

المسلمون والمشكلة الحضارية ...

الدستور

■■ رداءة الواقع العربي المعاصر هي الحقيقة الوحيدة التي يعترف بها ويجمع عليها كل العرب مسؤولين ومواطنين ، والاتهام متبادل بين الطرفين حول **من يتحمل مسؤولية تلك الرداءة** .. وتبقى الحقيقة قائمة والواقع العربي يواصل الانحدار ، رغم أن الفطرة البشرية تؤكد أن الإنسان على اختلاف مواقعه يتوق لتحقيق الإنجازات التي تحقق لأمته **المعطيات التي تصنع كرامتها** وتجعلها قادرة على المشاركة في ركب الحضارة البشرية .

ليس العرب وحدهم الذين تعرضوا للاجتياح الخارجي ، ووضعت العراقيل في مسيرتهم ، حتى نحمل العوامل الخارجية ما نعاني من تخلف وانحطاط ..

شعوب كثيرة تعرضت للغزو الخارجي ثم نهضت من كبوتها ، حتى وصلت إلى مرحلة الاستقلال والعطاء الحضاري ، أما العرب ، فرغم الإمكانات ، فقد أحبطت كل محاولاتهم إلى مستقبل أفضل ، حتى وصل الأمر إلى هذه الدرجة من الرداءة والانهيار .

والقدر أيضاً ليس ضدنا لأن ما تعرضنا له وما نعاني منه قادر على أن يبيد عالماً بأكمله ، ومع ذلك فإن الأقدار تلطف وتحول دون إبادتنا .

ما السبب إذاً ؟! ربما كان مالك بن نبي رحمه الله ، من المفكرين القلائل الذين أدركوا علة العالم الإسلامي ، المشكلة ـ كما يرى مالك بن نبي ـ مشكلة مجتمع إسلامي أسلم نفسه لنوم عميق منذ استقال من التاريخ بعد زوال دولة الموحدين ، مقابل حضارة نصرانية انطلقت إثر انتهاء الحروب الصليبية حاملة في تضاعيفها ثمرة ما أفضت إليه الحضارة الإسلامية من فكر ، آخذة في اندفاعها حصيلة الروح النصرانية التي بثتها الأديرة ، لتستلم مقود التاريخ .

المشكلة مشكلة **حضارة** نحن في خارجها ، ومشكلة **ثقافة** لم يتكامل إطارها في حياتنا اليومية ، والإنسان الذي هو خارج إطار الحضارة والثقافة معاً لا يجديه تكديس المعلومات عن النماذج المستقاة من **عالم الحضارة المعاصرة** .

نحن لا ينقصنا حفظة النصوص ولا حملة الشهادات العالية ، ولكن ينقصنا أولئك الذين يستوعبون البعد الفكري للنص ويستطيعون أن يعكسوه على جوارحهم ، وينقصنا **حملة الشهادات العلمية** القادرون على تحويل ما يحفظونه من نظريات إلى واقع عملي يمارسونه في الحقل والمصنع والمختبر .

مشكلاتنا أن طلابنا الذين يتلقون العلم في الخارج تتوقف طموحاتهم عند إتقان اللغة ، وحمل الشهادة ، ولا تمتد إلى مرحلة الاكتشاف ومعرفة عناصر الثقافة ، وكيفية بلورة الأشياء .

هذا العجز جعل تطلعاتنا لا تتجاوز منافعنا الذاتية ، وقصر هذه المنافع على الحاجات المادية الغليظة التي بلدت أحاسيسنا واغتالت آفاقنا ، وقتلت الحلم في وجدان كل منا ، أصبح الهدف مشتركاً عند العالم والجاهل والمسؤول والمواطن : الكل يلهث وراء المنفعة الذاتية التي تقتل في الإنسان الإيثار والبذل والتفوق على الذات .

لا عجب إذاً أن خلت ساحاتنا من العظمة ، لأن العظمة تقوم على العطاء ، ونحن جيل لا يجيد إلا الأخذ والانتفاع ، إن السبيل الوحيد للإنقاذ هو التخلص من الطحالب والطفيليات التي لا تستطيع العيش إلا على جهود الآخرين ، وهذا يقتضي إعادة النظر في مناهج حياتنا المختلفة .

يقول مالك بن نبي : « **إن أي مجتمع يتاهب لدخول التاريخ لابد له من أن يوظف طاقاته الروحية والفكرية والمادية معاً ، هذا التوظيف يستمد فاعليته من الإرادة الحضارية التي تتصل بلحظة الإقلاع في كل مجتمع حينما تندفع الروح نحو مثلها الأعلى لتغير واقعها وتغير معها التاريخ ، فالدين هو الذي يلعب هذا الدور دائماً حينما تتهيأ مرحلة الإقلاع النفسي المتصل بالإرادة ، فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** » .

الإرادة الحضارية هي التي تحقق الإمكان الحضاري عبر ما توظف معطياتها المادية والفكرية كيما تحقق أهدافها عبر وسائلها ، عندئذ يتسابق الجميع لارتياد المستقبل بنفسية الذي يعطي لا الذي يسلب ، بعقلية الذي يتطلع إلى الخلود لا الذي يلهث خلف المسلب الرخيص . ■■

[**العدد** ٥٤٣٨]

المجتمع

■■ هذا الاندفاع العارم نحو الإسلام إذا لم يتم توظيفه سياسياً ، لصالح قضية الإسلام العالمي المستقبلي فلن يحرث منه المسلمون إلا العرق والدم .

هذا التزاحم في المساجد ، وهذا الإقبال على الكتاب الإسلامي ، وهذا القلق المبارك على الدعوة ، وهذا الدعم الجماهيري ـ المعنوي والمادي ـ لحركة الإسلام ، كل هذا إذا لم تضبطه أهداف عامة واضحة وصريحة ومعلنة ومؤصلة ، وإذا لم يتمحور حول قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية تعيشها الجماهير ، فإننا نضيع فرصة تاريخية قد لا تتكرر .

إن الانتشار الأفقي للإسلام بين الناس لا يعني على الإطلاق أن الإسلام يتقدم ، كل ما يعنيه ذلك أن هناك قابليات جيدة لدى الناس كيما تُسخر لقضية الإسلام ، هذه القابليات

من أجل قاعدة جديدة للحوار بين كل الحضارات ..

2000

■■ المفكر الفرنسي المعروف « روجيه غارودي » ، الذي وصل يوماً إلى مركز سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي ، ثم ترك الماركسية عقيدة ، بعد أن ترك الحزب الشيوعي تنظيماً ، له اهتمامات بالدراسات الإسلامية حتى عندما كان شيوعياً ، آخر ما كتب « **مبشرات الإسلام** » و « **حوار الحضارات** » ، **يقال إنه اعتنق الإسلام مؤخراً** .

يقول غارودي :

إنني ألمح كل الخيوط تتقاطع مع بداية القرن المقبل ، إنها تعلن نوع الكارثة التي ستعصف بنا ، وإذا نحن لم ننتفض لنوقف هذا الاجتياح الذي يكتسح حياتنا فإننا سنواجه مصيراً مخيفاً .

إنني ألمح الحضارة الغربية تمضي بالعلم إلى الهاوية بما أنتجته من آلات واختراعات تملأ حياتنا وتغزونا من كل جانب ، وتشوش تصورنا ، وبرغم كل ما تحاول أن تخدعنا به هذه الحضارة فإنها تعيش مأزقاً ، واعتقد أننا لا نحتاج إلى كثير من العناء من أجل أن نتخيل الموت المحدق بنا .

أما علماء « **التكنولوجيا الحديثة** » الذين لا يتوقفون عن الحديث عن تطور العلوم فإنهم بحاجة إلى تمعن وتفكير عميق ، إنهم يفتقرون إلى الحكمة ، لابد من تأمل مستفيض في المسار التاريخي لتطور الحضارة الغربية وما آلت إليه .

منذ عصر النهضة والعلم يحاول أن يحتل مكانة الدين ، ولكن بعد أربعة قرون من الزهو والقوة والجبروت ، بدأ الإنسان يستفيق من ذلك الخدر ، فإذا استطاع العلم أن يقضي على الطاعون والأمراض المعدية فإنه أدى إلى تدمير ستين مليون إنسان منذ الحرب العالمية الثانية وقنبلة هيروشيما ، وإن استمرت الأوضاع على ما هي عليه فإننا سنواجه أضعاف أضعاف ما عشناه ، ويلات وكوارث .

وعلى الرغم من التقدم الزراعي الناتج عن « مكننة » الزراعة إلا أن عدد الموتى بالجوع في القرن العشرين يزيد على ما شهدته القرون السوداء زيادة عظيمة ، وهكذا فإن حضارتنا الغربية حضارة بربرية تحاول أن تخلق وهماً أيدولوجياً للناس .

إن العلم الغربي اليوم منفصل عن الرشد الإنساني والحكمة والتأمل لأنه لم يعد يضع في حسابه الأهداف الإنسانية ، هذا الفصل بين العلم وأهدافه هو الذي عطَّل كل ما هو علم إنساني ، وغيَّب ضرورة البحث في إيجاد مفهوم شامل للإنسان وغاياته .

خذ مثلاً آخر : **ما هو النمو في المفهوم الغربي** ؟ إنه التوسع لاكتساح المجتمع بأنموذج المؤسسة الاقتصادية الغربية ، إنه يرتكز إلى أسوأ مفهوم اقتصادي ، لأنه يعتمد على الإنتاج الوطني الخام ، وهو مجموع الحاصل من حساب مصاريف الاستهلاك والاستثمارات الخاصة ونفقات الدولة ، النمو في المفهوم الغربي هو قيمة الزيادة السنوية لهذه الفداحة ، إن حوادث السير مثلاً تعتبر تصاعد الخط البياني للانتاج الوطني نتيجة تصاعد فواتير السيارات وزيادة عدد الأسرة في المستشفيات وعدد الجراحين ، لقد أصبح النمو معبوداً مختفياً وراء مجتمعاتنا ، وما أسعى إليه هو التأكيد على أن بإمكاننا العيش حياة جديدة بأسلوب آخر ، إننا بحاجة إلى إيمان فعلي نستطيع به أن نعانق حياة جديدة ذات معنى وغاية .

النمو الغربي البربري اكتسح العالم ، وهو الآن بصدد التحكم في عقلية الإنسان وتوجيهها كما يريد ، هذا النمو الذي يتوقف تطوره على النهب والافتراس ، إنه يحصد أرباحاً خيالية عن طريق الشركات المتعددة الجنسيات ، وبواسطة النمو الأهوج للدولة التي لا همّ لها إلا فرض القوة والجبروت عن طريق الأسلحة ، وما تملكه من إرادة التدمير والخراب .

هذا النمو يكلف الدول الغنية أربعمائة وخمسين ملياراً في السنة ، ويكلف الدول الفقيرة خمسة وعشرين مليون إنسان من ضحايا الجوع ، هذا النمو أصبح دين الغرب يميناً ويساراً ، كهنوتاً وسياسة .

ما الذي سيكون عليه حال العالم خلال السنوات الخمسين المقبلة ؟

هل بإمكان الأطفال الذين يولدون اليوم أن يعيشوا بعد أربعين سنة ؟

إنني أؤمن بإمكانات جديدة تهدف إلى الانطلاق الكامل مع أنواع النمو السائد ومشتقاته ، كما تهدف إلى إعطاء الإنسان نفسه زمام المبادرة من أجل أن يتفوق ويتحكم في مصيره ، مثل هذا التوجه يحتاج إلى إيمان فعلي ، إن الإيمان هو الجوهر ، هو القاسم المشترك بين الديانات ، وهو بهذا يأخذ مضموناً وبعداً شاملاً ، الإيمان هو قاعدة الحوار بين كل الحضارات ، وهو انفتاح على ثقافات الآخرين ، وطريق إلى التكامل الإنساني . ■■

[**العدد الأول ، السنة الأولى ـ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٨٢م**]

نحو استثمار أفضل للصحوة الإسلامية ...

تنتظر من لديه عبقرية لتوظيفها في حركة هادفة منتجة مثمرة .

الوسيلة الناجعة لتثمير هذا الاندفاع نحو الإسلام لدى الجماهير أن نجعله ذا فاعلية شاملة ، فالعمل الإسلامي لا ينبغي أن يتحول إلى عمل ثقافي أو خيري ، رغم أن الثقافة والعمل الخيري جزء لا يتجزأ منه .

والعمل الإسلامي يجب الا ينحصر في إطار تذكير الناس بالآخرة ، رغم أن ذلك جزء أساسي من عقيدتنا ، ولكن لكي يكون العمل الإسلامي عملاً جماهيرياً ، تحتضنه الجماهير وتذود عنه وعن أصحابه ، لابد له أولاً أن يحتضن الجماهير ويذود عنها ، ويعيش قضاياها ، لابد من إقناع الجماهير بأن الإسلام قادر على أن يقدم الحلول لمشكلاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ، لابد أن تعي الجماهير أن الإسلام فعل ذلك تاريخياً وأنه قادر على تكرار التجربة فور استكمال المقادير وتقنيات التحول إليه ، وأخيراً لابد أن تعي الجماهير دورها وأهميته ، بل وخطورة شأنه في كل ذلك ، وأن يكف « النخبويون » عن تجاهلهم وتغاضيهم عن هذه الحقيقة .

الناس عموماً لا يتفاعلون مع النظريات بقدر ما يتفاعلون مع المواقف ، **الرسول عليه السلام والصحابة** كانوا أصحاب مواقف لا أصحاب نظريات ، كانوا أصحاب فعالية مباشرة صريحة مفهومة ، حددت موقفهم ـ بحزم ـ من قضايا الناس المطروحة ، لذلك آمن الناس بهم وأحبوهم واحتضنوهم وتابعوهم ورضوا بهم قادة وزعماء ومعلمين .

العالم الإسلامي اليوم يئن من ثلاث قضايا : **الطغيان السياسي** ، **سوء توزيع الثروة** ، **التحلل الاجتماعي** . وثلاثتها متشابكة مرتبطة ، ولا يمكن لأي مجتمع أن يحل واحدة من هذه القضايا الثلاث دون أن يمس القضيتين الباقيتين .

ومن الملاحظ أن العمل الإسلامي ، في صورته الحالية ، قد طور قدراته ووظف الكثير من وقته لمعالجة قضية التحلل الاجتماعي ، دون أن يعالج سياقها السياسي والاقتصادي الذي يتبدى على شكل نظام يجنح نحو الطغيان السياسي ويقوم وضعه الاقتصادي على معادلة غير متوازنة في توزيع الثروة ، يجب ان يكون موقف العمل الإسلامي موقفاً كلياً شاملاً مستمداً من كلية وشمول الإسلام .

الالتفاف حول قضايا مصيرية ، كالتي ذكرنا ، هو مفتاح العمل الإسلامي نحو الفعالية المرتجاة التي من شأنها أن تفتح آفاقاً واسعة لعمل مستقبلي كبير ■■

مسابقة العدد السابع والعشرين
السنة الثالثة

١ - **قاموس المسابقة :**
كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟
اذكر المعنى الصحيح ونص الآية التي وردت فيها :

● **الإِرْبَة** :
- الحاجة
- النزاهة
- الكراهية
- الهائمة

● **البَحِيرَة** :
- الناقة التي أنتجت خمسة بطون .
- العميقة
- رعاية

● **حُوبا** :
- جوراً
- إثماً
- مسح

● **أَغْطَش** :
- أظلم
- أزاح
- مشوي

● **حَنِيذ** :
- سمين
- هزيل

٢ - **أذكر أسماء أصحاب العقبة الأولى رضوان الله عليهم .**

٣ - **من هي ؟**
- ● من المبايعات المجاهدات ، حضرت بيعة الرضوان .
- ● بنت عمة معاذ بن جبل .
- ● روت عن النبي ﷺ جملة أحاديث .
- ● قَتَلَتْ بعمود خبائها يوم اليرموك تسعة من الروم .
- ● سكنت دمشق ، وعاشت إلى عهد يزيد بن معاوية ، وماتت فيها ، ودفنت بمقبرة « الباب الصغير » .

٤ - **من القائل ؟ .. وما المناسبة ؟**

يا موطن الإسراء خصمك غادر ... وسبيله التقتيل والإجرام
إن يحرقوك فليس ذلك بدعة ... في دينهم ، بل إنها الأحلام
حرب على الدين الحنيف وإنها ... لطويلة ما طالت الأيام

٥ - **مؤلف وكتاب** ... [**المؤلف**] : يعتبر من دعائم العلم الحديث ورواده ، الذين أرسوا قواعده في الأندلس ، حيث انتقل منها إلى أوروبا ، وشهرته ابن سيده المرسي .
- ● ولد في الأندلس عام ٣٩٨هـ ، وتوفي فيها عام ٤٥٨هـ .
- ● كان يهتم باللغة العربية وآدابها ، ويذكر الأسماء المختلفة لكل ما تحدث عنه ، خصوصاً أسماء الحيوان والنبات التي أثرت بها اللغة .
- ● أخذ بالطريقة العلمية في معالجة كل موضوع تعرض لبحثه .

[**الكتاب**] : يتضمن سبعة عشر مجلداً ، ويتناول كل ما كان سائداً من معلومات في عصره تتعلق بالتاريخ الطبيعي على النحو الذي نحدده اليوم ، **فمن المؤلف ، وما الكتاب ؟**

٦ - **ما هي وظيفة كريات الدم الحمراء ، وكريات الدم البيضاء في جسم الإنسان ، وكم يبلغ متوسط عدد كل منها في السنتيمتر المكعب ؟**

٧ - **متى يبدأ فصل الشتاء فلكياً ؟**

مسابقة الأمة

الجوائز

الجائزة الأولى

خمسمائة ريال قطري .

الجائزة الثانية

ثلاثمائة ريال قطري .

الجائزة الثالثة

مائتا ريال قطري .

سبع جوائز أخرى : اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة ، للفائز الرابع حتى العاشر .

* حل المسابقة وأسماء الفائزين على الصفحة المقابلة

● ترسل الإجابات إلى ص . ب ٨٩٣ الدوحة . قطر ويكتب على الغلاف : مسابقة الأمة .

الاسم : ....
المهنة : ....
العنوان : ....
....

مسابقة مجلة الأمة
السنة الثالثة
٢٧

حل مسابقة العدد الخامس والعشرين

١ ـ **المعنى الصحيح ونص الآيــــة ...**

○ **مُنفَكِّين** : زائلين .

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ (البينة : ١)

○ **المُعْتَرّ** : المعترض بالسؤال .

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الحج : ٣٦)

○ **ضِغْثاً** : ملء كف من حشيش وعيدان .

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَٱضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص : ٤٤)

○ **لَنَسْفَعَنْ** : نأخذن .

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ (العلق : ١٥)

٢ ـ **الصحابي الجليل هو** : مصعب بن عمير رضي الله عنه .

٣ ـ **الشـاعر** : محمـود غنيم .

والمناسبـة : عندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م ، نظم الشاعر قصيدة بعنوان « **يا اخت عمورية** » ، يشبِّه فيها فلسطين المغتصبة بعمورية التي اغتصبها الروم من المسلمين أيام الدولة العباسية ، وسيم أهلها الذل ، فصاحت إحدى نسائها المسلمات : « **وامعتصماه** » ، فلما بلغ ذلك الخليفة المعتصم فتحها بغزوته التـاريخية المشهورة .

٤ ـ كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة ، قال بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله : [أما بعـد ، أيها النـاس ، فقدمـوا لانفسكم ، تعلمُن والله ليضعفن أحدكم ، ثم ليَدعنَّ غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ـ ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فيبلِّغك ؟ وآتيتك مالاً وافضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظـرن يميناً وشمالاً فلا يرى غير جهنم ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقة من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته ..] .

٥ ـ **جرى فصل الكنيسة الانكليزية عن كنيسة روما عام ١٥٣٠م** .

٦ ـ [**الكتـاب**] : « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » .

[**المؤلـف**] : الشريف الإدريسي ، أكبر علماء الجغرافيا المسلمين .

٧ ـ **اسم الجهـاز** : **سيسمو جراف** .

أسمـاء الفـائزين

الفـــائز الأول :

● علي الحسين عبد الفتاح علي

السـودان ـ أم درمان

الفـــائز الثاني :

● ب . عبد القـادر

الهند ـ كيرالا

الفـــائز الثالث :

● عباس محمد البشير

المملكة العربية السعودية ـ نجران

الفـــائز الرابع :

● الفائق عبد الله

المغرب الرباط

الفـــائز الخامس :

● فـداد العباشي

المملكة العربية السعوديـة ـ مكة المكرمة

الفـــائز السادس :

● سماح حسن المهدي

الإمارات العربية المتحدة ـ الشارقة

الفـــائز السابع :

● وفـاء بنشقرون

المغرب ـ فاس

الفـــائز الثامن :

● اليازيـد خمـال

الجزائر ـ سطيف

الفـــائز التاسع :

● معن مروان جميـل

الكويت ـ العمريـة

الفـــائز العاشر :

● رقـاد عز الدين

الجزائر ـ قسنطينة

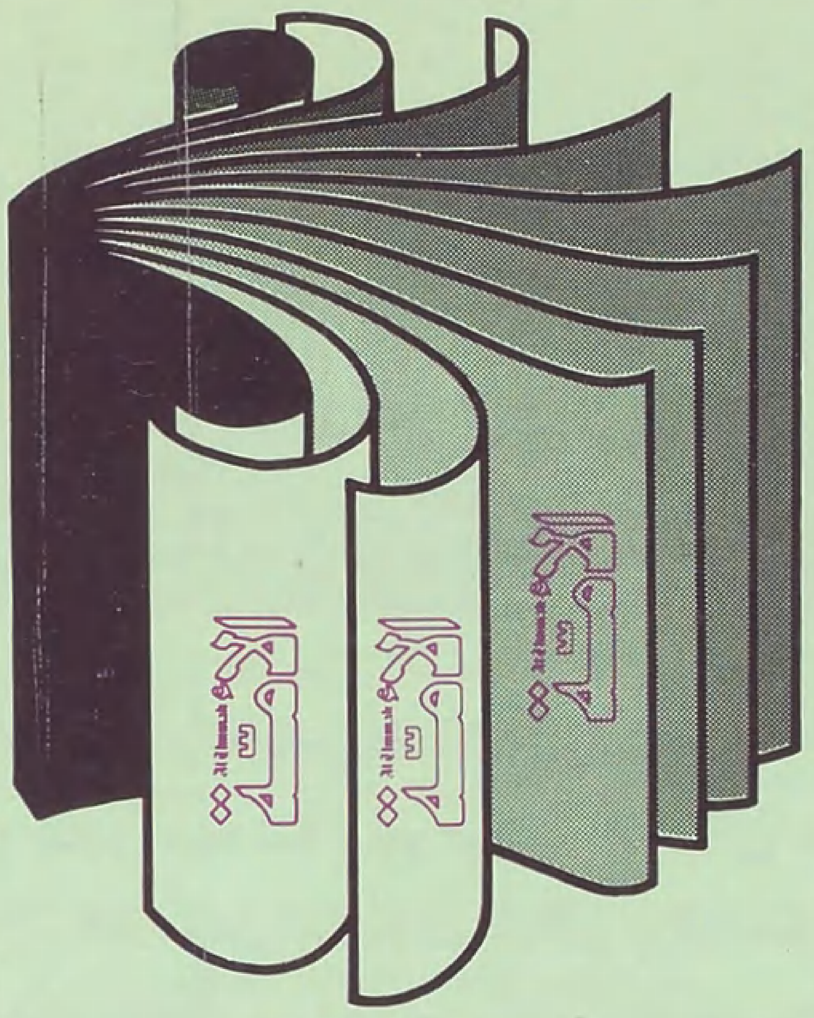

اقرأ في الأمة الأعداد القادمة

□ كتاب في مقال
الغرب والشرق الأوسط :
الدكتور نبيل صبحي

□ وظيفـة الأدب في المفهوم الإسـلامي
الدكتور عماد الدين خليل

□ ثـورة المعلومـات :
البعد العلمي والبعد الأمني
عـارف عطاري

□ مشكلات الشباب في العالم الإسـلامي
بـدر محمد بـدر

□ منهـج القرآن في الـدعوة إلى الله
الـدكتـور منيـع عبـدالحليم محمود

□ كلية الشريعة في الجامعة الأردنية .. عودة إلى المواقع الفكرية الأصيلة
استطلاع مصور

خواطر.. وأفكار

ظاهرة خطيرة يجب مقاومتها

□□ درجت بعض المجلات الإسلامية التي تصدر بالعربية على جعل اجزاء منها باللغات الحية ، وهذه - بلا شك - ظاهرة محمودة ، الغرض منها : نقل الإسلام بحقيقته وجوهره إلى المسلمين غير الناطقين بلغة الضاد ، وبهذا يجنبونهم السياسة التي تنتهجها معظم صحف الغرب لتشويه الوجه المشرق للإسلام ، ولكن من يدقق النظر في هذه المجلات يجد انها لم تكتف بترجمة معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة فحسب بل إنها قامت بترجمة حرفية لآيات القرآن الكريم واحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا العمل وإن كان يبدو في ظاهره انه يحاول تقديم القرآن للمسلمين غير الناطقين بالعربية ، إلا انه يحوي في جوهره ظاهرة خطيرة هي : التحريف غير المباشر لآيات القرآن الكريم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقبل ان نناقش ما عرضناه يجب ان ناخذ فكرة عن اصول الترجمة ، ففي كتاب « قصة اللغة The story of language » يشير « ماريوبي Mariopei » إلى ان الترجمة الحرفية ، اي : الترجمة من القاموس بلا احتراس ، قد تسفر عن نقل غير امين ، وان الكلمة إنما تكسب معناها من السياق وليس من القاموس ، ولو كان القاموس هو الوسيلة المضمونة للترجمة لامكن وجود آلاف المترجمين طالما انهم اشتروا قاموساً سميناً ، فقد يكون للكلمة الواحدة عشرات المعاني ، والمهم : هو الغوص وراء المعنى المقصود ، بل وهناك قول إيطالي ماثور ، يقول : « Tnadnttore - traditore » ومعناه : المترجم خائن . وهذا القول يشير إلى ان الترجمة في بعض الاحيان لا تنقل المقصود بامانة ، الامر الذي يؤدي - بناء على ذلك - إلى نتائج لا تحمد عقباها .

وفي الكتاب الذي اشرت إليه آنفاً يقدم المؤلف بعضاً من الامثلة التي تتناول الاضرار التي قد تنتج من انعدام الترجمة الامينة للكلمة من لغة إلى اخرى ، فقد قيل : إن ترجمة انجليزية للفعل الياباني « Mokusatsu » جعلت امريكا تلقي قنابلها الذرية على هيروشيما ونجازاكي !

كان الامريكيون قد طالبوا اليابان بان تستسلم فوراً ، دون قيد او شرط ، ورداً على هذا استخدم رئيس وزراء اليابان الفعل الياباني « Mokusatsu » ، وهذا الفعل يعني « لا تعليق » او « القتل بالصمت » .. سارع الحلفاء إلى الاخذ بالمعنى الثاني ، وبدا وكان رئيس الوزراء الياباني قد رفض الإنذار باحتقار ، واعتبره غير جدير بالاهتمام ، غير ان الانباء اكدت ان رئيس الوزراء إنما كان يعني ان حكومته قررت عدم اتخاذ اي إجراء وعدم التعليق ، إلى ان يتم استيضاح المقصود من وراء المطالبة بالاستسلام دون قيد او شرط .

ويروى ايضاً ان وزارة الخارجية الأمريكية تلقت يوماً مذكرة فرنسية تبدا بعبارة « nous demandons » ، وكان الفهم الحرفي لهذه العبارة هو « نحن نطالب » او نحن نطلب « we de.and » ، وتساءل المسؤولون الامريكيون بعصبية : هل من حق الفرنسيين ان يعتبروا هذا مطلباً ؟ وهل من حقهم ان يطالبوا بـ... لكن ترجمة المعنى المقصود كانت تعني بادب « نحن نسال » او « نحن نرجو » .

والقرآن الكريم قد انزله الله على نبيه محمد ﷺ بلسان عربي مبين ، مصداقاً لقوله تعالى في سورة الزخرف : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، ولعل اعظم إعجاز للقرآن الكريم هو الإعجاز اللفظي او اللغوي ، ولهذا حكمة كبرى ، فلقد ارسل رسولنا صلوات الله وسلامه عليه في عصر كان القوم فيه آنذاك اساطين البلاغة والفصاحة ، وعندما جاء القرآن الكريم بمعجزته اللغوية التي تحدى بها اللّهُ الإنس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن ذهل الجميع بادىء الأمر ، ثم دخلوا بعدها في دين الله افواجاً بعد ان ايقنوا بان هذا ليس من قول البشر ، وليس ادل على ذلك من قصة الوليد بن المغيرة - راس من رؤوس قريش ، وكبير من كبرائها - فقد جاء إلى النبي ﷺ يعرض عليه ان يترك ما يدعو إليه وان يضمن له في قريش - مقابل ذلك - ما يشاء من جاه او سلطان او مال .. فقرا عليه النبي ﷺ آيات من الكتاب الكريم ، فما ان سمعها حتى رق قلبه ، وانصرف بوجه غير الذي جاء به ، فلما راته قريش انكروا عليه حالته التي جاءهم بها .. وقال له قائلهم : إن قومك لن يرضوا عنك حتى تقول في محمد وفي قرآنه قولاً يؤثر عنك ... فقال : وماذا اقول ؟! والله ما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ، ولا باشعار الجن ، ولا بسجع الكهان .. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن اعلاه لمثمر ، وإن اسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه ، وإنه ليس بقول بشر ...

وقصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ان قرا آيات من سورة طه معروفة .

ولقد صدمني ما قراته في إحدى المجلات الإسلامية (في القسم المخصص باللغة الانجليزية) انها قد ترجمت آيات القرآن الكريم ترجمة حرفية ، وهذا لا يعقل مع كلام الله المنزل بلسان عربي ، والادهى من ذلك ان هذه المجلة قد ترجمت بعض الكلمات الجوهرية ترجمة تفتقر إلى التعمق في المعنى الحقيقي الذي قصده المولى سبحانه وتعالى ، فمثلاً في ترجمة سورة القدر ، ترجمت ليلة القدر على انها « the night of power » ، وهل من المنطق ان كلمة القدر تساوي « power » وقارن اخي القارىء ترجمة باقي السورة بهذه الطريقة ، واعقد مقارنة بين هذا السخف وبين كلمات الله المحكمة الموجزة البليغة ، والشيء نفسه نراه في الترجمة الحرفية لسورة الإخلاص ، فلقد استبدل المترجم كلمة (الاحد) - في الآية ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ - بانها « the one » ، وايضاً لاحظ الترجمة الركيكة لباقي الآيات في السورة نفسها .

والشيء نفسه يتكرر بالنسبة للأحاديث النبوية ، فقد ترجمت ايضاً ترجمة حرفية ، وهذا ليس من الصواب في شيء ، فكلمات الرسول ﷺ يجب ان تنقل نقلاً اميناً ، والترجمة قد تستبدل كلمة بكلمة اخرى غير دقيقة في معناها ، وبذلك يضطرب المعنى ، ويسقط أسلوب الرسول البليغ في احاديثه الشريفة .

وإنني إذ ادق ناقوس الخطر ، واتوجه بنداء إلى كل من يهمه الأمر ان يتصدى ، وعلى وجه السرعة لهذه الظاهرة الخطيرة التي ليس من ورائها شيء سوى تحريف آيات الله البينات وسنة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه .. الا هل بلغت .. اللهم فاشهد .

بقلم : د . رضا إبراهيم محمد

يصدر قريباً :

كتاب الأمة

Al Ummah

٣

العسكرية العربية الإسلامية

اللواء الركن

محمود شيت خطاب

□ إن العقيدة العسكرية الغربية تسود قسماً من القوات العربية الإسلامية ، وتسود قسماً آخر منها العقيدة العسكرية الشرقية ، وتسود القسم الثالث العقيدة العسكرية الغرابية ....

□ العقيدة العسكرية الإسلامية غائبة غياباً تاماً عن القوات المسلحة العربية الإسلامية ، مجهولة جهلاً كاملاً في المدارس والمعاهد والكليات العسكرية ...

□ لماذا العقيدة العسكرية الإسلامية وحدها تناسب العرب والمسلمين ، وتقودهم إلى النصر .. ولا تناسبهم العقيدتان العسكريتان الغربية والشرقية وتقودهم إلى الاندحار ؟

يطلب من وكلاء توزيع الأمة في العالم

- من الجوانب الهامة التي عني بها المسلمون دراسة النواحي الفنية في القرآن - خطا وزخرفة وطباعة ..
١١٥ لوحة ملونة مطابقة لمخطوطات المصاحف الأصلية تمثل فن الزخرفة والخط والتجليد في مختلف العصور الاسلامية وعلى امتداد رقعة العالم الاسلامي في معرض تطور خطوط المصاحف وزخرفتها - بعمان -

مجلة الأمة – Al Ummah

العدد ٢٣ السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٠٢ هـ